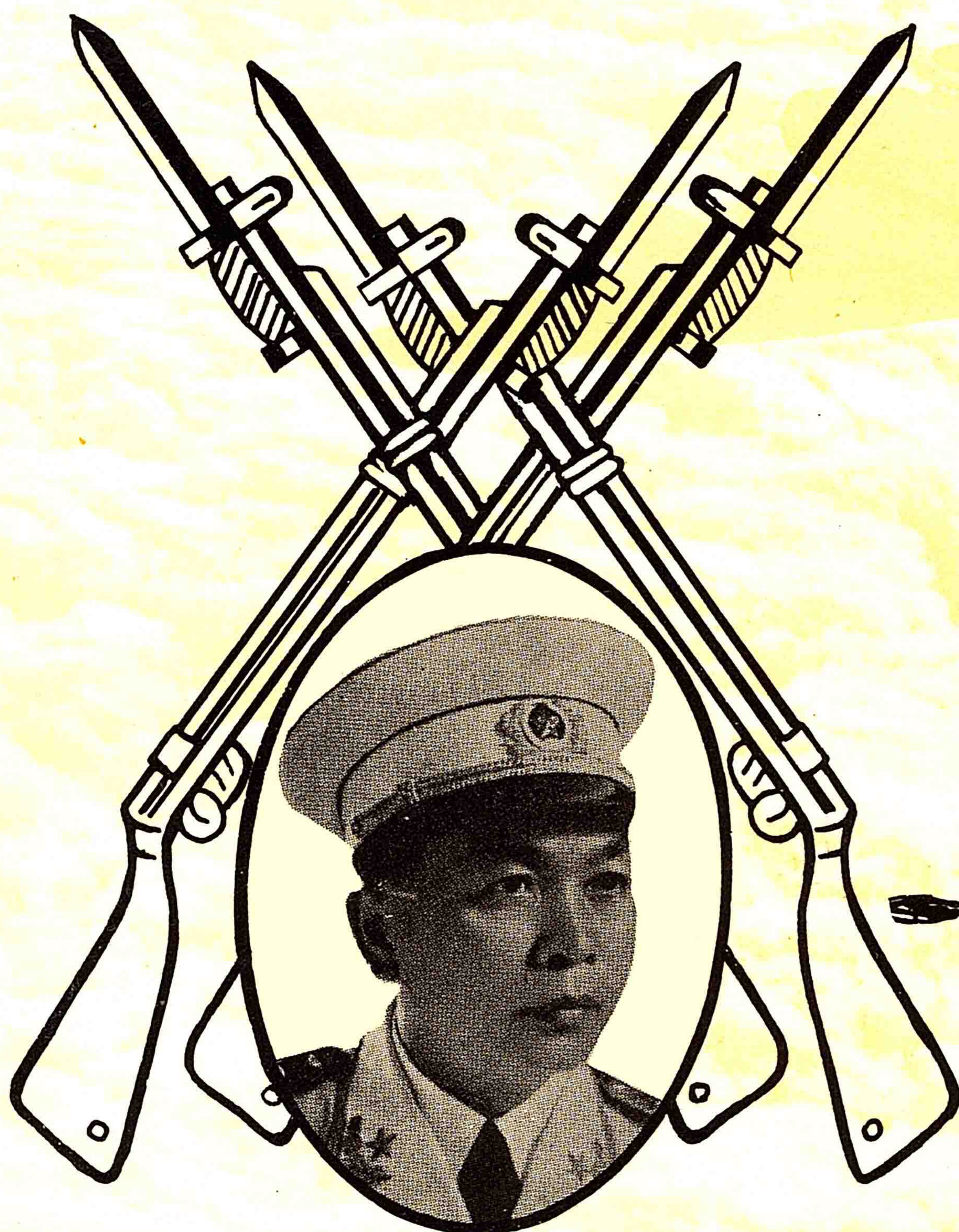


مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

٩

جياب

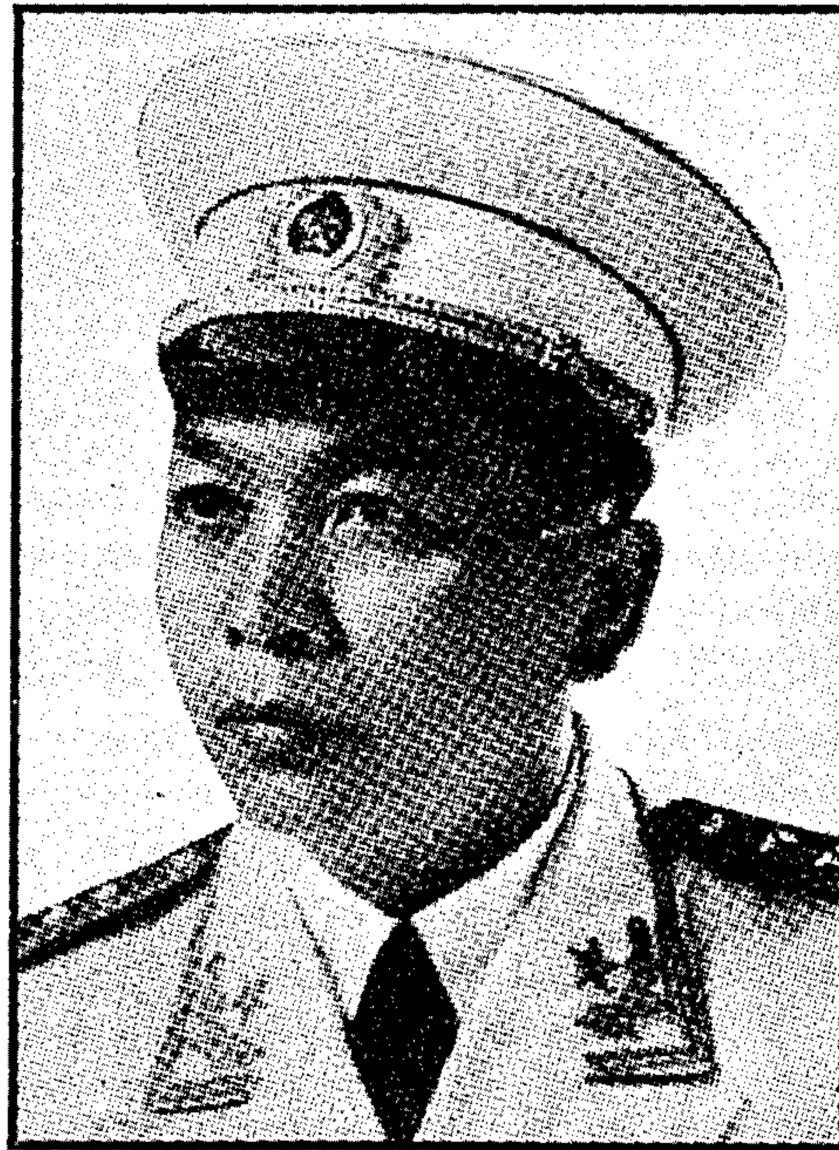


بسّام العسليّ

دار النفائس

٩

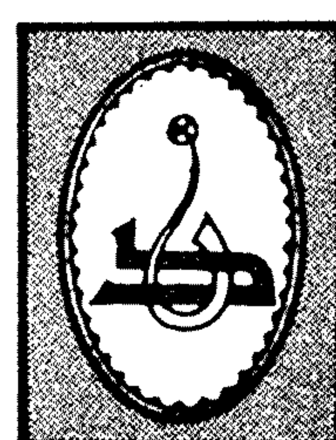
مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



جياب

بسّام العسليّ

دار النفائس



دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح

وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢

برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤

أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

المقدمة

لئن كان صراع (الهند الصينية) أو (ڤييتنام) ضد اليابانيين قد مثّلِ صفحة شبه مجهولة من الصراع المسلّح الذي ضاعت معالمه في ظِلِّ الأعمال القتالية المثيرة للحرب العالمية الثانية، فلقد اجتذب الصراع المسلح بعدئذ انتباه العالم؛ واستقطب اهتمام الرأي العام في كل مكان من الكرة الأرضية.

فلقد بدأت (الهند الصينية) صراعها ضد الاستعمار الفرنسي مع انتهاء الحرب العالمية الثانية (سنة ١٩٤٥)، وأخذت في تصعيد الصراع بمعدلات متسارعة.

لقد أسقطت ظروف الحرب العالمية الثانية هالة (الرجل الأبيض المتفوق)، واكتسب الشعب في الهند الصينية خبرات قتالية عالية عبر صراعه مع المحتلِّين اليابانيين، وامتلك بعض الأسلحة الكافية للبدء بتفجير الصراع. وكان من الصعب في البداية توقّع مسارات هذه الحرب وتطوراتها، غير أنه كان من الواضح بأنها لن تكون حرباً سهلة. فقد خرجت فرنسا من الحرب وهي تمتلك قوات عسكرية ضخمة. وكانت تمتلك جيوشاً مجرّبة وخبرات قتالية واسعة، وأعتدة

قتالية متطورة؛ وظنت أنها تستطيع، بما تمتلكه من مصادر القوة؛ إعادة فتح الأقاليم الخاضعة لاستعمارها، أو التي كانت خاضعة لاستعمارها؛ ولم تدرك القيادة السياسية الفرنسية، أو القيادة العسكرية، أنه من المحال إعادة العجلة إلى الوراء؛ لا سيّما بعد تبدّل موازين القوى وظهور القوّتين الجديدتين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتي ـ على الحلبة الدولية.

وهكذا بدأت الحرب الڤييتنامية الفرنسية في ظروف شبه غامضة؛ غير أنه كان، في وسط هذا الغموض، حقيقة واحدة ساطعة على الأقل هي تصميم الشعب الڤييتنامي على خوض الصراع المسلّح حتى الرمق الأخير لتحرير بلاده وأرضه؛ مع توافر قيادة سياسية ـ عسكرية توافرت لها كفاءة قيادية عالية؛ وتصميم ثابت على قيادة الصراع السياسي ـ العسكري حتى النصر.

ولقد زجّت فرنسا بكل قدراتها؛ وأرسلت أفضل ما توافر لها من الكفاءات القيادية، واستعانت بما قدّمه لها حلفاؤها من الدعم؛ وبالرغم من ذلك كله؛ فقد نزلت بالقوات الفرنسية الخسائر المتتالية، إلى أن وصل الصراع المسلّح إلى طريق مسدود؛ وإذ ذاك عرفت فرنسا أنه لا سبيل إلى إعادة العجلة إلى الوراء.

وانسحبت فرنسا؛ بعد أن قسّمت ڤييتنام إلى قسمين: شمالي وجنوبي. ورضيت ڤييتنام بهذه النتيجة المرحلية؛ لتنطلق منها إلى المرحلة الثانية وهي: توحيد شطري ڤييتنام.

وهنا جاء الدور الأمريكي؛ فقد أخذت الولايات المتحدة على

عاتقها؛ الاستئثار بما كانت تمتلكه الدول الاستعمارية الغربية، وكأنّ الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) لم تكن تجربة كافية لاستخلاص الدروس من التحولات الجديدة؛ فكان ما يسمونه (بالتورط الأمريكي في ڤييتنام). إذ خاضت القوّات الأمريكية حرباً ضارية؛ وجربت في ڤييتنام (كل تقنيات الأسلحة الحديثة) بما في ذلك الأسلحة الكيميائية والأسلحة البيولوجية. وبالرغم من ذلك أيضاً، فقد مضى الشعب الڤييتنامي بعناد لا يوصف، وتصميم لا مثيل له؛ حتى أمكن تحقيق النصر.

ووقف الشعب الڤييتنامي صامداً، يتلقّى الضربة تلو الضربة؛ ويردّ على كل ضربة بما يعادلها، أو بأكثر مما يعادلها في كثير من الأحيان؛ بوسائط متواضعة وإمكانات محدودة.

ووقف العالم مشفقاً؛ وهو يتابع تطورات الصراع بين قوى غير متكافئة؛ وفي ظروف غير متعادلة. وكان لهذا التباين في حجم القوى والوسائط ونوعها دور كبير في تقديم الدعم السياسي والمعنوي للشعب الڤييتنامي ضد قوى الجبروت والطغيان. وانتقل التعاطف مع النضال الڤييتنامي حتى أوساط الدول الاستعمارية ذاتها، وكان لذلك دوره الكبير في إحراز النصر النهائي.

ولقد ارتبط هذا الصراع المسلح باسم (الجنرال فونجوين جياب)، الذي استطاع، عبر سنوات الصراع المرير، أن يحوّل الهزائم إلى انتصارات؛ وأن يدعم الانتصارات بانتصارات أكبر، وأن يكتسب من كل انتصار المزيد من القوة حتى أمكن تحقيق الأهداف السياسية ـ

العسكرية بصورة كاملة.

لقد تفجّرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية مجموعة كبيرة من (الحروب الثورية)، وتميّزت كل حرب منها بطابعها الخاص ونهجها المميز؛ ولكن رغم خصوصية كلٍّ حرب من هذه الحروب الثورية؛ فإن (الحرب الڤييتنامية) تعتبر النموذج الكامل لها؛ نظراً لامتدادها الزمني - زهاء ربع قرن من عمر الزمن -، أو نظراً لمجابهتها لأعتى وأقوى قدرتين عسكريتين: فرنسا ثم الولايات المتحدة؛ أو حتى نظراً لما استُخدم فيها من الوسائط القتالية المتطورة والحديثة. ولهذا فليس من الغريب أن تحتلّ (الحرب الڤييتنامية) الموقع المتقدّم في (فن الحرب الثوري).

ولقد تمكّن (الجنرال فونجوين جياب) من إغناء هذا النوع المميز من (فن الحرب) عبر ممارساته العملية، ومقولاته النظرية، التي أذهلت كبار القادة العسكريين في العالم؛ والتي وضعت (جياب) في المرتبة المتقدّمة من (فن الحرب الثوري).

لقد كانت (الحرب الثورية الڤييتنامية) نموذجاً صادقاً للحروب الثورية الحديثة؛ وتعلّقت بها أنظار الشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار. ولقد قيل بأن هذه الحرب هي التي وجّهت كافة الحروب الثورية وفي مقدّمتها الثورة الجزائرية. غير أن التحليل الموضوعي يبرهن أنه لا علاقة بين هذه الحروب؛ نظراً لخصوصية الظروف المحيطة بكل واحدة منها. ولقد استمدت الثورة الجزائرية أصالتها من الحروب الثورية الجزائرية طوال فترة الاستعمار، وكذلك استمدّت

الثورة الڤييتنامية أصالتها من التقاليد الثورية الڤييتنامية، وإن تَشَابُه الطرائق القتاليـة؛ ليس إلاّ نتيجة طبيعيـة للإبـداع الذي يجـود به الإنسان في مواجهته للخطر، وفي معاناته للألم، وفي تصميمه العنيد على انتزاع النصر عبر حوار الإرادات المتصارعة.

ويبقى لكل حرب (خصوصيتها)، ويبقى لكـل إنسان ـ قـائد ـ إبداعه، وتبقى (الحرب الڤييتنامية) تجسيداً واقعياً؛ ونموذجـاً مميزاً، للحروب الثورية في الأزمنة الحديثة، وهو نموذج يحتفظ بقيمته وأهمّيته عبر تقادم الـزمن؛ لأنه ثمـرة إبداع الإنسـان (في مجال تـطوير فن الحرب)، وهو ما يمكن دائماً من التعلّم عبر التجربة الإنسانية الطويلة والشاقة. ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

بسّام العسلي

من أقوال الجنرال جياب في الحرب

١ ـ إنهم يكثّفون عمليات قصف شمال ڤييتنام بالقنابل، ويعتبرون ذلك بمثابة دعوة إلى مائدة السلام. فما أعجبها من مائدة سلام نُدعى إليها بقصف القنابل. إننا لن نضعف ولن نستسلم. إننا صامدون ونحن أكثر تصميماً من الماضي على النضال ضد العدوان الباغي.

لقد ظنّ الأمريكيون أنهم بقصفهم الشمال سيرغموننا على الاستسلام، وأن الخسائر ستدمّر اقتصاد الحياة العادية للشعب؛ وستحبط من روحه المعنوية؛ مقابل رفع المعنوية (للدمى). إن حسابهم سيّئاً.

٢ ـ يمكن لمدن، مثل هانوي وهايغونغ، أن تتعرض للدمار؛ ولكننا سنقاتل؛ وسنشيد من جديد بلادنا. وبهذا التصميم؛ وبهذه الروح المعنوية؛ وبهذا الإيمان الوطيد بالنصر؛ لن يبلغ الأمريكيون مما بيّتوا شيئاً. إن الحياة مستمرة هنا؛ والجديد فيها هو أن الفلّاح الذي يحرث حقله؛ قد أُعِدَّ أيضاً وهُيِّءَ للنضال ضد العدو.

٣ ـ لن يستطيع الأمريكيون أن يقهروا شعبنا عسكرياً؛ ولكن شعب ڤييتنام هو الآخر لن يستطيع قهرهم. وأعتقد أنهم، حتى في

ـ البانتاغون ـ، لا يعتقدون بإمكان الوصول إلى ربح ما أسماه الجنرال ديغول ـ بحروب المقاومة الوطنية ـ، ولهذا فهم يتحدّثون عن حرب العشرة أعوام والعشرين عاماً، ويتحدثون عن زيادة عدد الجنود؛ وأكثرهم يصرّح بأنهم لا ينوون حل المشكلة عسكرياً، هذه هي حال الأمريكيين. لكن هل نحن قادرون على الانتصار على الأمريكيين؟ إن الشعب الڤييتنامي له بالتأكيد قوّته ومعنوياته وحبّه العارم للوطن. **ولكن البعض يفكّر؛ بأنه نظراً لقوة الأمريكيين التقنية، فإن الانتصار الڤييتنامي هو أمر من غير الممكن تحقيقه. أما الحقيقة فهي أننا سننتصر سياسياً وعسكرياً. أقول جيداً سياسياً وعسكرياً، هذه هي قناعتنا. نعم إننا واقعيّون.**

٤ ـ إذا فهم المرء لماذا لم يستطع الأمريكيون، حتى الآن، أن ينتصروا؛ يفهم عندئذ لماذا سننتصر. بناء على المنطق الصوري للمعتدي الأمريكي؛ الذي لا ذرّة من الواقعية فيه؛ بناء على هذا المنطق؛ يجب على المرء أن ينتهي إلى القول بأن القوة الأمريكية كان ينبغي أن تكون قد قهرت قوّتنا. فلماذا لم تمكّن هذه القوة أصحابها من نيل الهدف المنشود؟ **ذلك لأن شعب الڤييتنام له؛ هو الآخر؛ قوّته الخاصة وأن للأمريكيين ضعفهم أيضاً.** وإذا تقدّمنا خطوة أكثر استطعنا أن نفهم كل الحقيقة. من وجهة نظر العدد؛ لم يكن جيشنا متفوقاً على جيش الاحتلال الفرنسي؛ ومن وجهة نظر العدّة ـ أو الوسائط القتالية ـ لم تكن لدينا دبابات ولا طائرات، ولهذا لم نخسر أية دبابة أو أية طائرة؟ إن كل هذا لا يفسّر انتصارنا. افهموا هذا الذي يشكل قوة شعب برمته، يثور ويحارب من أجل استقلاله

وحرّيته؛ ولا شيء أثمن من ذلك. تذكّروا الثورة الفرنسية، تذكّروا فالمي والجنود القليلي العدد والعدة أمام الجيش البروسي المحترف، ومع ذلك كان النصر لفرنسا. أعيدوا للذاكرة هذه الساعات البطولية من شعبكم وتاريخه حتى تتمكنوا من فهمنا. **ابحثوا عن الحقيقة. إن شعباً يقاتل في سبيل استقلاله يمكن أن يحقق مآثر أسطورية. إني أحدثكم هنا عن القوة المعنوية لشعب صمّم على أن يتّحد ويناضل حتى النهاية من أجل حرّيته واستقلاله.**

٥ ـ هل يمكن لعدد الجيوش؛ ولما تمتلكه من الوسائط التقنية؛ أن تكون العامل الحاسم في حرب مثل حرب ڤيتنام؟ إننا مقتنعون بأنّها تشكّل عاملاً هاماً، ولكن هذا العامل ليس هو الذي يقرّر نهاية الحرب. إن هذه الحرب وإدارتها ليست كمثل بقية الحروب التي يمكن إدارتها وفقاً للقواعد التقليدية ـ الكلاسيكية ـ، ولقد اعتمد (المختصّون في الأعمال القتالية الخاصة ـ في البانتاغون ـ) نظرية خاصة بهم في عدد الجيوش؛ فقالوا في لحظة ـ أو فترة ـ من الفترات بأنه يجب تأمين تفوّق بنسبة ٢٥ ضد واحد حتى يمكن ربح الحرب. وقد بذل (ماكنمارا) قصارى جهده خلال (الحرب الخاصة) لتأمين هذا التفوّق، فزاد من عدد جيوشه؛ إلّا أن جيش التحرير الڤييتنامي فعل الشيء ذاته. ويقول المختصّون إنه عندما تكون النسبة هي ثلاثة ضد واحد؛ فيجب أن يدقّ جرس الاستنفار. إن هذا يعني، حسب نظرية عدد الجيوش، بأن معالجة الأمور من زاوية القوّة العسكرية ليس مجرّد عملية حسابية. إن ثمة قوة أخرى غير هذه المقارنة الحسابية. أما الآن؛ فقد قالوا بأن ثلاثة أو خمسة ضد واحد هي كافية لهم حتى

يحققوا النجاح؛ بشرط أن يطوّروا وسائطهم التقنية، ولكن؛ حتى مع هذا التطوير التقني فإنهم لم يحقّقوا النجاح الذي يريدون. وهذا يعني أن عدد الجيوش والتقنية ليست هي التي تقرر النهاية الأخيرة.

٦ ـ إن حرب العصابات والحرب النظامية هما شكلان من الحرب ضروريان ولا بدّ منهما في حرب الشعب، ولكن هذا لا يعني أنه لا بدّ لحرب الشعب من أن تبدأ، وفي كل الظروف، كقانون حتمي ـ بحرب العصابات ـ، ومن ثم تتطور بعدئذ إلى الحرب النظامية. فمثلاً إذا شنّ العدو اليوم حرب عدوان ضد شمال ڤييتنام؛ فستكون الحرب ـ بناء على الظروف الموضوعية والملموسة؛ أي ظروفنا وظروف العدو ـ ستكون حرباً نظامية وحرب عصابات نشنّهما في وقت واحد.

٧ ـ يكون نشاط القوّات المسلحة، في كل الحروب، إما هجومياً أو دفاعياً، وكذلك تستخدم الحرب الثورية هذين الشكلين أيضاً؛ ولكنها تعتبر النشاط الهجومي هو الأكثر أهمية. ولقد كانت نتيجة الممارسة العملية لكفاحنا الثوري المسلّح؛ أن خلق فنّنا العسكري أشكالاً من النضال أصيلة ومبتكرة وهي: حرب العصابات؛ الحرب المتحركة؛ حرب المواقع. وإن كل هذه الأشكال؛ سواء في العمليات الهجومية أو الدفاعية؛ يمكنها أن ترتفع بتصميم قوّات الشعب المسلحة إلى أعلى درجة من أجل دحر العدو؛ **من أجلِ دحر ما هو قوي بما هو ضعيف؛** أو بكلمات أخرى: الارتفاع بتصميم قوات الشعب المسلّحة إلى أعلى درجة من أجل إنجاز ثورة جذرية عميقة.

٨ ـ لقد أقام فنّنا العسكري أيضاً مبادىء صحيحة في فنّ قيادة

العمليات الحربية؛ وذلك من أجل توجيه كل النشاطات الحربية التي تقوم بتنفيذها قوّاتنا المسلحة. ولقد صيغت تلك المبادىء تدريجياً عبر مسيرة الكفاح المسلح الذي خاضه شعبنا، كما وأنها راحت تتطور لتصل إلى مستوى رفيع. وتدلّ هذه المبادىء على تصميمنا على إنجاز ثورة جذرية عميقة؛ إذ تعلّق هذه المبادىء أهمية كبرى على إبادة القوى البشرية للعدو؛ كما تعلّق أهمية كبرى على **المحافظة على قوّاتنا وتدعيمها باستمرار**. إن هذه المبادىء مندمجة في وقت واحد مع الرأي القائل: **إنه يجب عمل كل شيء من أجل أخذ زمام المبادأة في العمليات الهجومية**؛ **وتحقيق تحرّك سريع**؛ وتطوير التفوّق السياسي؛ وتصعيد البطولة في القتال، من أجل دحر عدو أقوى منّا مادياً وتقنياً؛ على أن نتذكّر دائماً أن النصر يأتي من كل معركة؛ بحيث تنمو قوّاتنا المسلحة وتسير في طريق القوة مع كل معركة لتحرز النصر في الحرب.

٩ ـ يجب على فنّنا العسكري أن يتطوّر باستمرار إذا أُريد له أن يستجيب لمتطلّبات المهمّات الثورية؛ ولمتطلبات حرب الشعب في الظروف الراهنة. وإنه لأمر ممكن أن تندلع الحرب في ظروف يمتلك العدو فيها أسلحة ومعدّات عصرية ـ حديثة ـ، بينما نملك من جانبنا أسلحة ومعدّات أدنىٰ كثيراً من تلك التي يمتلكها العدو ـ كما يحدث الآن في ساحة المعركة على أرض ڤييتنام الجنوبية ـ. ولقد رسّخ مواطنونا في الجنوب تقاليدهم القتالية؛ وطبّقوا بصورة مبدعة خلاّقة التجربة التي توافرت لنا خلال المقاومة من أجل دحر العدو، كما أنه بالإمكان اندلاع الحرب في ظروف تتوافر فيها للعدو أسلحة ومعدّات حديثة؛ بينما تكون أسلحتنا ومعدّاتنا ـ رغم أنها أدنى من تلك التي مع

العدو ـ إلّا أنها تتطور لتصبح حديثة ومتطورة نسبياً. وهنا ضمن مثل هذه الظروف؛ فإن فنّنا العسكري يبقى مستنداً إلى أساس الطبيعة الشعبية للحرب؛ على أساس السياسة والروح القتالية البطولية. وسوف يتم على هذه الأُسس تطوير كفاءة الأسلحة والمعدّات وزيادتها، كما وأن تنظيم العمليات وفنّ قيادتها سوف يرتفعان إلى مستويات أعلى، كما ستمتلك قوّاتنا المسلّحة قدرة قتالية كبيرة ومتعاظمة باستمرار.

١٠ ـ إن المؤخّرة المنظّمة تنظيماً قوياً؛ هي دائماً عامل من عوامل النصر، لأنها ستكون مصدراً للدعم السياسي والمعنوي والتعبّوي للجبهة، وهي التي تزود الجبهة بالقدرة البشرية والماديّة، والمال من أجل شنّ الحرب. وكلما تطوّرت الحرب واتسعت؛ كلما تعاظم دور المؤخّرة وأصبح أكثر أهمية. إننا نعلّق أهمية كبرى على دور المؤخّرة في الحرب؛ إذ أنه في اللحظة التي أُثيرت فيها مسألة الكفاح المسلّح؛ أُثيرت معها مسألة البحث عن الأماكن التي يمكن لها إخفاء القوّات المسلحة للشعب؛ وكذلك قواعد تدريب هذه القوّات وتدعيمها، وأماكن استراحتها. وبينما كان النضال الثوري يتطوّر؛ أخذنا في تشكيل المؤخّرة ودعمها وتثبيت وجودها؛ مع العمل المستمر لتطويرها من خلال العمل السياسي بين الجماهير، إلى أن أصبح لدينا دفاع وطني شعبي كامل نسبياً.

الوجيز في حياة فونجوين جياب

١٩١٢ ـ ولادة فونغوين جياب في آن كسا في مقاطعة كوانغ بينه.
١٩٢٦ ـ انضم إلى الحزب الثوري السري لڤييتنام الكبرى (تان فييت كاتش مينه دانغ).
١٩٣٠ ـ أُلقي به في السجن لقيادة تظاهرة في (هوي).
١٩٣٠ ـ حصل على شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا).
١٩٣٦ ـ الحزب الشيوعي الذي استولى على السلطة في فرنسا ينظم الحزب الشيوعي في ڤييتنام.
١٩٣٧ ـ حصل على شهادة الحقوق، واشترك في النشاط الحربي ـ الشيوعي ـ.
١٩٣٨ ـ مارس عمل (مدرّس تاريخ) في مدرسة ثانغ لونغ وحصل على رتبة دكتوراه في الحقوق (وأظهر تفوقاً في الاقتصاد السياسي).
١٩٣٨ ـ تزوج من ابنة أُستاذه الجامعي (دانغ تاي ماي).
١٩٣٩ ـ اعتُقلت زوجته لنشاطها السياسي؛ وماتت في السجن سنة ١٩٤٣.
١٩٣٩ ـ هرب إلى الصين، وأقام فيها (في قلعة يينان).

١٩٤١ ـ قابل الزعيم الڤييتنامي (هوتشي مينه) الذي كلّفه بتنظيم الأنصار في جبال ڤييتنام.

١٩٤٤ ـ (٢٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ)، ظهور الجيش الڤييتنامي، وقيامه بمجموعة من العمليات على الحدود الصينية، واعتبر هذا اليوم هو عيد تشكيل الجيش الڤييتنامي..

١٩٤٥ ـ (٩ آذار ـ مارس ـ) سيطرة جياب على أقاليم كبيرة في ڤييتنام.

١٩٤٥ ـ دخول (هانوي) يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ وإعلان استقلال جمهورية ڤييتنام.

١٩٤٦ ـ (حزيران ـ يونيو ـ) استلام (جياب) للسلطة في البلاد، في غياب هوتشيه مينه، وقيادته في باريس للتفاوض مع فرنسا لمدة أربعة أشهر.

١٩٥٠ ـ (كانون الأول ـ ديسمبر ـ) بدء الحرب الڤييتنامية (الهند الصينية) ضد فرنسا.

١٩٥٤ ـ (أيار ـ مايو ـ) توقيع إتفاقية جنيف وانتهاء الحرب الڤييتنامية ـ الفرنسية.

١٩٦٥ ـ بدء الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية.

١٩٧٥ ـ انتهاء الحرب الڤييتنامية الأمريكية وانصراف جياب للعمل السياسي.

الوجيز في الحرب الڤييتنامية ـ الفرنسية

١٩٤٥ ـ ٢٣ أيلول ـ سبتمبر ـ البدايات الأولى للحرب الڤييتنامية.

١٩٤٦ ـ ٦ آذار ـ مارس ـ اعتراف فرنسا باستقلال ڤييتنام؛ وبدء المفاوضات.

١٩٤٦ ـ ٢٠ كانون الأول ـ ديمسبر ـ نداء (هوتشيه مينه) بإعلان المقاومة الشاملة للقوّات الفرنسية.

١٩٤٧ ـ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ شنّ هجوم فرنسي عام، وخسارة ٢٠ ألف جندي فرنسي.

١٩٤٨ ـ نيسان ـ أبريل ـ تحرير شمال شرق ڤييتنام المتاخم للحدود الصينية.

١٩٥٠ ـ ١٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ تحرير مدينتي (كاو بانغ) و (لانغ سون) من الفرنسيين.

١٩٥١ ـ قيام فرنسا بتصعيد الحرب الڤييتنامية (الهند الصينية).

١٩٥١ ـ ١٨ آذار ـ مارس ـ مؤتمر (ڤييت باك) الذي ضمّ ممثلين عن ڤييتنام ولاووس وكمبوديا؛ بهدف تنظيم الجهود لمجابهة الهجوم الفرنسي الشامل.

١٩٥٣ ـ وضع خطة الجنرال الفرنسي (نافار) لاجتياح ڤييتنام والقضاء على ثورتها على مراحل.

١٩٥٤ ـ ٨ آذار ـ مارس ـ سقوط (ديان بيـان فـو) في قبضة الثوار.

١٩٥٤ ـ نيسان ـ أبريل ـ توصية وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى في برلين بإنهاء (الحرب القذرة في ڤييتنام).

١٩٥٤ ـ تموز ـ يوليو ـ التوقيع على اتفـاقية بـاريس لإنهاء الحرب؛ وتقسيم ڤييتنام إلى قسمين شمالي جنوبي، يفصل بينهما خط العرض ١٧.

١٩٥٦ ـ جلاء القوّات الفرنسية عن جنوب ڤييتنام.

الوجيز في الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية

١٩٥٤ ـ ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ توقيع معاهدة (حلف جنوب شرق آسيا) والاتفاق على دعم (حكومة دييم) في جنوب ڤييتنام.

١٩٥٩ ـ كانون الثاني ـ يناير ـ بداية المقاومة المسلّحة لنظام (دييم).

١٩٦٠ ـ ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ تشكيل (جبهة التحرير الوطني، في جنوب ڤييتنام)، والإعلان عن بدء الصراع المسلّح.

١٩٦١ ـ تصعيد الصراع بزيادة حجم قوات نظام دييم؛ ودعمه بقوات أمريكية.

١٩٦٣ ـ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ انقلاب عسكري أمريكي ضد نظام دييم لفشله في قمع الثورة؛ ووقوع عدد من الانقلابات العسكرية بعد ذلك.

١٩٦٥ ـ ١٩ حزيران ـ يونيو ـ استيلاء (ثيو) على السلطة واستلام رئاسة الدولة، وتعيين (الجنرال كاوكي) رئيساً للوزراء، واتخاذ قرار بتدخل أمريكا في الحرب تدخلاً مباشراً.

١٩٦٦ ـ قيام القوّات الأمريكية بتمشيط مناطق واسعة من ڤييتنام.

١٩٦٧ ـ بلغ عدد العمليات العسكرية الأمريكية أكثر من ألف عملية هجومية.

١٩٦٨ ـ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ الصراع عند خط العرض ١٧ لمنع الأمريكيين من إقامة (خط ماكنمارا).

١٩٦٨ ـ ١٨ أيار ـ مايو ـ بداية المفاوضات الأمريكية ـ الڤييتنامية.

١٩٧٣ ـ ٢٧ كانون الثاني ـ يناير ـ انسحاب القوّات الأمريكيـة من ڤييتنام.

١٩٧٣ ـ ٢٩ نيسان ـ أبريل ـ انسحاب القوات الأمريكية من ڤييتنام.

١٩٧٥ ـ ٣٠ نيسان ـ أبريل ـ توحيد ڤييتنام، وخروج آخر جنـدي أمريكي، واستسلام كافة قوات ڤييتنام الجنوبية. . واستبدال اسم مدينة (سايغون) باسم (مدينة هوتشيه مينه).

«ليس ثمة ما هو أثمن من الاستقلال والحرية»

جياب

الفَصل الأوَّل

١ ـ قاعدة الثورة وقائدها.

٢ ـ الحرب الڤييتنامية الفرنسية.

٣ ـ طريق النصر.

٤ ـ ديان بيان فو.

٥ ـ جلاء فرنسا عن ڤييتنام.

٦ ـ التدخّل الأمريكي في ڤييتنام.

٧ ـ تصعيد الصراع المسلّح.

٨ ـ حوار الإرادات المتصارعة.

٩ ـ يوم النصر الحاسم.

١ ـ قاعدة الثورة وقائدها

سارت جحافل الجيوش الفرنسية؛ تحت رايات الثورة الفرنسية وشعاراتها؛ لتمارس عملية الاستعمار؛ متنكّرة بذلك لمبادىء الثورة وقِيمها، فاحتلت الجزائر سنة ١٨٣٠، وأخذت في بسط نفوذها على الأقاليم المجاورة (تونس والمغرب)، ثم طوّرت استعمارها في أقاليم أفريقيا الوسطى. ولما توافرت لها القدرات الكافية: البشرية والاقتصادية، سارت شوطاً جديداً في تطوير استعمارها، ووصلت أساطيلها إلى المحيط الهندي، وحطت رحالها على أرض مملكة (كوشينشين ـ ڤيتنام الجنوبية ـ)، ثم انطلقت منها إلى ڤيتنام الوسطى (مملكة أنام)، ثم إلى ڤيتنام الشمالية (تونكين)، وذلك سنة ١٨٠٨. ولم يصل القرن التاسع عشر إلى نهايته حتى كانت فرنسا قد بسطت استعمارها على ما أطلقت عليه اسم (الهند الصينية الفرنسية)[1]،

---

(١) الهند الصينية: (INDOCHINE) هي شبه الجزيرة الكبرى والواقعة إلى الجنوب الشرقي من قارة آسيا ـ بين الهند والصين ـ. يحدّها من الجنوب خليج البنغال ومضيق ملكا'(MALACCA) وبحر الصين. وأشهر أنهارها إيراوادي (IRAOUADDI)، وسالوين (SALOUEN)، ومينام (MÉNAM)، والميكونغ (MÉKONG)، والنهر الأحمر. وتشمل: برمانيا، وتايلاند، واتحاد ماليزيا، واتحاد الهند الصينية. وكانت فرنسا قد احتلّت ڤيتنام (VIET-NAM) بأقاليمها الثلاثة سنة ١٨٠٠، وأطلقت عليها اسم (اتحاد ڤيتنام) الذي ضمّ كوشنشين (COCHINCHINE)، وأنام، وتونكين، وضمت إليها كامبوديا سنة ١٨٨٨، ثم =

واحتلّت مساحة ٧٤٠ ألف كيلومتر مربع ـ أي أكثر من مساحة فرنسا ذاتها (٥٥٠, ٩٨٥) كيلومتر مربع ـ، ووجدت في الهند الصينية ما تحتاجه عملية النهب الاستعماري. فهذه الأقاليم الشاسعة غنية بزراعاتها (الأرز والبن) وغنية بثرواتها السمكية والحيوانية؛ وغنية بغاباتها، علاوة على ثروتها الباطنية. واسرع الاستعماريون لإقامة المشاريع والاستيطان واستخراج الثروات. وسار رجال الكنيسة والمبشِّرون في رُكب الاستعمار؛ لإعطاء عملية الاستعمار واجهتها الحضارية (الدينية) فتكاملت بذلك عملية الاستعمار.

كان الاستعمار الفرنسي للهند الصينية؛ يعيش بداياته أو مراحله الأولى، عندما ولد طفل، بين ملايين الأطفال الذين ولدوا في تلك اللحظة، في مقاطعة (كوانغ بينه)، وهي إحدى مقاطعات ڤييتنام الوسطى شمال خط العرض ١٧، وإحدى أفقر المقاطعات. وكان والد هذا المولود يعمل مدرِّساً؛ ولم يكن دخل المدرِّس إلّا رمزاً للبؤس والفقر؛ ولكن ذلك البؤس وتلك الفاقة لم تمنعه من العمل في التنظيمات الثورية الوطنية التي ولدت مع الاستعمار الفرنسي للبلاد؛ وأخذت على عاتقها مناهضته ومقاومته.

= أُضيفت إليها لاووس سنة ١٨٩٣، ثم إقليم كوانغ تشيو وان(KOUANG-TCHÉO - WAN) سنة ١٩٠٠، وبلغت مساحة هذه الأقاليم ٧٤٠ ألف كيلو متر مربع. وتشكّل تضاريس الهند الصينية، بصورة رئيسة، من السهول التي تمتد من الجنوب إلى الغرب، ثم المناطق الجبلية والمرتفعات التي تمتد من الشمال إلى الشرق، وتحيط بالجبال أحزمة صخرية متقطعة تنفرج عن مستنقعات تمتد إلى السهول، وإقليم (الهند الصينية) مميز بحرارته ووفرة أمطاره.

حمل الطفل الوليد ـ ابن ذاك المدرِّس ـ اسم (فونغوين جياب) وفتح عينيه للنور وظلمة الاستعمار تحيط بفجر نهاره؛ فلما بلغ الثانية عشرة من عمره؛ أنهى دراسته الابتدائية وانتقل إلى المدرسة الثانوية الوطنية (هوي)، والتي كان قد أسّسها ـ نغو دينه كا ـ، عضو المحكمة العليا، ووالد من أصبح بعدئذ رئيساً لڤييتنام الجنوبية ـ نغو دينه دييم ـ. وفي هذه المدرسة، التي اعْتُبِرت معقلاً وطنياً لبناء جيل المستقبل، درس هوتشي مينه، الذي سيصبح في يوم من الأيام رئيساً لجمهورية ڤييتنام الديموقراطية ـ الشمالية ـ. وسرعان ما وجد (فونغوين جياب) نفسه في هذا المحيط الوطني؛ وبدأت ميوله تتكشف من خلال أشعاره الوطنية المثيرة، ومن خلال دفاعه الحارّ عن الأفكار الوطنية المثالية؛ حتى إذا ما كانت سنة ١٩٢٦؛ انضم جياب إلى «حزب ڤييتنام الكبرى الثوري السرّي»[١].

ولم تكن السلطات الفرنسية غافلة عن التحرّكات الشابّة. فلما كانت سنة ١٩٣٠ اجتاحت بعض أقاليم ڤييتنام وإقليم هوي ـ مسقط رأس جياب وموطنه خاصة ـ حالة من البؤس والمجاعة، وتولّى جياب قيادة تظاهرة ضمّت ستة آلاف مزارع، فقامت السلطة الاستعمارية باعتقال جياب؛ وحكمت عليه بالسجن لمدة ثلاثة أعوام.

وعرف جياب، للمرة الأولى، طعم السجن وقسوة الحرمان من الحرية، رغم أن جياب لم يمكث في السجن أكثر من بضعة شهور؛ إذ

---

(١) حزب ڤييتنام الكبرى الثوري السري: (TAN- VIET- CACH- MENH- DANH).

أفرجت السلطة الفرنسية عنه لحسن سلوكه، فانصرف لمتابعة دراسته؛ وحصل على شهادة التعليم الثانوي ـ البكالوريا ـ، ثم انتقل إلى (هانوي) للالتحاق بالجامعة؛ واختصّ بالقانون (الحقوق)، وأقام في منزل أستاذ جامعي ڤييتنامي ـ اسمه دانغ تاي ماي ـ وتزوّج ابنته فيما بعد (سنة ١٩٣٨).

حدث في فرنسا تحوّل نحو اليسار سنة ١٩٣٦، حيث تسلّمت السلطة فيها (الجبهة الشعبية) التي ضمت أحزاب اليسار ـ الشيوعي والاشتراكي ـ (برئاسة ليون بلوم)[1]، فنشطت الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في المستعمرات الفرنسية؛ وحصل الحزب الشيوعي الڤييتنامي على ما يحتاجه من حرية العمل (الحرية السياسية وحرية النشر والصحافة والخطابة). وجاء وفد من الحزب الشيوعي الفرنسي إلى ـ الهند الصينية ـ لتنظيم الحزب الشيوعي فيها ودعمه (في شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٣٧). وتشكّلت في (الهند الصينية) الجبهة الوطنية بقيادة الحزب الشيوعي، واضطلع (جياب) بدور كبير في تنظيم الحزب، وفي إدارة أجهزته الإعلامية ـ الصحافية ـ. وتعرّف جياب في تلك الفترة على أكبر زعماء الحركة الثورية (فام فان دونغ)، ذي الخلفية الارستقراطية والذي اكتسب شعبية واسعة من خلال نضاله الثوري العنيف؛ وأصبح هو و (جياب) صديقين حميمين.

---

(١) ليون بلوم: (LÉON- BLUM) رجل دولة فرنسي ـ من مواليد باريس: (١٨٧٢ ـ ١٩٥٠). كان زعيماً للحزب الاشتراكي الفرنسي؛ شكّل حكومة (الجبهة الشعبية) سنة ١٩٣٦، واعتقله الألمان ونقلوه إلى ألمانيا سنة ١٩٤٣، ثم عاد إلى فرنسا بعد الحرب، وشكّل الحكومة الفرنسية سنة ١٩٤٦.

تخرّج (جياب) من كلية القانون سنة ١٩٣٧، وأظهر تفوّقاً في مادة (الاقتصاد السياسي)، ورغب في إكمال دراسته للحصول على درجة الدكتوراه؛ غير أن موارده المالية لم تكن كافية؛ فانصرف لتدريس (مادة التاريخ) في مدرسة (ثانغ لونغ) مما مكّنه من الحصول على درجة الدكتوراه في السنة التالية (١٩٣٨)، وهي السنة التي تزوّج فيها (جياب).

أفاد (جياب) من دراسة التاريخ وتدريسه، لربط الصراع ضد الاستعماريين بتقاليد شعبه الثورية؛ وأصالته؛ وكتب عن ذلك: «اضطر بلدنا، بحكم موقعه الجغرافي في جنوب شرق آسية، إلى خوض القتال ضد الغزوات الأجنبية قتالاً كاد أن يكون دائماً. وكان من شأن هذا الصراع المستمر للمحافظة على بقاء الأمة ووجودها؛ أن أصبح تاريخ أمّتنا ملحمة متواصلة من المآثر القتالية السامية. فمنذ بدء عهد التاريخ الميلادي ولغاية القرن الثامن عشر؛ واقتصاراً على النزاعات التي شملت نطاق الوطن كله؛ خاض شعبنا نيّفاً وعشرين حرباً من أجل تحرير الوطن، أو المحافظة على سيادته الوطنية. ولقد سيطر الإقطاعيون الأجانب على وطننا زهاء عشرة قرون؛ لم يتوقف خلالها شعبنا عن حمل السلاح لاستعادة استقلاله. كانت ثورة الشقيقتين (ترونك)[1]، التي أحرزت الظفر في كل أرجاء البلاد؛ هي الثورة الأولى، وتبعتها ثورات وانتفاضات وحروب تحرّر أخرى

---

(١) حدثت عام ٤٠ م. ضد الجيوش الإقطاعية التابعة لأسرة الهان الشرقيين (أوستراقوط).

(بقيادة السيدة تريو)[1]، و (لي بون)[2]، و (ماي توك لوان).

وكان من نتيجة الظفر الرائع الـذي أحرزه (نكـوقوييـن)[3] أن وضع نهاية لألف عام من السيطرة الأجنبية، وافتتح عصر الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية. وقد ترتّب على شعبنا؛ بغية صيانة استقلاله وسيادته، أن يخوض، وحتى القرن التاسع عشر، مجموعة من حروب الإنقاذ الوطني في وجه الغزوات الأجنبية، فكان منها حرب المقاومة في أيّام أسرة (لي) في القرن الحادي عشر (بين عامي ١٠٧٥ و ١٠٧٧) ضد غزوة أسرة (صونك)، ومن ضمنها الهجوم الاحـترازي المتميز بالتصميم والإقدام على حدّ سواء؛ والذي قاده (لي توونك كييت)، وما أعقبه من هجوم معاكس لإبادة جيوش العدوان، وكان منها حرب المقاومة التي دارت في عهد أسرة تران في القرن الثالث عشر ضد غزو المغول ـ التتار ـ؛ وهي من أحسن حروب المقاومة مثالاً في تاريخنا؛ وجرت بقيادة (ترانِ هونك داو) ودامت زهاء ثلاثين عاماً، وقد هزم فيها ثلاث مرّات (في أعوام ١٢٥١ و ١٢٨٥ و ١٢٨٧ على الترتيب)، وهو على أبواب العاصمة (تانك لونك ـ وهو الاسم القديم للعاصمة هانوي ـ)، جيشاً اشتهر بشراسته وبكفاءته العليا في الحرب، ولم يكن هذا الجيش المغولي ـ التتاري قد لقي من قبل إلّا الفوز ما بين آسية وأوروبة؛ حيث اجتاح جزءاً كبيراً من العالم القديم.

---

(١) حدثت عام ٤٤٨ م. ضد جيوش دولة (وو).

(٢) حدثت عام ٥٤٢ م. ضد الجيوش الإقطاعية التابعة لأسرة (ليانك).

(٣) جرت الموقعة عام ٩٣٨ م. على ضفاف نهر (باش دانك) وضد الجيوش الإقطاعية التابعة لأسرة الهان الجنوبيين.

وكان منها انتفاضة (لام صون ـ الناحية الجبلية في مقاطعة تـان هوا ـ) بقيادة (له لي) و (نكوين تراي) في القرن الخامس عشر، والتي تحوّلت إلى حرب تحـرّر وطني صامـدة دامت عشر سنين (١٤١٧ ـ ١٤٢٧)، فمكّنت الأمة من استعادة استقلالها بعد تسلّط أسرة مينك مدة عشرين عاماً؛ على أثر إبادة جيوش الاحتلال التابعة لهذه الأسرة عن آخرها.

وكان منها أيضاً حرب المقـاومة بقيـادة (نكوين هـو)، في القرن الثامن عشر، والذي أعاد توحيد البلاد عام ١٧٨٩، وتولى العرش باسم (قوانك ترونك)، واستند في حكمـه إلى قوة جـديدة هيّـأتها الحركة الثورية الفـلاحية الـواسعة، فسحق ٢٠٠ ألف جنـدي من جيش أسرة (تشينـك) في غضون بضعـة أيـام؛ وفي حملة خـاطفـة مذهلة؛ فهزم آخر الغزوات الإقطاعية الأجنبية على بلادنا.

وهذه الانتفاضات والحروب؛ من أجل تحرير الوطن أو الدفاع عنها؛ والتي كان شعبنا يخوضها؛ كانت تتم في مجملها بقيادة الطبقة الإقطاعية، ولكنها كانت تبدي كلها طابعاً شعبياً لا مراء فيه؛ ما دام الشعب المتّحد كالرجل الواحد قد هبّ فيها واعيـاً؛ ومعتمداً؛ في وجه الغزاة الأجانب؛ من أجل إنقاذ الوطن.

لقد كانت حروباً ذات طابع شعبي؛ فشكّلت مصـدر التقاليـد الحربية لأمّتنا؛ وكان قوامها الذكاء والبطولة وهي التي أغنت رصيد معرفتنا العسكرية؛ وما أشدّه من ثراء لدى السلف ـ الأجداد ـ.

وهكذا؛ ومنذ أواسط القرن التاسـع عشر؛ وعندمـا بدأ الغـزو

الاستعماري الفرنسي؛ وراح بلاط أسرة نكوين في الاستسلام للاستعماريين استسلاماً مشيناً، نهض شعبنا نهوض الأبطال في كل مكان؛ بقيادة رجال من كبار الوطنيين؛ فكانت ثورة (تروونك كونك دنه) سنة ١٨٦٧، وكانت ثورة (ترونك تروك) في الجنوب ما بين سنة ١٨٦١، وسنة ١٨٦٨، ثم ثورة (فان دنه فونك) في منطقة هاتنه ونكين آن ما بين سنة ١٨٨٥، وسنة ١٨٩٦، وبعدها ثورة (نكوين تيين توات) في باي ساي ـ أو سهل اليراع ـ من مقاطعة هاي هونك حالياً ما بين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٩، بالإضافة إلى ثورة (هوانك هوا تام)، الذي قاد حرب الغوار في منطقة ين تك ـ مقاطعة هاباك حالياً ـ ما بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩١٣. وبذلك لم يتمكن المستعمرون من إكمال احتلال البلاد إلاّ بعد زهاء ثلاثين عاماً، غير أن سيطرتهم بقيت مزعزعة مضطربة في كل مكان وفي كل وقت. وإذا كان شعبنا قد واجه في الماضي، وبصورة مستمرة، غزوات الأجانب الذين كانوا يمتلكون قوة أكبر من قوّته، فلقد بات على شعبنا أن يجابه، في هذه المرة، غزوة دولة رأسمالية تزيد عنه في عدد السكان وتحوز اقتصاداً وتقنية وتسليحاً متفوقاً تفوقاً واضحاً على ما هو متوافر لشعبنا».

هكذا ربط (جياب) ماضي أمّته بحاضرها؛ واعتمد على عملية الربط التاريخي والجغرافي للانطلاق في عملية بناء المستقبل عبر (الصراع المسلّح). ولم يكن يحتاج لحافز يدفعه نحو هذا الصراع؛ فقد تكفل الاستعمار ذاته بإيجاد هذا الحافز، وتعهده بالنمو من خلال ممارساته الوحشية واللاإنسانية.

عملت السلطة الاستعمارية الفرنسية في سنة ١٩٣٩؛ ومع اقتراب شبح الحرب العالمية الثانية؛ على منع نشاطات الأحزاب الشيوعية ـ داخل فرنسا وفي مستعمراتها ـ وأصدرت مذكرات توقيف واعتقال بحقّ قادة تلك الأحزاب؛ مما اضطر (جياب) وزوجته إلى الاختفاء ومغادرة (هانوي). ولكن ما إن وصل إلى مدينة (فنه ـ عاصمة مقاطعة نفي آن ـ)، في وسط ڤييتنام، حتى تمكّنت السلطات الفرنسية من إلقاء القبض على زوجته وقدّمتها إلى محكمة عسكرية فرنسية بتهمة التآمر على فرنسا، وحكم عليها بالسجن، ولم تلبث أن توفيت في سجنها سنة ١٩٤٣، بسبب معاملتها الوحشية، كما قال (جياب)، الذي كان قد وجد طريقه إلى الهرب بعد اعتقال زوجته حتى وصل إلى الصين الجنوبية، المتاخمة لحدود بلاده؛ والتي كانت تعتبر أرضاً محايدة؛ مما جعلها ملاذاً وملجأ للثوريين. وهناك أقام (جياب) في قلعة (يينان) الحصينة لمدة سنة ونصف السنة؛ حصل خلالها على خبرة عسكرية تكتيكية جيدة ـ في أعمال الوحدات المقاتلة الصغرى ـ.

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الڤييتنامي مؤتمرها الثامن في (تشينغ هسي ـ من مقاطعة كوانغسي ـ) في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤١، وحضر (جياب) هذا المؤتمر بصفته واحداً من أفضل منظّمي الحركة الشيوعية الڤييتنامية. وتقرر في المؤتمر إنشاء حركة (الڤييتمين). وقابل جياب الزعيم الڤييتنامي الكبير (هوتشي مينه)، الذي كلفه بمهمة من أصعب المهام؛ وهي إنشاء وتنظيم قوة عسكرية شيوعية تعمل داخل ڤييتنام.

وبدأ (جياب) عمله على الفور في أعالي جبال ڤييتنام ـ بين

الأقليات من القبائل الدينية التي تقيم فيها ـ. **وهنـاك؛ انضمّ إليه زعيم قبائل ثو (تشوفان ثان)، الذي كان صاحب تاريخ طويل في أعمال العنف؛ وقرر العمل لمكافحة الاستعمار الفرنسي. وقد أصبح العمل في الجبال الوعرة بدلاً من السهول؛ منذ ذلك الوقت؛ قاعدة هامة في استراتيجية جياب العسكرية.**

أمضى (جياب) زهاء سنتين؛ وهو يعمل بجهد مستمر في أعالي الجبال؛ لم يعرف النصب ولا الوهن عرف إلى نفسه سبيلاً؛ حتى إذا ما جاء شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٤ وصله أمر من (هوتشيه مينه) بتشكيل لواء للقيام بتظاهرة إعلامية عسكـرية هـدفها البـدء بتحرير ڤييتنام. وكان ما يريده (هوتشيه مينه) هو القيام بعمل يغلب عليه الطابع الإعلامي ـ السياسي؛ لاجتذاب انتباه الجماهير وإيقاظها من غفوتها.

لقد أزفّت ساعة العمل التي طالما انتظرها جياب بفارغ الصبر؛ فنظّم أول مجموعة من ٣٤ رجلاً في وادي (دينـه كا ـ بـالقرب من كاو بانغ ـ) على الحدود الصينية، وقام في ليلة رأس السنة الميـلادية (١٩٤٤/١٢/٢٥) بمهاجمة موقعين فرنسيين صغـيرين على الحـدود وقتل عناصرهما.

وهكذا وُلدت نواة الجيش الڤييتنامي في يوم ١٩٤٤/١٢/٢٢، واعْتُبِر هذا اليوم هو يوم تكوين الجيش الڤييتنامي (وهو حالياً من الأعياد الرسمية في ڤييتنام).

بدأ (جياب) عمله بعدئذ بشنّ حملة دموية هدفها تصفيـة زعماء

القرى وغيرهم من الشخصيات المعروفة بولائها للفرنسيين وبتعاونها معهم. وقد سهّل الاحتلال الياباني للهند الصينية من مهمة جياب؛ الذي ركّز جهده للاستيلاء على مخازن الأسلحة التي تركها الفرنسيون.

ولمّا لم يكن باستطاعة القوّات اليابانية فرض سيطرتها إلاّ على المدن الرئيسة؛ وإلاّ على عقد المواصلات الهامة في البلاد؛ فقد أفسح ذلك المجال أمام جياب للعمل في السهول الريفية. وما إن حلّ يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٥؛ حتى كانت قوّاته قد سيطرت على مناطق واسعة من البلاد.

وقد مارس (جياب) نشاطه ضد اليابانيين بحذر كبير، إذ كان يعرف أن الصراع ضدهم هو صراع سياسي؛ ولهذا لم يشتبك معهم إلاّ في حدود ضيّقة؛ وفي الحالات التي كان يثق فيها ثقة مطلقة بقدرته على النصر.

دخلت قوّات (جياب) العاصمة (هانوي) برفقة الزعيم (هوتشي مينه) يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ، ثم أعلن استقلال جمهورية ڤييتنام الديموقراطية يوم ٢ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٥، وعيّن جياب قائداً لجيش الشعب الڤييتنامي وقائداً لجهاز الشرطة وقوى الأمن.

جرت الانتخابات في ڤييتنام في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٦، وفاز فيها حزب الڤييتمين بالأغلبية المطلقة؛ وتم على الأثر تشكيل لجنة المقاومة الوطنية برئاسة (جياب).

واستطاع جياب أن يستحوذ على معظم صلاحيات وزارة الدفاع، فمضى لتسليح القوّات المسلّحة للجمهورية المستقلة وتنظيمها. وظهرت كفاءة (جياب) القيادية خلال الأشهر الأربعة التي أعقبت حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٦؛ والتي كان فيها (هوتشي مينه)، وأعضاء حكومته، في (باريس) لإجراء المفاوضات مع فرنسا، حيث بقي (جياب) لإدارة الأمور الداخلية للدولة. وأفاد (جياب) من هذه الفترة للقيام بحملة سريعة من أجل القضاء على أحزاب المعارضة؛ وأعدم المئات من عناصرها وفيهم بعض رفاق السلاح القدامى، مثل زعيم التروتسكيين تا ثو ثاو؛ الصديق الشخصي للزعيم هوتشي مينه. وأخيراً؛ شنّ جياب حملة تطهير عامة في ١١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٦ قضى فيها على جميع زعماء الأحزاب المعارضة، وأغلق صحيفة (ڤييتنام)، آخر صحيفة ناطقة باسم المعارضة؛ ولم يسمح لها بالعودة إلى الصدور، يوم ١٨ تموز ـ يوليو ـ، إلّا بعد أن تعهّدت بالالتزام التزاماً تاماً مع الحكم بسياسة واحدة ـ لا معارضة فيها ـ.

قام (جياب) في الوقت ذاته بتوجيه جهد مكثّف لدعم قدرة قوّاته المسلحة؛ والحصول على المزيد من الأسلحة ـ ولو عن طريق التهريب من الخارج ـ، وتنظيم وحدات مقاتلة جديدة. ونظّم قاعدتين لتدريب المقاومة وتخزين الأسلحة والذخائر. كما عمل على إقامة مصنعين لانتاج الأسلحة الخفيفة (في ثاو نا جين، وهوابينه)، وكان يؤكّد باستمرار عبر خِطاباته وأحاديثه إلى الشعب، في تلك المرحلة: «**بأنه يعتبر السلام مع الفرنسيين مجرّد وقف مؤقّت لإطلاق النار**»، وقد صدقت نبوءته بالفعل؛ إذ سرعان ما أخذت القوّات المسلحة

الفرنسية؛ والمجهّزة بالأسلحة الثقيلة والمدرعات، بالتدفق على (الهند الصينية).

وشنّ (جياب) سلسلة من العمليات العسكرية والأعمال الدفاعية الثانوية، بهدف إنقاذ قوّاته من الهجمات الفرنسية المتفوّقة بالقوى والوسائط القتالية؛ مع العمل باستمرار على تحسين أوضاع قوّاته على الجبهات؛ وأمكن له تنظيم عدد من المواقع المحصّنة التي لم تتمكن القوّات الفرنسية من زحزحته عنها أو إخراجه منها.

وقد أفاد (جياب) من قيام جمهورية الصين الشعبية، ووصول قوّاتها إلى الحدود الڤييتنامية، فقام في كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٠ بشنّ هجوم واسع على مواقع الفرنسيين بالقرب من الحدود الصينية، واستطاع تحرير جميع مراكز الحراسة الفرنسية على الحدود، وقتل ما يقارب السبعة آلاف جندي فرنسي. وقد شجّعه هذا الانتصار على مواجهة الفرنسيين في معارك تصادمية كان الفشل فيها من نصيبه؛ وكلّفه ذلك آلاف القتلى.

ولم ينكر (جياب) هزائمه، بل مضى لاستخلاص الدروس الهامة من الفشل. وأصدر على أثر ذلك أول كتيّب عن (حرب العصابات)، وضمّنه خلاصة تجاربه وخبراته، وأكّد على ضرورة اتباع (أساليب الحرب الشعبية وطرائقها)، لبلوغ النصر في مواجهة عدو متفوّق. وقد التزم بهذا النهج بعدئذ إلى أن تمّ له النصر.

كان (جياب) يعمل باستمرار على مواجهة تصعيد الحرب بتصعيد مماثل؛ وذلك عن طريق إثارة المشاعر وزجّ القوى والإفادة من أخطاء

الفرنسيين، سياسياً وعسكرياً، لاستنزاف قدرتهم المادّية؛ وتدمير رصيدهم المعنوي؛ وبصورة خاصة في وسط جماهير الشعب الڤييتنامي، للقضاء على تلك العلاقة التي نجحت فرنسا، عبر عهد استعمارها الطويل، في إقامتها مع بعض القوى الڤييتنامية. وهكذا أمكن له، حتى نهاية سنة ١٩٥٢، تكوين جيش نظامي؛ إلى جانب قوّاته شبه النظامية، بالإضافة إلى ١٥٠ ألف مقاتل منظّم في صفوف (الميليشيا الشعبية).

لقد كان عمل (جياب) على الجبهة الداخلية هو الأساس في بناء كافة مخططاته لمجابهة قوى الاستعمار الفرنسي. فكان هدفه الثابت هو حشد كافة القوى والإمكانات ضد العدو؛ مع عدم التهاون في أي تساهل أو ضعف أو مَيْل للمهادنة؛ وقد حقق بذلك نجاحاً رائعاً؛ إذ أمكن له وضع معظم الشعب الڤييتنامي، برجاله ونسائه وحتى أطفاله، في أتون الحرب؛ مما جعل من المحال على الفرنسيين تأمين الاستقرار، أو ضمان الأمن، في أي إقليم. وظهر بوضوح أن كل ما تبذله السلطة الاستعمارية الفرنسية من جهود، إنما هي جهود يائسة لا يمكن لها إعادة هذه السلطة إلى ما كانت عليه قبل الحرب، فكان الانفصال الكامل عن فرنسا هو الحلّ الوحيد لوضع نهاية (للحرب القذرة).

٢ ـ الحرب الڤييتنامية الفرنسية

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية هي البداية لحروب التحرر من الاستعمار الفرنسي؛ فقد اضطرت فرنسا بعد هزيمتها، وبعد اجتياح

القوات الألمانية لبلادها، أن (تتنازل) عن جبروتها الاستعماري، وأن تعلن استقلال الأقاليم التي كانت تستعمرها؛ حدث ذلك بخاصة في سوريا ولبنان؛ وحدث مثله في الجزائر؛ وحدث أيضاً في الهند الصينية. ولكن ما إن تمّت هزيمة ألمانيا حتى أخذت فرنسا في بذل جهودها لاستعادة ما فقدته في الحرب تحت شعار (إعادة الفتح).

وتولى (الجنرال لوكلير)(١) قيادة الفرقة المدرّعة الثانية، التي نقلتها قطع الأسطول الحربي البريطاني تنفيذاً لاتفاقية بوتسدام، وقامت بإنزالها في سايغون يوم ٢١ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٥. وبدأت هذه الفرقة هجوماً عاماً، بدعم من القوات البريطانية، التي كان قد تمّ إنزالها في جنوب ڤييتنام بهدف تجريد القوّات اليابانية من أسلحتها وإجلائها عن الأقاليم التي تحتلها. واصطدمت القوات الفرنسية على الفور بالقوات الڤييتنامية التي كانت تقوم بحراسة المراكز الحكومية (لحكومة الجمهورية الڤييتنامية الديموقراطية). ودار قتال عنيف في شوارع (سايغون) اضطرت على أثره وحدات جيش التحرير الشعبي

---

(١) الجنرال لوكلير: (PHILIPPE DE HAUTECLOQUE, DIT LECLERC)، قائد فرنسي (١٩٠٢ ـ ١٩٤٧)، اشتهر بقيادته الأسطورية للحملة الفرنسية التي نظمها في تشاد، وانطلق بها عبر الصحراء حتى وصل (فزان) في ليبيا؛ ثم قادها في الهجوم على تونس سنة ١٩٤٣. وأسند إليه الجنرال ديغول قيادة الفرقة المدرّعة الفرنسية الثانية التي تم إنزالها في النورماندي، ثم دخل بها عاصمة فرنسا ـ باريس ـ، وحرر ستراسبورغ سنة ١٩٤٤. وأسند إليه ديغول بعدئذ مركز القائد الأعلى للقوات الفرنسية في الشرق الأقصى سنة ١٩٤٥، ثم أصبح المفتش العام للقوات الفرنسية في شمال أفريقيا سنة ١٩٤٦، ومنح لقب ماريشال فرنسا سنة ١٩٥٢ اعترافاً له بجهوده في خدمة بلاده.

الڤييتنـامي للانسحـاب من المدينـة، ثم من معظم مـدن الجنوب؛ واللجوء إلى الجبال والأدغال؛ حيث عمل (جياب) على إعادة تنظيمها لشنّ حرب العصابات ضد الفرنسيين. غير أن (الجنرال لوكلير) تمكّن من الاستيلاء بسرعة على معظم المدن في جنوب ڤييتنام ووسطها؛ كما نجحت قوّاته في السيطرة على الطرق الرئيسة في البلاد؛ مما حمله على الإعلان: «**بأن احتلال ڤييتنام مرة أخرى لن يكون أكثر من نزهة عسكرية، وأن إعادة الاحتلال والتهدئة لن تستغرق أكثر من عشرة أسابيع على الأكثر**». ولقد كانت ظواهر الأمور، بحسب وجهة النظر العسكرية التقليدية، توحي بصحة ذلك التقدير؛ إذ لم يكن الجيش الڤييتنامي الوليد يمتلك، في تلك الفترة، شيئاً من الأسلحة الثقيلة، وكان كل ما هو متوافر له، من الوسائط القتالية، هو الأسلحة الخفيفة ـ الرشّاشـات والبنادق وبعض مـدافع الهـاون والقليل من الألغـام والقنابل اليدوية ـ وكان معظمهـا مصنوعـاً محلياً، وبـطرائق بدائيـة وبسيطة، وليس ذلك فحسب بل إن البنادق التي كانت في حوزته حينئذ شملت ستة عشر نوعاً مختلفاً، بعضها من الأنواع الفرنسيـة القديمة، وبعضها من النماذج اليابانية، أو النماذج الروسية القديمة التي استولى عليها اليـابانيـون منذ سنـة ١٩٠٤ (أثناء الحـرب الروسيـة اليابانية). فكانت مشكلة تأمين الذخائر اللازمة، وبكميات كـافية لهذه النماذج المختلفة في أعيرتها؛ هي من المشاكل الشديدة التعقيد والتي لم يكن هناك سبيل لحلّها. ولقد حـاول (جياب) إيجـاد الحل المناسب بالاستيلاء على الأسلحة الرئيسة لقوّات الاحتلال اليابـاني أثناء ثورة شهر آب ـ أغسطس ـ، إلاّ أنه لم ينجح في ذلـك بسبب

التزام معظم القوّات اليابانية بالبقاء في قواعدها ومعسكراتها أثناء الثورة؛ ثم انصياعها لأوامر قيادة الحلفاء التي طلبت، إلى اليابانيين الموجودين في ڤييتنام؛ بعدم تسليم الأسلحة إلّا للقوّات البريطانية، التي نزلت في جنوب ڤييتنام، ولقوات (تشانغ كاي شيك) الصينية، التي دخلت من شمال ڤييتنام. ولذلك بقيت القوّات اليابانية فترة من الزمن بعد قيام الجمهورية الديموقراطية المستقلة في ڤييتنام وهي محتفظة بسلاحها الكامل داخل معسكراتها.

ولا بدّ من إضافة سبب هام إلى مجموعة الأسباب التي تفسّر سهولة سيطرة القوّات الفرنسية على معظم مدن الجنوب؛ وهو أن الجيش الڤييتنامي، والحركة الثورية في الجنوب؛ كانت أضعف نسبياً مما كانت عليه في الشمال؛ بنتيجة تضافر مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية وحتى الجغرافية؛ إذ أن الطبيعة الجبلية، التي تشكّل ثلثي الشمال تقريباً، قد سمحت بتكوين قاعدة ثورية صلبة؛ وساعدت الثائرين على ممارسة نشاطاتهم وأعمالهم بحريّة.

ولقد كان الوضع السياسي المحلّي والدولي دقيقاً جداً ومعقداً للغاية؛ مما وضع حكومة (جمهورية ڤييتنام الديموقراطية)، والتي لم يمضِ وقت طويل على تشكيلها، أمام مأزق صعب؛ حملها على اتباع نهج سياسي مرن جداً؛ حتى تتمكّن من توطيد مركزها ودعم قدرتها. فقد كان العالم ما زال يلتقط أنفاسه بعد حرب مدمّرة استمرّت ست سنوات. وكان الاتحاد السوڤييتي موجّهاً جهده بكامله لإعادة بناء ما دمّرته الحرب في كافة المجالات؛ مع التركيز لدعم الأنظمة الاشتراكية

في دول أوروبا الشرقية؛ والتي تمّت إقامتها حديثاً، كما كانت الصين تحت حكم (تشانغ كاي شيك) تدعو إلى إقامة حكومة ائتلافية في ڤييتنام؛ بحيث تضم هذه الحكومة كل القوى. وفي الوقت ذاته كانت أمريكا وبريطانيا تدعمان عودة فرنسا إلى احتلال الهند الصينية. **وبالإضافة إلى ذلك كلّه؛ كان هناك جيش ڤييتنامي (جيش لجنة دونغ مينه هاو)، المضاد للشيوعية؛ وهو يسيطر على خمس مقاطعات في شمال ڤييتنام؛ ويدعمه ٢٠٠ ألف جندي صيني (من جيش تشانغ كاي شيك ـ الذي شكّل جيش لجنة دونغ مينه هاو ـ)**[(١)].

وكانت المجاعة التي نجمت عن الاحتلال الياباني، سنتي ١٩٤٤ و ١٩٤٥، قد أودت بحياة مليوني ڤييتنامي. وهكذا كان الإفلاس، وفقر خزانة الدولة؛ والظروف الداخلية والدولية، هو الذي أرغم الحكومة الڤييتنامية (برئاسة هوتشيه مينه) على اتباع سياسة مرنة في الداخل والخارج، فتمّ تجنّب أي صدام مع الجيش الصيني؛ وخصصت لحزب (ڤييتنام كوك دان دونغ)، أي (الكومنتانغ الڤييتنامي)، بعض المقاعد الوزارية في الحكومة الائتلافية؛ التي شُكّلت في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٦، مع تخصيص عدد من المقاعد في الجمعية الوطنية لهذا الحزب، بصورة سبقت انتخابات الجمعية الوطنية، التي جرت في ٦ كانون الثاني ـ يناير ـ. وانتقلت

---

(١) شكّل تشانغ كاي شيك هذا الجيش الڤييتنامي من عناصر حزب (ڤييتنام كوك دان دونغ)، الذي قاد الثورة ضد فرنسا سنة ١٩٣٠؛ وعندما فشل في ثورته لجأ إلى الصين، فنظمه تشانغ كاي شيك ليكون موازياً للحزب الشيوعي.

نشاطات الحزب الشيوعي وجبهة ڤييتمنه إلى العمل السرّي، منعاً لاستفزاز القوّات الصينية؛ وحماية لأعضائها قدر المستطاع من مجابهة (لجنة دونغ منه هاو). وأجرت الحكومة الڤييتنامية، في الوقت ذاته، مفاوضات طويلة مع فرنسا بهدف الوصول إلى تسوية سلمية؛ مستثمرة التناقض الذي برز بين الأهداف الفرنسية؛ ورغبات حكومة تشانغ كاي شيك للسيطرة على شمال ڤييتنام. **وقد انتهت هذه المفاوضات بالوصول إلى اتفاقية تمّ التوقيع عليها في ٦ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٦؛ واعترفت فيها فرنسا باستقلال دولة ڤييتنام؛ ووعدت بإيقاف أعمال العنف في الجنوب، كما وعدت بالجلاء نهائياً عن ڤييتنام في عام ١٩٥٢.**

كان كل من الطرفين المتصارعين، الڤييتنامي والفرنسي، يعرف، عن يقين، بأن ما تمّ الوصول إليه من اتفاق ليس أكثر من (هدنة مؤقتة) هدفها كسب الوقت لإكمال الاستعدادات وتغيير ظروف الصراع.

وهكذا استمرت حكومة (هوتشي مينه)[1] في دعم حرب

---

(١) هوتشي مينه: (HO- CHI- MINH) زعيم الثورة السياسي في شمال ڤييتنام، وأول رئيس لجمهوريتها (١٨٩٢ ـ ١٩٦٩). أسّس ونظم الحزب الشيوعي الڤييتنامي في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٣٠، واكتسب خبرة قتالية بالعمل مع الحزب الشيوعي الصيني، الذي كان يقوده ماوتسي تونغ، ولكن حكومة الصين الوطنية، برئاسة تشانغ كاي شيك، ألقت القبض عليه وسجنته سنة ١٩٤٢ حتى أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٣، فمضى بعد ذلك لتنظيم الحزب الڤييتنامي (فييتمينه)، الذي حدّد هدفه بخوض الصراع لتحرير الهند الصينية من الاستعمار الفرنسي. ولقي في الجنرال =

العصابات في الجنوب قدر استطاعتها؛ وبقدر ما تسمح لها مواردها، فيما كانت القيادة الفرنسية تتابع حشد قوّاتها للقيام بهجوم أكبر، ولتنفيذ خطة متكاملة للاستيلاء على السلطة في شمال ڤييتنام بصورة تدريجية، ولذلك أخذت في المماطلة، وفي إطالة أمد المفاوضات الرسمية، التي جرت في باريس من حزيران ـ يونيو ـ حتى ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٦، وهي المفاوضات التي كان هدفها الوصول إلى اتفاق دائم يضم استقلال ڤييتنام؛ ويوطّد دعائم السلام فيها. ولكن هذه المفاوضات لم تصل إلى أكثر من اتفاق عام أكّدت فيه فرنسا استمرار العمل باتفاقية ٦ آذار ـ مارس ـ، مع ترك باب المحادثات مفتوحاً.

ثم بدأت القوات الفرنسية أعمالها العدوانية يوم ١٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٦، وذلك بأنها منعت السلطات الڤييتنامية من تحصيل الرسوم الجمركية في ميناء (هايفونغ) بشمال ڤييتنام، ووقع على الأثر اشتباك عنيف مع القوات الڤييتنامية. ثم أقدم طرّاد فرنسي على قصف الأحياء السكنية في المدينة، يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ، فقتل حوالي ستة آلاف ڤييتنامي. وسقطت المدينة بكاملها في قبضة القوات الفرنسية؛ واضطرت القوّات الڤييتنامية للانسحاب نحو الضواحي؛ بعد قتال عنيف في شوارع المدينة.

= جياب الذراع التنفيذية واليد المساعدة الأولى لتحقيق أهدافه عبر الصراع المسلح. ولما انتصر على فرنسا سنة ١٩٥٤، انتقل إلى تحقيق الهدف الثاني وهو توحيد ڤييتنام، ومات قبل أن يحقق هدفه، الذي أمكن إنجازه سنة ١٩٧٥، فتمّت تسمية العاصمة (سايغون) باسمه؛ وفاء لجهوده.



القتال الصعب في الغابات، جنود فرنسيون في طريقهم لتنفيذ إحدى عملياتهم

وتابع الفرنسيون مخططهم العدواني؛ بينما استمرت حكومة (هوتشي مينه) في الدعوة إلى التفاوض سلمياً، والتزمت بعدم الإعلان عن قيام حالة الحرب بصورة شاملة؛ غير أنها أخذت، في الوقت ذاته، في إعداد نفسها لحرب طويلة الأمد.

عملت القوات الفرنسية على احتلال عدد من مكاتب الحكومة الڤييتنامية، في العاصمة ذاتها (هانوي)، في منتصف شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ، وأرسلت إلى الحكومة إنذاراً بنزع سلاح الميليشيا المحلية في المدينة؛ والاعتراف بحق السلطة الفرنسية في المحافظة على الأمن بدلاً منها. ورفضت الحكومة الڤييتنامية هذا الإنذار، فقامت الدبابات الفرنسية بقصف الأحياء الڤييتنامية في المدينة بمدافعها، يوم ١٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ، وتبع ذلك هجوم عام على العاصمة كلّها في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ، **فوجّه (هوتشي مينه) نداءه المشهور يوم ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ، ودعا الشعب الڤييتنامي إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي مقاومة شاملة؛ وحتى آخر قطرة من الدماء.**

ودار على الأثر قتال عنيف في شوارع هانوي استمر شهراً كاملاً؛ كان الهدف منه إعاقة زحف الفرنسيين السريع حتى يتم انسحاب أجهزة الحكومة إلى غابات وأدغال (ڤييت باك)، الواقعة على بُعد ١٢٠ كيلومتراً من هانوي وإلى الشمال منها. وانسحبت القوّات الڤييتنامية النظامية، بعد الانتهاء من هذه العملية في أواخر أيام شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٧؛ وانتقلت إلى العمل في الريف؛ وتركت بعض المتطوعين للقيام بأعمال المقاومة السريّة في المدينة.

ووجّه (هوتشي مينه) نداء آخر إلى الشعب الڤيتنامي، يوم ٦ شباط ـ فبراير ـ، طلب فيه تنفيذ أسلوب ـ الأرض المحروقة ـ لإعاقة زحف الفرنسيين وحرمانهم من كل ما يفيدهم.

وسرعان ما اشتعلت الحقول والمنازل بالنار الحارقة، وتم تدمير الطرق والمنشآت العامة الأخرى؛ واتسع نطاق الدمار والحريق بأكثر مما كان متوقعاً؛ مما أذهل السلطة الفرنسية. وتوطدت بذلك دعائم الحرب الشعبية؛ كما كان يخطط لها ويشرف على تنفيذها الجنرال جياب.

وظهر واضحاً منذ هذه البداية الفارق المميّز بين الاستراتيجيتين الڤيتنامية والفرنسية؛ فبينما كان (جياب) يعدّ قواته لحرب طويلة الأمد؛ كان الفرنسيون يريدونها حرباً سريعة وخاطفة؛ يستفيدون فيها من ميزة تفوّقهم بالقوى والوسائط للقضاء بسرعة على المقاومة قبل أن تمتد إلى المنطقة كلّها؛ وقبل أن تتمكن من استنزاف المزيد من القوى الاقتصادية والبشرية للفرنسيين.

بدأت قوات الجيش الڤيتنامي في ممارسة عمليات حرب العصابات ومواجهة الزحف الفرنسي؛ وذلك منذ انسحاب الحكومة الثورية إلى غابات وأدغال منطقة (ڤييت باك)، مع تجنب الصدام المباشر والحاسم قدر المستطاع.

وإزاء ذلك؛ قررت القيادة الفرنسية القيام بحملة خاطفة ضد معقل الحكومة الڤيتنامية؛ لاحتلاله وتحطيم القوة الرئيسة للجيش الڤيتنامي؛ وإنهاء الحرب قبل أن يتّسع نشاط العصابات وينتشر في



منظر لمنطقة أعالي الجبال، حيث مقرّ الثورة وقاعدتها (قمة جبل تاساشان)

كل مكان من ڤييتنام؛ وخاصة في مؤخرات الفرنسيين الزاحفين نحو المناطق المحرّرة؛ أو التي لم تحتل بعد. وقد بدأت هذه الحملة، التي سمّتها القيادة الفرنسية (بالعملية البوليسية)، في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٧ واستمرت حتى كانون الأول ـ ديسمبر ـ من السنة ذاتها. غير أن هذه الحملة لم تحقق هدفها؛ فقد تمكّنت الأجهزة الحكومية الڤييتنامية من الانسحاب إلى أماكن بعيدة ومأمونة؛ قبل أن تصل إليها قوّات الهجوم. وفشلت هذه القوات في تدمير الكتلة الرئيسة من قوّات جيش التحرير الڤييتنامي. وقد استخدمت القيادة الفرنسية قوّات كبيرة من المظليين في بداية شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ لدعم هجومها الخاطف، غير أن قوات (جياب) تجنّبت الدخول مع المظليين في معارك حاسمة؛ واكتفت بالاشتباك معها ـ بالنيران ـ وأحياناً بقوّات صغيرة ومتفرقة. وتمكنت قوّات الهجوم الفرنسي من الاستيلاء على مدينتي (كاوبانغ) و(باك كان) بعد أن التهم الحريق معظمها. ومقابل ذلك؛ خسر الفرنسيون ثلاثة آلاف

قتيل في هذه العملية. وبَقِيَتْ غالبية القرى المحيطة بالطرق والمدن تحت قبضة قوّات جياب.

مضى العام الأول من حرب المقاومة الشاملة؛ وخسر الفرنسيون حوالي عشرين ألف جندي بين قتيل وجريح، كما قدّرت النفقات الفرنسية على هذه الحرب، خلال السنة الأولى، بحدود ثلاثة مليارات فرنك فرنسي.

وتبلورت لدى (جياب) خلال هذه المرحلة الفكرة الأساسية للحرب؛ وهي المحافظة على قدرته القتالية والعمل باستمرار على تنميتها وزيادتها؛ من خلال تشابك أساليب حرب العصابات في الريف؛ مع أساليب الحرب النظامية ـ خلال معاركِ التغطية البطولية في قتال المدن ـ، مما يضمن تأمين الظروف المناسبة لحرب طويلة الأمد. واعتمد جياب في فكرته هذه على اعتماد حرب العصابات في البداية؛ وتطويرها إلى حرب نظامية متحرِّكة بصورة تدريجية؛ بحيث يبدأ الزحف لتحرير الريف، ثم الانتقال لمحاصرة العدو في المدن والمراكز المحصّنة؛ إلى أن يتم سحقه سحقاً كاملاً في نهاية الأمر. ولقد عانى الڤييتناميون كثيراً من الحرب في هذه السنة؛ إلّا أن تضحياتهم بمواردهم وبجهودهم لم تذهب هباء؛ فقد توضحت أمامهم معالم الطريق لبناء المستقبل عبر الصراع المسلّح.

أدركت القيادة الفرنسية، بعد فشلها في حملة (ڤييت باك)، أن الحرب ستطول بأكثر مما كانت تتوقعه، وأن إعادة الاحتلال والتهدئة في ڤييتنام لن تكون مجرّد نزهة ـ أو تظاهرة ـ عسكرية، كما قيل في

البداية، ولهذا أخذت في تغيير نهجها في إدارة الحرب؛ بما يتفق مع هذا التطور الجديد الذي فرضه الجنرال جياب.

عملت القيادة الفرنسية، وفقاً للخطة الجديدة، على توزيع قوّاتها على آلاف المراكز والنقاط العسكرية المحصّنة بهدف إحكام السيطرة على أرض جنوب ڤييتنام، وإدارة المواقع المحتلّة فيها، ثم أخذت في تطبيق الخطة ذاتها على أرض ڤييتنام الشمالية. وأمكن بهذه الطريقة إخضاع القسم الرئيسي من دلتا النهر الأحمر لقوات الاحتلال الفرنسي. غير أن تطبيق هذه الخطة تتطلّب زجّ قوات ضخمة؛ كما تتطلّب تقديم مخصصات مالية كبيرة في وقت كان الاقتصاد الفرنسي فيه في حالة ضعف وعجز من ظروف الاستنزاف في الحرب العالمية الثانية. ولذلك اشتدت الحاجة للدعم الأمريكي، فارتفعت قيمة المساعدات الأمريكية بصورة تدريجية[1]، وتبع ذلك، بدهياً، زيادة نفوذ الشركات الأمريكية التي أخذت في منافسة الفرنسيين على ثروات المنطقة وأسواقها. **ورافق هذا التطور ظهور أفكار استراتيجية جديدة قدّمها الأمريكيون لحلفائهم الفرنسيين مثل (فتنمة الحرب، وترك الڤييتناميين يحاربون بعضهم بعضاً) ومثل (أطعم الحرب بالحرب).**
وبنتيجة ذلك؛ قررت فرنسا تكوين (حكومة محلية تابعة لها في ڤييتنام) على أن يكون لهذه الحكومة جيشها الخاص بها ـ تحت إشراف الخبراء

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن المساعدات الأمريكية كانت تغطي نسبة ١٥ بالمائة من نفقات الحرب في الهند الصينية سنة ١٩٥٠؛ وسنة ١٩٥١؛ ثم ارتفعت إلى نسبة ٣٥ بالمائة في سنة ١٩٥٢، وأصبحت تشكّل نسبة ٤٥ بالمائة سنة ١٩٥٣، ووصلت إلى نسبة ٨٠ بالمائة سنة ١٩٥٤.

العسكريين من الفرنسيين ـ. وبدأت الاتصالات ببعض الساسة الڤييتناميين القدامى من الذين مضت على إقامتهم فترة طويلة في (هونغ كونغ) لتشكّل منهم هذه الحكومة برئاسة الأمبراطور السابق (باوداي)[1]، الذي تفقت السلطة الفرنسية معه على تسلّم الحكم في جنوب ڤييتنام يوم ٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٨ في إحدى مدن الشمال، ثم اعترفت به رسمياً في باريس يوم ٨ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٩ حيث تم الإعلان عن تعيين (باوداي) رئيساً للحكومة.

قام (جياب) بمواجهة هذا التطور بإجراء تطور مماثل؛ فوضع استراتيجيته الجديدة على أساس الاعتماد على حرب العصابات وحدها في قتال الفرنسيين وأنصارهم، مع وضع التنظيمات الأولى للحرب المتحركة؛ حيث عمل جياب على تقسيم إحدى التشكيلات الرئيسة للجيش إلى عدد من المجموعات المقاتلة الصغرى؛ والمستقلة في عملها وفي قيادتها؛ ودفع بها لتتوغل عميقاً وراء خطوط الفرنسيين، للقيام بمهمة الدعاية وسط جموع الفلّاحين، في المناطق المحتلة، وتنظيمهم وتدريبهم لدعم قوّات الميليشيا في القرى التي ما زالت السلطة الشعبية قائمة فيها؛ وكذلك لمطاردة الخونة وعصابات المرتزقة

---

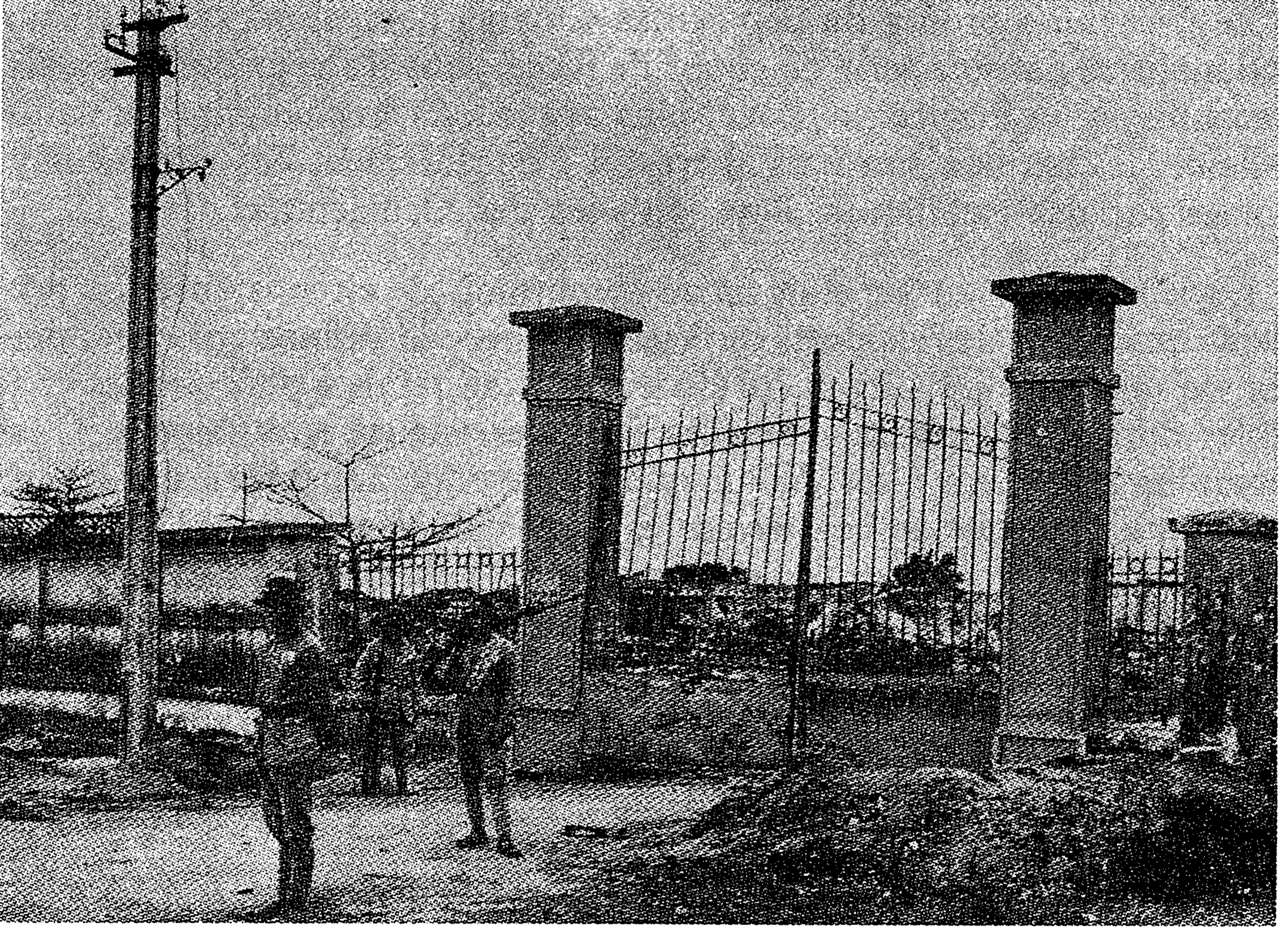
(١) باوداي: (BAO-DAÏ) سياسي ڤييتنامي؛ وُلد سنة ١٩١٣؛ وهو ابن الأمبراطور السابق أنام كاي دين: (ANNAM- KHAI- DINH)، والذي لم يخلفه أحد على العرش سنة ١٩٢٥، فتنازل باوداي عن حقه في العرش سنة ١٩٤٥، بعد فشل ثورة آب ـ أغسطس ـ، وعمل مستشاراً سياسياً للرئيس هوتشيه مينه، ثم سافر إلى هونغ كونغ في آذار ـ مارس ـ ١٩٤٨. أصبح رئيساً للدولة الڤييتنامية سنة ١٩٤٩، ثم أطاح به رئيس الحكومة (دييم) في سنة ١٩٥٥ بدعم من أمريكا.

العاملين مع السلطة الاستعمارية؛ إلى جانب شنّ حرب عصابات واسعة النطاق على مؤخرة القوّات الفرنسية؛ وتحويل هذه المؤخرة إلى جبهات متقدمة جديدة لجيش التحرير الفيتنامي؛ مما يساعد على تشكيل مناطق ثورية محرّرة؛ وقواعد ثابتة ومتحركة لقوات العصابات في المناطق المحتلة.

وقد عمل (جياب)، في الوقت ذاته، على دفع تشكيلات أكبر نسبياً ـ سرية وحتى الكتيبة على الأكثر ـ للقيام بعمليات أكثر تركيزاً وقوة؛ تكون هي الأساس للحرب النظامية المتحركة، والتي ستعمل، بتكامل وبتنسيق وتعاون كامل، مع تطور عمليات حرب العصابات التي تشنها الجماعات الصغيرة الأخرى.

وقد تمّت تجربة هذه الاستراتيجية منذ سنة ١٩٤٨ حيث اشتركت كتيبة، أو أكثر، من هذه القوات المتحركة في نصب الكمائن الكبيرة. كما قامت هذه القوات بحملات صغيرة لتحرير بعض المناطق في شمال البلاد في أواخر العام ذاته، وشنت حملات أخرى في بداية سنة ١٩٤٩، ونجحت هذه العمليات المتحركة في إنزال خسائر كبيرة نسبياً بالقوات الفرنسية؛ مما دفع السلطة الفرنسية لتشكيل لجنة تحقيق من أجل البحث في أسباب هذه الخسائر، وانتهت اللجنة من عملها ورفعت تقريرها إلى الحكومة الفرنسية؛ وهو التقرير الذي تضمّن توصية بزيادة الاعتماد على الدعم الأمريكي.

تحوّلت الحرب في فيتنام بذلك إلى حرب قوّات متداخلة؛ ليست فيها خطوط قتال محددة وثابتة؛ ولا وجود فيها للجبهة أو المؤخرة؛



الصينيّون يقومون بحراسة ما بقي لهم من مستودعات في هاي فونغ في الهند الصينية

كان الفرنسيون فيها يحاصرون القرى الڤييتنامية؛ بينما يقوم الڤييتناميون بفرض الحصار على القوات الفرنسية التي تحاصر القرى. ووجد الفرنسيون أنفسهم؛ أينما اتّجهوا وحيثما تحركوا؛ وهم وسط محيط من الشعب المسلّح الذي يواجههم بضربات محكمة، على أيدي الميليشيا المحلية؛ أو قوات العصابات؛ أو القوات النظامية المتحركة؛ مما أدّى إلى استنزاف قدرة القوات الفرنسية؛ وإلى إحباط روحها المعنوية؛ وتولد لديها الشعور بأنها تخوض حرباً لا نهاية لها.

لقد بدأت الحرب والتفوّق في القوى والوسائط لمصلحة الفرنسيين، وبالرغم من ذلك فقد كانت النتائج شبه متعادلة؛ الأمر الذي أفقد الفرنسيين صوابهم؛ فمضوا لممارسة عمليات القمع بعنف متصاعد ووحشية متزايدة، وأخذوا في تدمير القرى بحثاً عن المخازن

السرية للمواد الغذائية والتموينية ـ الأرزّ بصورة رئيسة ـ، كما أخذوا باستخدام النابالم لإحراق الحقول في المناطق المحرّرة؛ مع تدمير السدود وخزّانات المياه، على أمل حمل الڤييتناميين على حرمان القيادة الڤييتنامية من الدعم والتأييد؛ وعلى أمل إبعاد خطر العصابات أيضاً عن العاصمة هانوي والمدن الكبرى، لكن النتائج جاءت معاكسة تماماً لما أراده الفرنسيون وتوقّعوه. فأقام الفرنسيون مناطق عازلة منعوا فيها الڤييتناميين من زراعة الأرزّ تحت طائلة الحكم بالإعدام لمن يخالف ذلك، وأطلقوا على هذه المناطق اسم المناطق البيضاء، كما أخذوا في تدمير المدارس التي أقامتها الحكومة الڤييتنامية واعتبروها (بؤراً ثورية)، مما زاد من غضب الڤييتناميين ودفعهم للتلاحم مع قوّات الثورة.

٣ ـ طريق النصر

نجحت قوات (ماوتسي تونغ) الثورية في تحرير جنوب الصين من قوات (تشانغ كاي شيك) في شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٩، وأعلن عن قيام (جمهورية الصين الشعبية) في الأول من شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ من السنة ذاتها، وبهذا أصبحت الحدود الڤييتنامية الشمالية ملاصقة لحدود دولة اشتراكية.

وأفاد (جياب) من هذا التحوّل الحاسم، فنظّم ما أُطلق عليه اسم (عملية فتح الحدود)، وأطلق قوّاته لتطهير مناطق الحدود من القوّات الفرنسية. وأمكن الاستيلاء على المواقع الفرنسية الموجودة في شمالي شرقي ڤييتنام ـ على الحدود الصينية ـ، وتحرير مدينة (كاوبانغ) ومقاطعتها.

وأسرعت القيادة الفرنسية لإرسال قـوات دعم كبيرة من مـدينة (لانغ سون) القريبة، ولكن قوات (جياب) تمكنت من تنظيم كمين كبير استطاعت قوّاته تشتيت القوّات الفرنسية وتدميرها وأسر قائدها؛ مما أدّى إلى انهيار الروح المعنوية لبقية القوات المدافعة عن المدينة؛ فانسحبت من المدينة ومن المقاطعة كلها؛ واستولت عليها القـوات الڤييتنـامية، وذلـك على الـرغم من أن (جياب) لم يكن قـد وضع الاستيلاء على (لانغ سون) هدفاً له في هذه المرحلة. وتبع ذلك أيضاً قيام قوات (جياب) بتحرير مقاطعات (لوو كـاي) و (ثيا نجيـوين) و (هوابنه).

وانتهت الحملة في ١٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٠، وبدأت الصـين، على أثـر ذلـك، بتقـديم بعض المسـاعـدات العسكـريـة والاقتصادية (لجمهورية ڤييتنام الديموقراطية)، ولكن هذه المساعدات لم تصل في نسبتها إلى عشرة بالمائة من مجموع المساعدات التي قدّمتها الولايات المتحدة الأمريكية لحليفتها فرنسا طوال فترة الحرب.

تابعت قوات (جياب) أعمالها القتالية؛ فحرّرت عدداً من المناطق الأخرى في الشمال الغربي، ووسّعت قواعدها في دلتا (النهر الأحمر) بعد تحرير (هوابنه) وزادت من نشاطها هناك. وظهر اتجاه قوي في وسط القيادة الڤييتنامية، على أثـر هذه الانتصـارات، يرى ضرورة تطوير الحرب المتحركـة بسرعة، للوصـول إلى نهاية الحـرب بهجوم شامل؛ مع الاعتماد بدرجة أكبر على الدعم الخارجي الـذي كانت تقدّمه الدول الاشتراكية؛ لا سيما بعد أن اعترفت الصـين والاتحاد

السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى، في أوائل سنة ١٩٥٠، بجمهورية فييتنام الديموقراطية. ولكن القيادة الفييتنامية الثورية قاومت بشدة هذا الاتجاه؛ وأمكن لها التغلّب عليه؛ وأكّدت للجيش والشعب بأن الاعتماد على القدرات الذاتية للشعب الفييتنامي، والإفادة من جهوده كلها؛ هو السبيل الحقيقي إلى النصر في حرب المقاومة؛ وهذا لا ينتقص من أهمية الدعم العالمي لقضية تحرير فييتنام؛ أو أنه يتنكّر لأهمية المساعدات الخارجية.

وعلى كل حال؛ فإن الوضع الدولي، في سنة ١٩٥٠، لم يكن ملائماً للقيام بهجوم عام وشامل، حتى لو توافرت القدرة الداخلية للقيام بمثل هذا الهجوم؛ ذلك لأن الولايات المتحدة كانت قد ألقت بثقلها في الحرب الكورية؛ وسارت معها بقية الدول الاستعمارية؛ تحت حجّة (مقاومة الزحف الشيوعي في آسيا).

وفي هذه السنة ذاتها اعترفت أمريكا، ومعها كل الدول الغربية، (بدولة فييتنام ـ التي يرأسها باوداي ـ)، كما وقّعت اتفاقية مع فرنسا لمساعدتها ودعمها في الحرب الفييتنامية.

وبدأت الحرب في التحوّل تدريجياً إلى حرب تموّلها أمريكا وتسفك فيها الدماء الفرنسية والفييتنامية المؤيّدة والمعادية لها. وبالإضافة إلى ذلك جميعه؛ فإن قوات (الجيش النظامي الفييتنامي) لم تصل إلى الدرجة التي تمكّنها من شنّ هجوم عام وشامل؛ فكان التفكير في شنّ مثل هذا الهجوم أمراً سابقاً لأوانه.

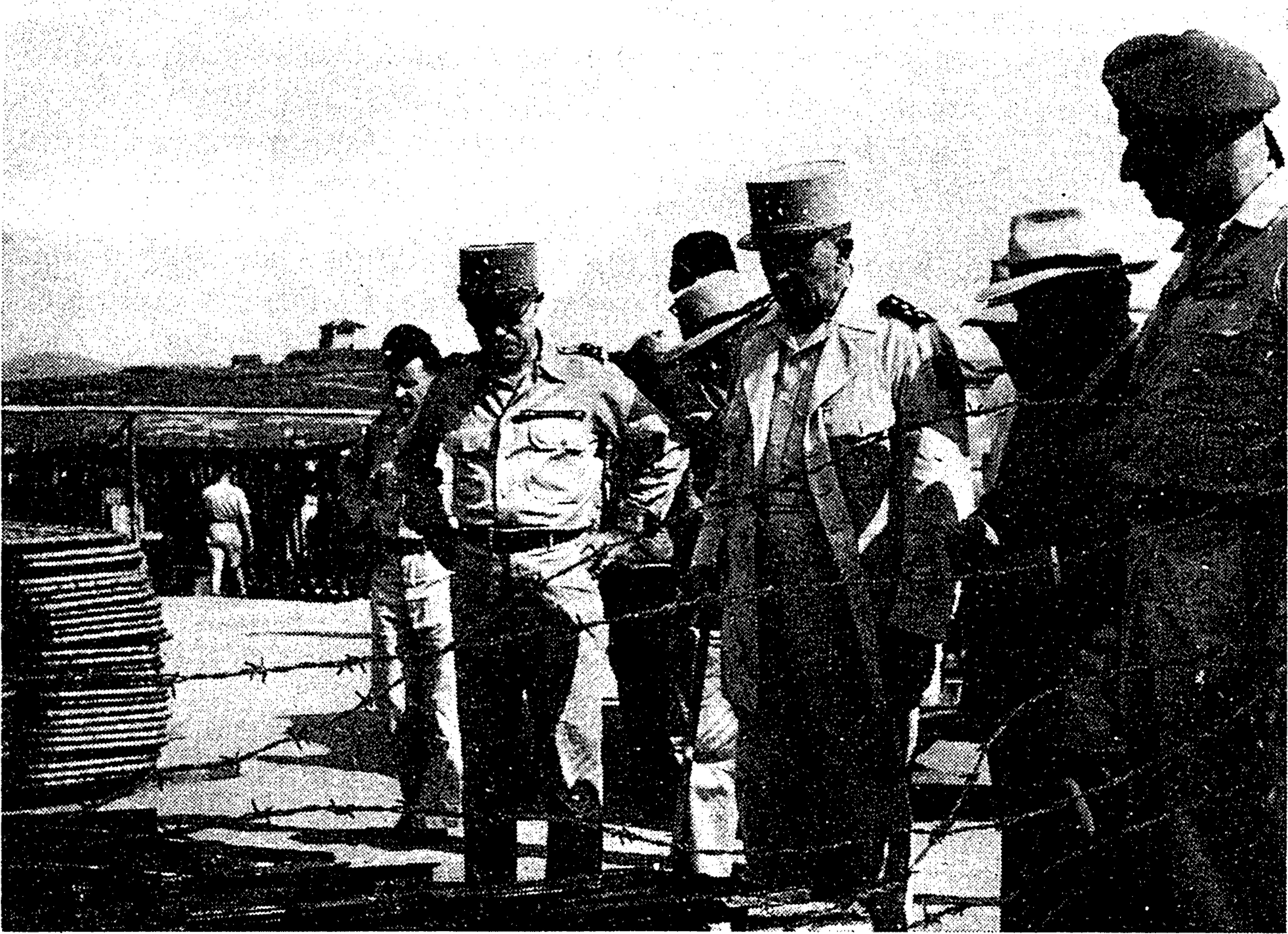
عملت القيادة الفرنسية العليا ـ بعد الهزائم، التي مُنِيَت بها

القوات الفرنسية في معارك الحدود الصينية، على تعيين قائد من أكثر قادتها المشهود لهم بالقدرة والكفاءة؛ وهو (الجنرال دولاتر دوتاسيني)[1]، الذي عمل فور وصوله إلى (الهند الصينية)، في مطلع سنة ١٩٥١؛ على زيادة حجم القوّات الفرنسية ودعمها بالقاذفات الأمريكية، كما عمل على إعادة تنظيم جيش (باوداي) وتقويته ودعمه، وشرع في تنظيم خط دفاعي لحماية دلتا (النهر الأحمر) يتكون من ٢٣٠٠ نقطة محصنة تقريباً، مبنية تحت الأرض، بالإضافة إلى إقامة مناطق خالية من السكان سميت باسم (الأحزمة الحرام)، وتحيط بمناطق الاحتلال الفرنسي بمسافة يتراوح عرضها ما بين ٥ و ١٠ كيلومترات، ثم استخدم القاذفات الأمريكية الجديدة لشنّ هجوم جوي عنيف على المناطق المحرّرة؛ فدمّر القرى والمدن الموجودة بها؛ وأحرق حقول الأرز بقنابل النابالم؛ بهدف إضعاف القدرة الاقتصادية والقدرة البشرية، وذلك تمهيداً للهجوم العام، الذي شرع في الإعداد له؛ والذي سافر من أجله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، (في أيلول - سبتمبر - ١٩٥١)، للحصول على المزيد من الدعم والمساعدات. ثم أطلق هجومه في بداية شهر تشرين الأول - اكتوبر - في عمليات

---

(١) دولاتر دوتاسيني (JEAN DE LATTRE DE TASSIGNY) هو قائد فرنسي (١٩٨٩ - ١٩٥٢) أسند إليه الجنرال ديغول، وقيادة الحلفاء، قيادة الجيش الفرنسي الأول، الذي تم إنزاله في النورماندي سنة ١٩٤٤. وقد تولّى دوتاسيني قيادة هذا الجيش حتى وصل به إلى الدانوب. وعُيِّن سنة ١٩٤٧ مفتشاً عاماً للجيش الفرنسي، ثم مستشاراً سامياً وقائداً أعلى للقوات الفرنسية في الهند الصينية سنة ١٩٥٠. ومُنِح لُقب ماريشال فرنسا سنة ١٩٥٢ تمجيداً لجهوده واعترافاً له بخدمة بلاده.

التطهير الكاسحة والعنيفة ضد مناطق الثوار الڤييتناميين في دلتا النهر الأحمر؛ ليضمن بذلك حماية مؤخّرات قوّاته قبل أن يهاجم المناطق المحرّرة. وأعاد بعد ذلك تنظيم قوّاته وحشدها وهاجم مقاطعة ومدينة (هوابنه) واحتلها في الشهر ذاته؛ ولكن حشد هذه القوات للهجوم الكبير أدّى إلى إضعاف القوّات المدافعة عن دلتا النهر الأحمر.



الجنرال دولاتر دوتاسيني وإلى يمينه الجنرال سالان وإلى يساره رئيس ڤييتنام الجنوبية (تران فان ـ هو) في فينه يين سنة ١٩٥١.

وأفاد (جياب) من ذلك، فدفع مجموعات من القوات الصغرى والتي كانت قد انسحبت أثناء عمليات التطهير الكاسحة؛ للعودة مرة أخرى إلى هناك، ومهاجمة مؤخّرات الفرنسيين بعنف وقوة؛ مما أرغم (دولاتر دوتاسيني) إلى إعادة المحاولات لتطهير دلتا النهر الأحمر من جديد، مما أضعف بالتالي قوّاته في (هوابنه)، فقام جياب بزجّ قواته

النظامية المتحركة، وهاجمها من الجانبين في (باك بو) و(هوانغ هـو) وغيرهما من الأماكن.

كان (دولاتر دوتـاسيني) يعاني من المـرض، فتم استدعـاؤه إلى فرنسا، في هذه الفترة، وحـلّ محله (الجنرال سـالان)، الذي أمـر بالمحافظة على (هوابنه) رغم تكرر هجمات قوات جياب على مجنّباتها؛ ورغم تعاظم هجمات جيش جياب على مؤخراته..

وتعرضت القوات الفرنسية لخسائر كبيرة خلال الأشهر الثلاثة من القتال العنيف في هذا الهجوم وصلت إلى ٢١ ألف جندي بين قتيل وجريح، مما حمل الجنرال سالان على إصدار أمره بالانسحـاب مرة أخـرى من (هوابنـه) ومقاطعتهـا؛ وإعادة تجميـع هذه القـوات في مراكزها الدفاعية في دلتا النهر الأحمر لمواجهة تزايد نشاط العصابات؛ واتساع قواعدها. وهكـذا تحوّلت الحـرب، حتى أصبحت بالنسبـة للفرنسيين حرب استنزاف مستمرة للقوى؛ وكان من الصعب على القيادة الفرنسية التعويض عن هذه الخسائر التي أصبحت هي العامل الأساسي الذي يتحكّم بالأعمال القتالية. ووجدت هذه القيادة نفسها أمام خيارات صعبة؛ فإذا عملت على توزيع قوّاتها على آلاف النقاط الدفاعية الحصينة للإنقاص من حجم الخسائر؛ كان من الصعب، على هذه القوات، المحافظة على الأرض؛ كما أن هذا التوزيع يضعف من قـدرة كل وحـدة عسكريـة معزولـة ويجعلها عـرضـة لهجـمات العصابات القوية أو الوحدات الكبيرة المتحركة. أما إذا عملت على حشـد القوّات للقيـام بأعـمال هجومية كبـيرة لانـتزاع المبـادأة من

الڤييتناميين، فإنها تضعف من قدرة المراكز الدفاعية وتجعلها فريسة سهلة مرة أخرى لهجمات قوات جياب التي كانت تتجنب الاشتباك العنيف مع القوات الفرنسية الضخمة، والتي كانت تتعمد باستمرار مهاجمة القوات الفرنسية المكشوفة والضعيفة نسبياً؛ مما كان يرغم القوات الفرنسية على إيقاف هجماتها الكبرى لإعادة تطهير المؤخرة وحمايتها، وهذا ما حدث بدقة عندما قاد (دولاتر دوتاسيني) هجومه الفاشل.

ومقابل ذلك؛ كان (الجنرال جياب) يطوّر قوّاته تدريجياً، من خلال العمليات المكثّفة، لتشتيت جهود الفرنسيين؛ ويزيد من حجم قواته المتحرّكة النظامية بحرية نسبية دون أن يضطر إلى توريطها في عمليات مرهقة. وبهذا تطور جيش التحرير من تنظيم الفصائل والسرايا والكتائب، التي تعمل منفصلة ومستقلة؛ إلى تنظيم الألوية والفرق الكاملة. وأصبح هذا التنظيم يضم وحدات من المدفعية الخفيفة والمهندسين والتموين؛ بعد أن كان تشكيله في البداية مقتصراً على وحدات المشاة فقط.

لقد كبر جيش التحرير ونما من خلال حرب العصابات والحرب المتحركة؛ وعن طريق تنسيق التعاون المحكم بين هذين الأسلوبين من أساليب القتال؛ واللذين دفعا بحرب المقاومة قُدماً نحو الأمام؛ وحقّقا انتصارات كثيرة.

ولقد تطورت (الحرب المتحركة) عبر القتال وأصبحت وهي تحتل المرتبة الأكثر أهمية من مرتبة (حرب العصابات)، وتكونت بصورة أكثر

وضوحاً الأشكال التنظيمية العسكرية الثلاثـة: (الجيش النظامي)، و(قـوات العصـابـات)، و(وحـدات الـدفـاع الـذاتي أو الميليشيـا المحلية). وتمايزت أكثر فأكثر مهام وواجبات كل شكل من الأشكال التنظيمية للحرب الشعبية الڤييتنامية.

عقدت القوى الثورية في منطقة الهند الصينية اجتماعاً لها، يوم ١١ آذار ـ مـارس ـ ١٩٥١، في منطقـة (ڤييت باك) المحـررة في شمال ڤييتنام، حضره ممثلون عن ڤييتنام ولاووس وكامبوديا؛ وجرى بحث تنسيق التعاون بين القوى الثورية في هذه الأقاليم لمواجهة تصعيد الحرب نتيجة لتزايد الدعم الأمريكي. وكان من نتيجة هذا الاجتماع أن قامت قوّات ڤييتنامية ـ لاووسية مشتركـة بهجوم عـلى الحاميـات الفرنسية في لاووس العليا في أوائل أيام سنة ١٩٥٢؛ واتصلت بذلك المناطق المحررة ما بين (ڤييت ـ باك) وحدود (لاووس)، وحتى داخلها أيضاً، كما قامت قوات ڤييتنامية أخرى بحملة، في الوقت ذاته، على المناطق الشمالية الغربية من ڤييتنام، فأمكن بذلك تحرير مناطق واسعة هناك وصلت حتى مدينة (ديان بيان فو)، فحصل بذلك بعض التوازن في القوى.

وشرع (جياب) في العمل لتحطيم هذا التوازن وتحويله لمصلحة الثورة الڤييتنامية؛ فأخذ في الإعداد للسيطرة على تـايلانـد لتحقيق أهداف ثلاثة:

١ ـ احتلال قاعدة للانطلاق نحو لاووس والعمـل ضد قـوّات الفرنسيين فيها.

٢ ـ تأمين الاتصال بإقليم (تايلاند).

٣ ـ الاستيلاء على محصول الأفيون (الثمين).

وكانت قوّات جياب، في هذه الفترة، قد ضمّت جيشاً نظامياً مكوّناً من ست فرق مشاة وفرقة مدفعية؛ بلغ عدد أفراده مائة ألف جندي؛ وهم على درجة عالية من الكفاءة، بالإضافة إلى ثلاثمائة ألف من قوّات الميليشيا ـ الدفاع المحلي ـ، وكذلك بالإضافة أيضاً إلى ١٢٠ ألف مقاتل في تنظيم (العصابات)، أو قوات الثورة في الريف.

وقد بدأت ثلاث فرق من جيش جياب النظامي (هي الفرق ٣٠٨ و٣١٢ و٣١٦) بعبور النهر الأسود، في يوم ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٢، واتجهت نحو الجنوب الغربي. وكانت مراكز إمدادات وتموين هذا الهجوم المركّز تصل من منطقة (توان ـ كونغ) وتمرّ من (ين ـ بي).

قرّرت القيادة الفرنسية؛ على أثر ذلك؛ تجنيب توزيع قوّاتها لاحتلال مواقع دفاعية جبهية، وعزمت على توجيه ضربة قوية ومباغتة لتدمير مستودعات قوات جياب وخطوط تموينها في المنطقة ذات الأهمية الحيوية من أرض (فودوان)، كما تمّ إعداد مخطط دقيق لاحتلال مدينة (ين ـ بي) ذاتها، والتي أصبحت قاعدة متقدمة للهجوم الڤييتنامي.

ولما لم تكن هناك قوات أرضية كافية للقيام بتنفيذ هذه العملية الكبيرة؛ ولما لم تكن هناك أيضاً طائرات كافية لنقل قوات الهجوم جواً؛ فقد تقرر الاقتصار على تنفيذ عملية الإغارة على (فو ـ دوان)

بقـوات المـظليــين، وأطلق عـلى هــذه الإغـارة الاسم الــرمـزي ـ الاصطلاحي ـ (اللورين).

كانت مجموعة قوية من المشاة والمدرّعات الفـرنسية قـد انطلقت للهجوم من قاعدة (ڤييت تري) في بداية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٢. وقد استمرت قوات الهجوم هذه في تقدمها حتى وصلت إلى مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً من عقدة المواصلات الهامة في مـدينة (فو ـ دوان) ومن منطقتها الحيوية. وفي هذا الوقت ذاته كانت قوة من المظليين تمارس تدريبها لتنفيذ عملية (اللورين) على أرض مشـابهة لمنطقة العمليات، وقد حددت للمظليـين مهمة العمـل على تـدمير المستودعات العسكرية للقوات الڤييتنامية، ومراكز هذه القوات على جانبي شاطىء نهر (سونغ ـ شاي)، وذلك بـالتعاون مـع رتل من القوات الميكانيكيـة ـ الآلية ـ الـذي سيتحرك أرضـاً من أجل دعم المظليين ومساعدتهم (وقد أعطي لتحرك القوّات الميكـانيكية الاسم الرمزي ماربون).

وفي وقت مبكّر من فجر يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ تم إنزال المظليين للاستيلاء أولاً على الجسر القائم على نهر (سونغ ـ شاي)، ثم العمل على تدمير مستودعات القـوّات الڤييتناميـة. وكانت مجمـوعة المشاة التعبوية ودبّاباتها ـ القوّات الميكانيكية ـ قد انطلقت في تحركها خلال ليل ٨ ـ ٩ تشرين الثـاني ـ نوفمـبر ـ، للإتصـال بالمـظليين، وضمّهم تحت قيـادتها بعـد تنفيذهم لمهمتهم؛ والعمـل على تمشيط أرض المنطقة وتفتيشها في عملية يستمر تنفيذها بضعة أيام؛ وذلك قبل أن يتم انسحاب الجميع بقوة واحدة؛ للتحرك من جديد على

محور الجهد الرئيسي الذي ينطلق من (ڤييت تري).

كانت القوات الڤييتنامية قد انتشرت على أبعاد منتظمة تقريباً لحماية منطقة (فو - دوان) التي توجد فيها القواعد القريبة للإمداد ولتموين الفرقتين ٣٠٨ و٣١٢؛ وكان يقوم على حراسة هذه المستودعات زهاء مائتي رجل؛ وبالإضافة إلى ذلك كان هناك فوجان، من الفرقة ٣١٦، يعملان في المنطقة ومعهما بعض مدافع الهاون ١٢٠ مم؛ وبعض مدافع الهاوتزر من عيار ١٠٥ مم.

تكوّنت قوة المظليين المكلّفة بالهجوم من قيادة اللواء وهيئة أركانه ومن ثلاثة أفواج: «فوجين من المظليين المتطوعين وفوج من المظليين من رجال المستعمرات، بالإضافة إلى فصيلتي مدفعية تضم كل فصيلة منهما ثلاثة مدافع عديمة الارتداد من عيار ٧٥ مم؛ وفصيلة مهندسين للعبور، وفصيلة مهندسين للتفجير». وخصص لنقل هذه القوة ٥٣ طائرة نقل - نموذج داكوتاس ٤٧ -. وكانت باستطاعة طائرات النقل القيام بعملتي نقل في اليوم؛ واستخدام المطارين الواقعين على مقربة من (هانوي) لتنفيذ المهمة.

تقرر إنزال فَوْجَين من المظليين في الساعة ٩,٣٠ من صباح يوم ٩ تشرين الثاني - نوفمبر -، على أن يتم إنزالهما فوق منطقتين مختلفتين؛ وبحيث يتم إنزال الفوج الأول، ومعه هيئة أركان القيادة، فوق منطقة الإنزال الواقعة إلى شمال النهر، والتي كان يبلغ طولها ١٤٠٠ ياردة، وعرضها ٤٠٠ ياردة فقط، وتغطي أرضها الأعشاب وأعواد القصب الطويلة، وكانت طبيعة أرضها من النوع الوعر والصلب.

أما بالنسبة للفوج الثاني فقد تقرر إنزاله فوق منطقة تقع إلى جنوب النهر، وبلغ طولها ألف ياردة، بينما لم يتجاوز عرضها ٤٠٠ ياردة أيضاً، وكانت طبيعتها جيدة نسبياً لأنها كانت حقلاً من حقول زراعة الأرز. . .

وكان على المظليين البدء بتنفيذ مهمتهم فور وصولهم مباشرة إلى الأرض، والقضاء على القوى الموجودة في المنطقة؛ تحت حماية قاذفات القنابل ـ من نموذج ب ٢٦ ـ. وكان على قاذفات القنابل هذه أن تحلّق باستمرار فوق أرض المعركة؛ وطوال فترة تنفيذ العملية، وبعد ذلك، يتم إنزال فوج المظليين الثالث، في الساعة ١١,٣٠، على أرض المنطقة الشمالية.

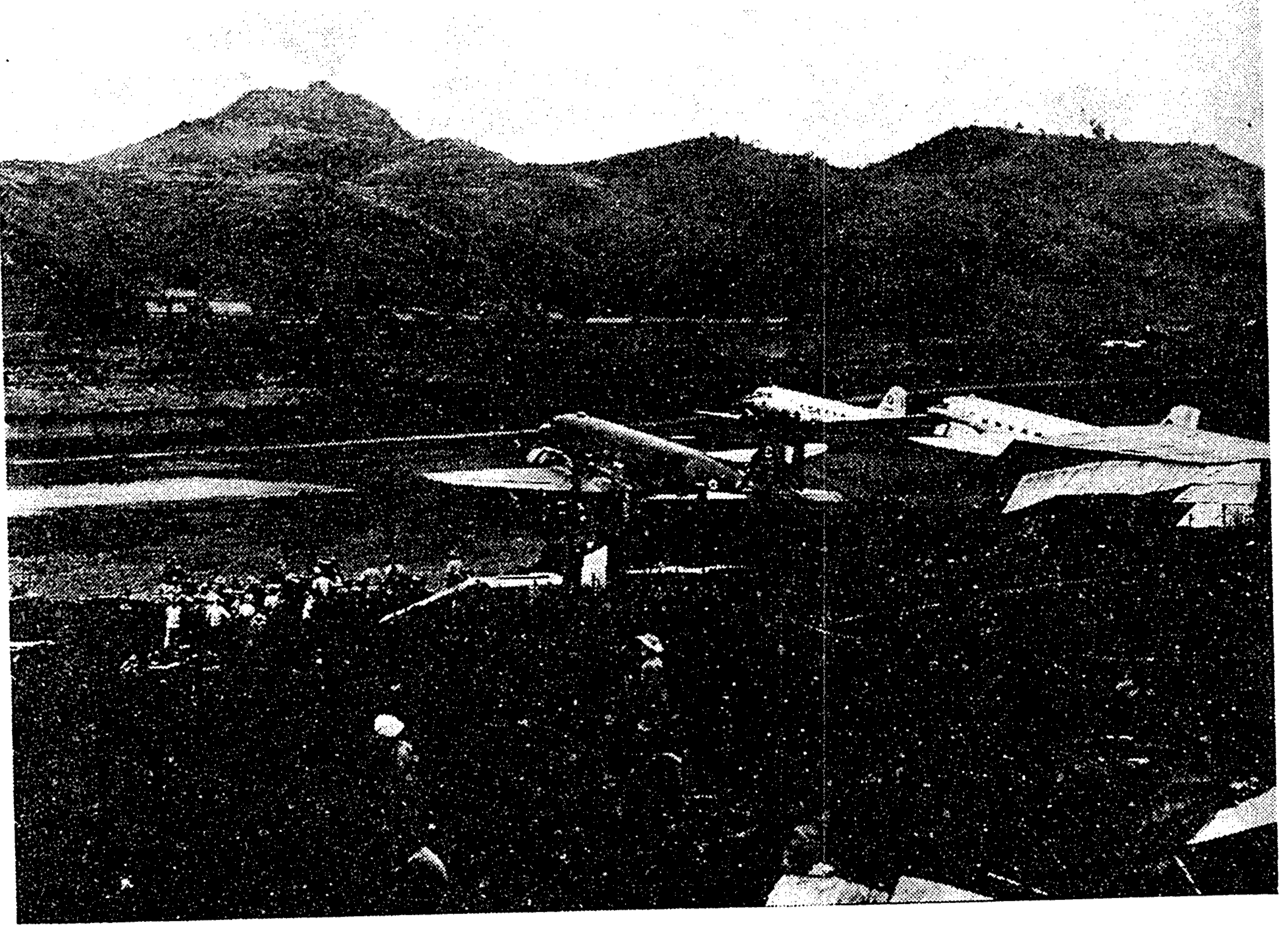
سار تنفيذ العملية بدقّة؛ ووفقاً لما تم التخطيط لها. ونجح ٢٣٥٤ مظلياً في تشكيل رأس الجسر، ولم تتجاوز خسائرهم ٧ قتلى و١٦ جريحاً، تم إخلاؤهم بالطائرات العمودية، كما نجحت الطائرات المقاتلة في تدمير مجموعات من الثوّار الڤييتناميين ممن كانوا يعملون بنشاط فوق منطقة الإنزال الواقعة إلى جنوب النهر. وتم الاتصال بالرتل الأرضي ـ الميكانيكي ـ الذي استلم قيادة وحدات المظليين في الساعة ١٧,٠٠ تقريباً.

أمكن في هذه العملية اكتشاف مستودعات كبيرة للأسلحة والذخائر والمواد التموينية، كان من بينها: ٣٤ مدفع هاون، و ٣٠ مدفعاً مضاداً للدبابات، و ٤٠ مدفعاً رشاشاً من عيار متوسط، و ٤٠ مدفعاً رشاشاً قصيراً، بالإضافة إلى مدفعين عديمي الارتداد من عيار

٥٧ مم. وأمكن الاستيلاء وللمرة الأولى على مركبة شحن روسية كبيرة ـ نموذج مولوتوفا ـ. وخلال عملية التمشيط والتفتيش، التي استمرت لمدة عدد من الأيام، والتي شملت المنطقة بكاملها، أمكن العثور على عدد من مصانع الأسلحة وتم تدميرها؛ مع تدمير المستودعات التموينية. وبدأت دوريات الاستطلاع بعد ذلك في الانتشار على محور (بن ـ بي)، وذلك منذ يوم ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ، وتم سحب المظليين ونقلهم إلى (هانوي) بعد أسبوع من القتال ومن المسيرات الشاقّة. وبذلك انتهت هذه العملية التي كان يتطلب تنفيذ ما يماثلها اشتراك خمسة أضعاف قوة المظليين، وفي مدة قد تزيد على الشهر.

ولكن هذا النصر التكتيكي للمظليين انتهى بنهاية سيئة ـ بالنسبة للمظليين ـ ذلك أن جنود جياب ـ من رجال العصابات ـ نصبوا كميناً للقوات على طريق (ڤييت ـ تري) واشترك في الكمين لواءان من الألوية النظامية، فتم قتل عدد كبير من المظليين أثناء انسحابهم؛ بالإضافة إلى تدمير عدد من الدبابات ومركبات النقل.

ولقد نجحت عملية (اللورين) في إعاقة هجوم الڤييتناميين على تايلاند؛ غير أنها لم تتمكن من منعه، إذ سرعان ما سقطت العاصمة (سونلا) قبل نهاية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ. وأصبح لزاماً على القيادة الفرنسية أن تجمع كل قواتها الصغيرة والمنتشرة فوق الجبال المحيطة بأرض (مطار ناسان). أما أفواج المظليين ذاتها، والتي كانت قد نفذت عملية اللورين؛ قد تمركزت في (ناسان) بعد يومين فقط من عودتها إلى (هانوي).



الطائرات جاثمة على أرض مطار (ناسان) لاخلاء القوات والمدنيين ١١ آب ـ أغسطس ـ ١٩٥٣ .

أصبحت معظم المناطق الجبلية في الشمال محرّرة مع بداية العام ١٩٥٣ ؛ وكانت هذه المناطق المحرّرة تعادل ثلثي مساحة ڤييتنام الشمالية، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح ثلثا قرى المناطق المحتلة محرّرة أيضاً أو تحت سيطرة العصابات ؛ إلى جانب تحرير بعض المناطق في وسط البلاد وجنوبها .

وتزايد نشاط العصابات هناك، فقررت الحكومة الفرنسية معالجة هذا الموقف بتعيين قائد جديد يحلّ محل الجنرال سالان : فتم إرسال الجنرال نافار في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٥٣ ، فكان بذلك ثامن جنرال يتولى القيادة الفرنسية في (الهند الصينية) منذ أن وصل الجنرال لوكلير إلى سايغون في ٣١ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٥ .

وقد بدأ (نافار)، فور وصوله إلى (سايغون)، بدعم وتعزيز القوّات الفرنسية والقوات الڤييتنامية التابعة لها؛ بحيث تجاوز عدد أفرادها النصف مليون جندي قرب نهاية العام ١٩٥٣. وخصص لدعم هذه القوات أسطول جوي ضم ٥٢٨ طائرة مقاتلة؛ بالإضافة إلى الطائرات العمودية - الهيليكوبتر -، وبالإضافة أيضاً إلى ٣٥٠ قطعة بحرية معظمها من سفن الحراسة النهرية.

انتهت الحرب الكورية في صيف سنة ١٩٥٣، وصار باستطاعة الولايات المتحدة أن تركّز جهدها لدعم الحرب على أرض الهند الصينية.

وبدأت الأسلحة والأموال في التدفق على الفرنسيين بسخاء، فانصرف (الجنرال نافار) للإفادة من هذا التحوّل؛ ووضع، بالتعاون مع الأمريكيين، خطة هجومية جديدة واسعة النطاق، وقد عرفت هذه الخطة فيما بعد باسم (خطة نافار)، وتضمنت القيام بالهجوم الكبير على ثلاثة مراحل يستغرق تنفيذها ثمانية عشر شهراً، يتم في المرحلة الأولى منها حشد قوات متحركة بحجم ٤٤ كتيبة في منطقة دلتا النهر الأحمر لتطهيرها من قوات جياب، وتقوم قوات المظليين، في الوقت ذاته، باحتلال مدينة (ديان بيان فو) في المنطقة الشمالية - الغربية. وبذلك تتوافر للقوات الفرنسية قاعدتان قويتان للهجوم العام، ويبدأ تنفيذ هذه المرحلة في خريف ١٩٥٣ لينتهي في بداية شاء ١٩٥٤.

أما المرحلة الثانية؛ فتبدأ في صيف سنة ١٩٥٤ - أي في فصل الأمطار حيث لا تتوقع فيه القيادة الڤييتنامية وقوع أي هجوم -، فتقوم

قوات فرنسية كبيرة أخرى باحتلال المناطق المحرّرة في جنوب البلاد وفي وسطها؛ وتطهّرها تطهيراً تاماً.

وتأتي، بعد ذلك، المرحلة الثالثة، مع بداية فصل الخريف لسنة ١٩٤٥، وتقوم خلالها القوات الفرنسية بهجوم قوي كاسح في المناطق الوسطى وتتجه نحو الشمال حيث مؤخرة القوات الڤييتنامية. وفي الوقت ذاته؛ تطبق القوات المتحركة السريعة - الميكانيكية - المحتشدة في دلتا النهر الأحمر؛ والقوات الأخرى الموجودة في (ديان بيان فو)، على القوات الڤييتنامية والمناطق المحرّرة في الشمال؛ فيتم بذلك سحق القوات الڤييتنامية بين مطرقة الجنوب وسندان الشمال؛ وتنتهي بذلك الحرب في شتاء ١٩٥٥.

بدأ (الجنرال نافار) بتنفيذ المرحلة الأولى من خطته في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٣، فقامت ٤٤ كتيبة ميكانيكية بهجمات وحشية كاسحة في منطقة دلتا النهر الأحمر لتطهيرها من قواعد العصابات، فيما قامت عصابات محلية ضمت آلاف الڤييتناميين التابعين لفرنسا؛ بأعمال قتل وتدمير في المناطق الشمالية الغربية؛ وبث الفوضى والاضطرابات هناك.

تضمنت (خطة نافار)، فيما تضمنته، إنزال قوات المظليين في (لانغ سون) الواقعة على مقربة من الحدود الصينية؛ بهدف قطع خطوط إمداد القوات الڤييتنامية.

ولما كانت (لانغ سون) تقع على مسافة بعيدة داخل المناطق المحرّرة؛ فقد جرت تجربة تدمير قواعد الإمداد فيها عن طريق

الإغـارات الجويـة المكثّفة. ولكن تبـين، بعد أسبـوع من القصف الجوي العنيف والمستمر، والذي شمل مختلف الطرق المتفرعة عن (لانغ سون)، بأن مستودعات الأسلحة والذخائر كانت محمية من كل قصف لوقوعها داخل أقبية عميقة في الجهة الشمالية من المدينة؛ مما ساعد الڤييتناميين على الاستمرار في إرسال الإمدادات لقوّاتهم على كـافة الـطرق. وكـان ذلـك يعني ضرورة احتـلال (لـونـغ سـون) والاستيلاء على الأقبية المحروسة عن طريق هجوم مباغت؛ ثم العمل على تدمير المراكز والأعتدة؛ والانسحاب بعد ذلك إلى أقرب خطوط يحتلها الفرنسيون؛ قبل ظهور أي خطر يأتي عن طريق ردّ فعل قوي يصدر عن الڤييتناميين.

وكانت أكثر المواقع الفرنسية قرباً من (لانغ سون) تقع على مسافة خط أفقي يصل إلى ٤٥ ميلاً. وكانت الأراضي الواجب اختراقها، أثناء الانسحاب، مكسوة بالغابات؛ وليس فيها إلّا القليل من الطرق والدروب. وكانت القوات الڤييتنامية المدافعة عن (لانغ سون) تتكون من فوج من القوات المحلية ـ الميليشيا ـ بالإضافة إلى سريّتين؛ على بُعد ستة أميـال فقط من الحدود الصينيـة، كما كـانت هناك بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات، والتي انتشرت في المنطقة. أما وحدات فرقة المشاة ٣٠٨ فكـانت تتمركـز على مقـربة من (تـاي ـ نغوان)، وكان باستطاعتها التدخّل خلال فترة ٤٨ ساعـة. وكانت هناك ٨ سرايا ريفية تنتشر بين (لانغ سون) وبين (تيين بين)، وكان باستطاعة هذه السرايا التدخل خلال يوم واحد؛ أما بعد يومين فإن



انزال المظليين في لانغ سون (تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٣)

قوة هذه السرايا ترتفع إلى أربعة وحتى ستة أفواج. ولهذا فقد كانت المباغتة والسرعة في التنفيذ والانسحاب هما العاملان الأساسيان لنجاح العملية بكاملها.

تضمّن مخطط العملية إنزال المظليين صباح يوم ١٧ تموز ـ يوليو ـ بمهمة تدمير مستودعات (لانغ سون) واحتلال عقدة المواصلات الحيوية القريبة من (لوك ـ بين)، المدينة الصغيرة، وذلك لحماية انسحاب مجموعة الهجوم والتدمير، كما تتحرك مجموعة أرضية من (تيين ـ بين)، يوم ١٧ ويوم ٢١ تموز ـ يوليو ـ، وتتجه نحو الغرب بمهمة مساعدة قوات المظليين أثناء انسحابهم على محور (ديان ـ لاب) ـ (تيين أين).

تم تشكيل قوة المظليين من قيادة لواء وهيئة أركان اللواء مع ثلاثة

أفواج: الفوج السادس والفوج الثامن ـ من قوات المستعمرات ـ، وفوج المظليين المختلط الثاني مع فصيلة استطلاع.

أما قوة المجموعة الأرضية فتم تشكيلها من: ثلاثة أفواج مشاة، وفوجي مغاوير ـ كوماندو ـ ومجموعة مدرعات، وسرية مهندسين ومعها ثلاث جرّافات ـ بلدوزر ـ لتسوية الطرق.

نظمت قوة احتياطية من المظليين ضمت فوجاً محمولاً جواً وبطارية مدفعية عديمة الارتداد ـ عيار ٧٥ مم ـ. وتم وضع هذه القوة الاحتياطية في مطاري (غيا ـ لام) و (باش ـ ماي) في هانوي.

تم إعداد مخططات العملية؛ وأُحيطت إجراءات التحضير لها؛ في إطار من السرية التامة، بهدف تحقيق المباغتة الكاملة بالنسبة لهدف الإغارة وزمن تنفيذها؛ وذلك لضمان ظروف النجاح. ومن أجل تحقيق هذه الغاية فقد اقتصر الإعداد للعملية على عدد قليل من القادة المسؤولين مع عدد محدود جداً من الضباط المساعدين، ولم تطبع أوامر القتال إلّا في يوم ١٥ تموز ـ يوليو ـ، وتم استنفار الوحدات المكلّفة بالتنفيذ في الساعة ١٤,٠٠ من يوم ١٦ تموز ـ يوليو ـ، وطبّق عليها نظام الحجر؛ وتم عزلها بصورة فورية.

وجرى إعلام قادة الأفواج وتلقينهم واجباتهم في الساعة ١٥,٠٠، وبعد ذلك بساعتين جرى وضع قادة السرايا ضمن إطار صورة المعركة؛ وحددت لهم واجباتهم.

وبما أنه لم يكن باستطاعة المظليين أن يحملوا معهم أكثر من

أسلحتهم الخفيفة؛ فقد تم وضع مخطط دقيق لتأمين الدعم الجوي للعملية، وتخصيص جهد كبير لهذه الغاية. وتضمن مخطط الدعم قيام الطائرات المقاتلة بالإغارة على جميع مراكز الڤييتناميين ومواقعهم التي أمكن تحديدها واكتشافها بواسطة الصور الجوية؛ مع مزاولة قصف مناطق إنزال المظليين خلال الربع ساعة التي تسبق الإنزال (س - ٥)، على أن يتم الدعم اعتباراً من (س + ١)، بناء على طلب المظليين؛ وضرب تجمعات قوات الڤييتناميين التي قد تحاول التعرض لقوات الهجوم؛ بالإضافة إلى ضرب المقاومات التي يكتشفها الطيارون بأنفسهم، ثم تستمر دوريات أسراب الطائرات المقاتلة بالتدخل بعد (س + ١)، حسب مبادأة الطيّارين، على أن تعطى أفضلية الدعم لطلبات قادة وحدات المظليين.

أما في الليل؛ فتتم إضاءة أرض المعركة بناء على طلب المظليين، وذلك بواسطة إنزال مشاعل مضيئة يتم إسقاطها من طائرات الداكوتا (ث ٤٧ س).

كانت منطقة الإنزال في (لانغ سون) عبارة عن حقل لزراعة الأرز؛ ولهذا فقد كانت جيدة للإنزال بحيث كان باستطاعة الطائرات إنزال المظليين بمرور واحد فوق المنطقة، أما منطقة الإنزال في (لوك - بين) فكانت قصيرة وضيّقة لوقوعها بين النهر وبين قريتين مجاورتين مما كان يرغم الطائرات على إنزال نصف عدد الرجال في المرور الواحد.

غادرت قيادة قوة المظليين، ومعها وحدات فوجين من المظليين، أبواب الطائرات من نموذج (ث ٤٧ س داكوتا) في الساعة ٨,١٠،

وقد بلغ عدد هذه الطائرات ٥٦ طائرة أنزلت مظلييها على أرض الإنزال القريبة من (لانغ سون).

قام الفوج الثالث من المظليين بالهبوط من ٢٩ طائرة داكوتا (ث ٤٧ س) في الساعة ١٢,١٠، وقد رافقته سرية من المهندسين. وتم الإنزال على المنطقة القريبة من(لوك مين).

كان يوم تنفيذ العملية من أيام الصيف الحارة. وجاء التنفيذ مطابقاً لما كان متوقعاً، ولما تضمنه مخطط العملية؛ وكان للمباغتة دورها الحاسم؛ فلم تصطدم قوات الهجوم إلّا بمفارز حراسة المستودعات التي أبدت مقاومة عنيفة في محاولة لتأخير الهجوم ريثما تصل النجدات، فتم قتل ٢١ مقاتلاً من الڤييتناميين؛ وأمكن أخذ خمسة من الأسرى. وتم اكتشاف مستودعات ضخمة، فأخذت وحدة المهندسين بالعمل على الفور لتدميرها؛ مستخدمة عشرة أطنان من المتفجرات كانت قد أحضرتها معها؛ وقد احتوت تلك المستودعات على: «٢٥٠ صندوقاً في كل واحد منها أربعة مدافع رشاشة تشيكية، فكان مجموعها ألف مدفع رشاش، و ٤ عربات نقل جند أمريكية كبيرة ج.م.س.، وعربتي نقل جند روسيتين كبيرتين (مولوتوفا)، و ٤ آلاف غالون من البترول، و ١٧٦٥ قدماً مكعّباً من مختلف نماذج الأعتدة والوسائط القتالية: منها ٥٥ محركاً، وقطع تبديلية الخ... و ٢٥٠ عجلة من مقاييس مختلفة، وطن واحد من الذخائر، و ٢٥٠ بارودة، و ٥٠ مسدساً رشاشاً، و ١٥ محركاً كهربائياً، و ٨ عربات معدّات كبيرة، و ١٤٠ قدماً مكعباً من الألبسة العسكرية، و ٧ أطنان

من الشاي، و ٢٠ ألف زوج من الأحذية، و ٥٠٠ صندوق لفّافات تبغ روسية، بالإضافة إلى كمية من الأجهزة الهاتفية والآلات الطابعة والوثائق الخ . . .».

انتهت عملية تدمير الكهوف وإحراق المستودعات والمظلات في الساعة ١٦,٠٠ تقريباً. وفي الوقت ذاته؛ انتهت عملية زرع الألغام على الطرق المتّجهة نحو الغرب ونحو الجنوب، وبدأتَ وحدات فوجي المظليين بالانسحاب من (لانغ سون)، وتم اللقاء مع فوج المظليين المكلّف بحماية الانسحاب في (لوك بين) والذي كان قد اتّخذ كل الترتيبات الضرورية بعبور النهر؛ مع تغطية منطقة العملية بكاملها في الاتجاه المقابل للحدود مع الصين.

كانت المسيرة الإجبارية في الانسجاب هي اختبار رياضي حقيقي لكفاءة الوحدات؛ إذ كان المسير صعباً، وزاد من صعوبته الجهد الذي بذله الجنود أثناء تنفيذ عملية الإغارة، بالإضافة إلى الحرارة الشديدة؛ مع ضرورة دفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه.

وقد التقت عناصر استطلاع وحدات المظليين مع العناصر المتقدمة للرتل الأرضي القادم من (تيين ـ بن) في الساعة ٢٣,٠٠ من يوم ١٨ تموز ـ يوليو ـ على مقربة من (ديان ـ لاب)، وبدأت عناصر الاستطلاع في العمل بسرعة لإعادة إصلاح الطرق، ثم بدأ المظليون في الصعود إلى مركبات النقل، التي كانت في انتظارهم. وفي هذا الوقت؛ بدأت في الوصول السرايا الأولى من القوات النظامية الڤييتنامية. وكانت هذه السرايا متعبة جداً بسبب ما بذلته من جهد في

محـاولتها للّحـاق بـالمظليـين والاشتبـاك معهم. وقـد شرع الجنـود الڤييتناميون بفتح نيران رشّاشاتهم، ولكن المسافة الفاصلة بين القوتين كانت بعيدة جداً، فكان وصول جند (جياب) متأخراً وبعد فـوات الأوان.

ركبت وحدات المظليين البحر من ميناء (تيين ـ بن)، في صباح يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ، وأخذت طريق العودة إلى (هانوي) عن طريق (هاي ـ فونغ). وكانت الخسائر طفيفـة؛ فمن أصل الألفي مـظلّي الذين نفذّوا العملية؛ سقط قتيل واحد؛ وضاع مفقود آخر؛ كما لفظ ثلاثة آخرون أنفاسهم أثناء المسيرة بسبب الإرهاق الذي أصابهم، بالإضافة إلى ٢١ جريحاً تم إخلاؤهم أثناء المعركة بواسطة الطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ.

عاد (الجنرال نافار) فاستخدم المظليين في ٢٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٥٤، حيث قام المظليون بالإنزال على (ديـان بيان فـو) وقامـوا باحتلالها تمهيداً لضمّ الشمال الغربي من ڤييتنام بكامله[1].

ولم يقف (جياب) جامداً؛ أو ينتظر تطوّرات الموقف، بل حشد

---

(١) استخدم الفرنسيون قوات المظليين على نطاق واسع في ڤييتنام لتنفيذ الواجبات المختلفة. وبلغ عدد عمليات المظليين الكبرى، والتي تم تنفيذها بقوة فصيلة حتى خمسة أفواج، أكثر من ١٥٠ عملية. وكان عدد المظليين في ڤييتنام ٦ آلاف جندي سنة ١٩٥٠، ثم ارتفع عددهم إلى ١١ ألف في السنة التالية. واستمرّ هذا العدد في ازدياد حتى نهاية الحرب. إلاّ أنه لم يكن هناك أكثر من مائة طائرة داكوتا للنقل، مما أعاق استخدام المظليين على نطاق أكبر؛ وفي مناسبات أكثر.

قوّاته وسار بها نحو الشمال الغربي لدلتا النهر الأحمر، وأمكن له حماية المناطق المحرّرة؛ وتم القضاء على آلاف من الذين يتعاونون مع الفرنسيين أو يعملون معهم، وشتّت هجمات القوات الفرنسية؛ وشرع في حصار (ديان بيان فو) الأمر الذي دفع (نافار) إلى تعزيز هذه المنطقة بجزء من قوّاته المتحركة من دلتا النهر الأحمر.

وفي الوقت ذاته؛ قامت القوات الڤييتنامية ـ اللاووسية المشتركة بهجوم كبير على جبهة لاووس الوسطى؛ حيث كانت قوة الفرنسيين فيها ضعيفة ومكشوفة. ونتج عن ذلك تحرير مدينة (ثانكهك) وتهديد (سينو)، وهي قاعدة جوية هامة، فقام (نافار) بإرسال تعزيزات من دلتا النهر الأحمر وغيرها من الجبهات؛ على وجه السرعة؛ إلى هناك.

ثم قامت القوّات الڤييتنامية بهجوم آخر في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٥٤، في منطقة المرتفعات الغربية بجنوب وسط ڤييتنام؛ وحرّرت مدينة (كونتم) وهددت (بليكو)، مما أرغم (نافار) على إرسال تعزيزات جديدة إليها.

وفي الشهر ذاته قامت القوّات الڤييتنامية ـ اللاووسية المشتركة بهجوم جديد في منطقة حوض (نام هو) في لاووس العليا، مهدّدة بذلك مدينة (لوانغ برابانغ)، وأرسل (نافار) إلى هناك تعزيزات أخرى.

وهكذا استطاع (الجنرال جياب) إرغام خصمه (الجنرال نافار) على تشتيت حشوده على خمس مناطق، وانخفض حجم كتائبه السريعة التي كان يتباهى بها ويتفاخر، ولم يبقَ منها إلاّ ٢٠ كتيبة فقط

في منطقة دلتا النهر الأحمر، بدلاً من ٤٤ كتيبة، فكانت بداية نهاية خطته الشهيرة.

ولقد أصبحت عمليات الحرب المتحركة في هذه المرحلة من حرب المقاومة، تحتلّ المرتبة الرئيسة من الأهمية في القتال، ولكن ذلك لم يؤدِّ إلى انكماش أو تناقص نشاط العصابات؛ وإنما زادت من عملياتها على مؤخرة القوات الفرنسية في جميع أقاليم البلاد، وبتنسيق وتكامل مع الحرب المتحرّكة.

٤ ـ ديان ـ بيان ـ فو

احتلّت قوات الفرنسيين (ديان بيان فو)، في ٢٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٥٤، تمهيداً لتطبيق المرحلة الرابعة من خطة نافار ـ على نحو ما سبق ذكره ـ. وشرعت قوّاتهم في إقامة تحصينات ضخمة في المنطقة لتحويلها إلى قاعدة قوية لإطلاق الهجوم النهائي.

وكان تحصين هذه المنطقة متوافقاً مع الاستراتيجية الفرنسية الجديدة في تطوير الدفاع عن المناطق الحيوية لمواجهة تزايد قوة الحرب المتحركة، ولهذا تم إنشاء معسكرات محصّنة خلال شتاء ١٩٥٣ـ ١٩٥٤ في كل من (ديان بيان فو) و(سينو) و(بليكو) و(لوانغ برابانغ) و(هوابنه) وغيرها.

وكانت تحصينات (ديان ـ بيان ـ فو) أقوى تلك التحصينات جميعاً وأكثرها أهمية، ولهذا فقد منع (جياب) قوّاته من مهاجمتها فور إلقاء الحصار عليها؛ لا سيما وأن هذه القوات كانت مرهقة مستنزفة بسبب

المسافات الكبيرة التي قطعتها سيراً على الأقدام؛ منذ تحركها من مواقعها الأصلية في أدغال دلتا النهر الأحمر؛ إلى أن وصلت إلى المناطق الجبلية المحيطة (بديان بيان فو). كما أن هذه القوّات لم تكن مدرّبة وقتئذ على مهاجمة مثل هذه التحصينات الضخمة، كما كانت محرومة من المدفعية الثقيلة، ولذلك اتخذ (جياب) قراره بالتوقف مؤقتاً عند حدود حصار (ديان بيان فو) وتثبيت حاميتها في داخلها، مع القيام، في الوقت ذاته، بتنظيم هجمات تشتيتية على الجبهات الأخرى مما يضعف من قوة الاحتياط الإفرنسي؛ ويبعد أنظار (الجنرال نافار) عن (ديان بيان فو)، الأمر الذي يضمن توافر المهلة الزمنية اللازمة لإجراء الاستعدادات الطويلة لمهاجمة هذا الحصن الاستراتيجي بقوة متفوقة؛ باعتبار أنه يمثّل حجر الزاوية في (خطة نافار).

وقد تم تنفيذ الهجوم في لاووس العليا، وعند المرتفعات الغربية في وسط ڤييتنام، ضمن هذه الاستراتيجية الهادفة لسحق تحصينات (ديان بيان فو) وتدميرها على رؤوس حاميتها المدافعة عنها. وقد ساعد تشتيت قوة الاحتياط الفرنسي وتثبيت حامية (ديان بيان فو) على تكثيف نشاط العصابات لدرجة كبيرة في دلتا النهر الأحمر؛ وفي وسط ڤييتنام وجنوبها، مما مكّن من عزل (ديان بيان فو) عزلاً بريّاً كاملاً، لا سيما بعد أن تم قطع الطريق رقم (٥) على أيدي العصابات، وهو الطريق الرئيسي لإمدادها، فأصبحت الحامية تحت الحصار التام في أوائل شهر آذار - مارس - ١٩٥٤، وبعيدة مئات الكيلومترات عن قواعد تموينها في (هانوي) و(سهل الجرار)، وأصبح طريق الجو هو الطريق لوحيد لإمداد وتموين الحامية المدافعة عن هذه التحصينات

ـ سواء بالرجال أو بالمواد الغذائية أو الذخائر والمحروقات وسواها من المتطلبات ـ. ولذلك قرّر (جياب) إضعاف القوة الجوية للفرنسيين قدر المستطاع بتنظيم هجوم على المطارين الرئيسين للقوات الجوية الفرنسية؛ وتدمير أكبر عدد ممكن من قاذفات القنابل الرابضة فيهما، وكان هذان المطاران هما (مطار جيالام) القريب من هانوي، و(مطار كات بي) القريب من (هاي ـ فوتغ).

وكانت القيادة الفرنسية قد نظمت دفاعاً قوياً عن هذين المطارين؛ فأحاطت كل واحد منهما بسبعة خطوط متتالية من الأسلاك الشائكة المكهربة وبحقول من الألغام؛ وبشبكة كثيفة من مواقع الرشاشات؛ بالإضافة إلى أبراج المراقبة المجهزة بالأنوار الكاشفة القوية. وقد وقع الاختيار لمهاجمة كل مطار على أربعين مقاتلاً من أفضل رجال العصابات، ثم أرسلوا إلى المناطق المحرّرة حيث اجتمع بهم (هوتشي مينه) و(الجنرال جياب) وحدّثاهم عن أهمية عمليتهم الفدائية هذه، ثم تلقّوا على الأثر تدريباً خاصاً على نماذج عملية مماثلة تماماً للمطارين ـ لكن بشكل مصغّر ـ، وتضمن التدريب أيضاً أسلوب الزحف المناسب للتقدّم بهدوء وصمت؛ ولإبطال مفعول الأسلاك المكهربة وأجهزة الإنذار المركّبة بها؛ وكيفية السباحة في مجرى النهر الأحمر، ذي التيار السريع، مع حمل الأسلحة والمتفجرات داخل أكياس من النايلون الكتيم؛ وذلك لأن المطارات كانت قائمة على جزر في وسط النهر. وعندما انتهت الاستعدادات، تم التنفيذ في شباط ـ فبراير ـ ١٩٥٤، وأمكن للقوة المهاجمة تدمير ٨٧ طائرة كانت جاثمة على أرض المطارين.

لقد كان الهجوم على (ديان بيان فـو) يشكّل تـطوراً جديـداً في أساليب الحرب الشعبية التي حددها ونظّمها (جياب). ولهذا تم عقد مؤتمر لأعضاء (اللجنة المركزية للحـزب الشيوعي) بهـدف مناقشـة مسألة الهجوم على هذه القلعة، وتقرير النهج العسكري العام الذي يحكم الفترة التاليـة من الحرب. وقـد انتهت اللجنة المـركزيـة من اجتماعها هذا باتخاذ قرار يقضي بزجّ كل القوى الرئيسة لجيش التحرير النظامي لمهاجمة ديان بيان فو لسحقها سحقاً تاماً، على أن تقوم قوّات العصابات والتنظيمات المحلية ـ الميليشيا وبقية القوّات المتحركة ـ بشنّ هجمات كثيفة أخرى في كافة أنحاء البلاد لتشتيت القوات الفرنسية؛ وحـرمانها من حـريـة العمـل والتحـرّك؛ ومنعهـا من دعم قـوّاتهـا المُحَاصَرَة.

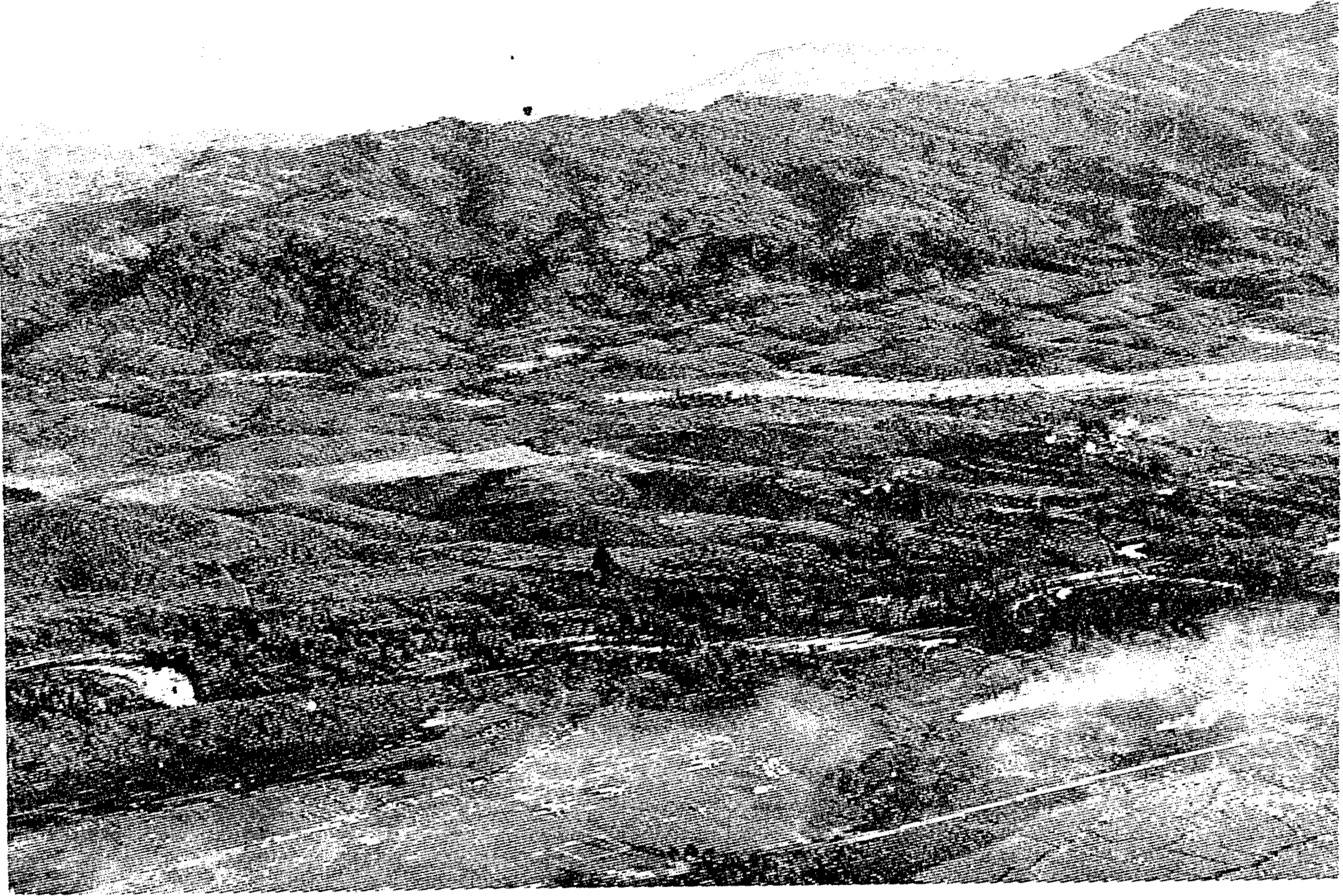
ووضع (جياب) أساليب تعبوية ـ تكتيكية ـ جديدة لشن الهجمات المباغتة والسريعة، لضمان تحقيق انتصارات حاسمة؛ يمكن بواسطتها تحطيم أُسس (خطة نافار)، ويقنع الفرنسيين بعدم جدوى استراتيجية الدفاع الجـديدة المستنـدة إلى المعسكرات المحصّنة والقوية، وبالتالي إحباط خططهم الهجومية والدفاعية على السواء؛ ودفع الحرب نحو نهايتها الحتمية.

انصرف (جياب) للإعداد لذلك الهجوم الكبير؛ فحشد أفضـل قوّاته؛ ودعمها بالمـدفعية الثقيلة التي تم نقلهـا من مسافـات بعيدة ـ تجاوزت أحياناً مائتي كيلومـتر ـ. وقد تـطلّب نقل هـذه المدفعيـة تفكيكها إلى أجزاء، وحملها على عربات تجرّها البغال؛ أو على ظهور

الرجال المتطوعين، والسير بها عبر ممرات وطرق تم اختراقها عبر الجبال والتلال والغابات، مع استخدام مختلف أنواع القوارب النهرية لعبور الأنهار والجداول والترع، كما نقلت الذخائر والمؤن، قبل المعركة وأثنائها، من مسافات تجاوزت في بعض الأحيان ٥٠٠ ـ ٧٠٠ كيلومتر. وتطلّب تنفيذ الأعمال التحضيرية هذه زجّ مئات الآلاف من الرجال والنساء الذين بذلوا جهوداً جبّارة طوال فترة الإعداد للهجوم وأثناء المعركة ذاتها، والتي استغرق تنفيذها ٥٥ يوماً وليلة.

كان معسكر (ديان بيان فو) يقع في وادٍ وسط منطقة جبلية؛ وتمتد تحصيناته لمسافة ثمانية كيلومترات طولاً وثلاثة كيلومترات عرضاً. وقد زجّت القيادة الفرنسية قوة من ١٧ كتيبة مشاة و٣ كتائب مدفعية، بالإضافة إلى وحدات مدرّعة ووحدات من المهندسين. وقد تمّ توزيع هذه القوة على ٤٩ موقعاً تشكّل بمجموعها شبكة قوية من الخنادق المحفورة تحت الأرض ومن المعاقل المحصّنة. وقد قسمت هذه الشبكة إلى ثلاث قطاعات منفصلة من التنظيمات الدفاعية القادرة على تبادل الدعم والمساعدة. وقد تمركزت قيادة الحامية، ومراكز المدفعية، والوحدات المدرّعة، ووحدات المشاة الاحتياطية الآلية ـ الميكانيكية ـ في وسط القطاع المركزي الذي كانت تحرسه مراكز قوية للمقاومة استندت إلى مجموعة التلال في شرقي المعسكر، كما كان يوجد على تخوم المعسكر مطاران أحاطت بهما الدفاعات القوية وقامت على حراستهما وحدات من القوّات الجوية.

لم يكن باستطاعة (الجنرال نافار) أن يتصوّر إمكانات نقل المدفعية



منظر جوي لمعسكر ديان بيان فو ومطاره في ٢٧ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٣

الثقيلة والمدافع المضادة للطائرات؛ والوصول بها إلى هذه المنطقة الجبلية؛ خاصة في ظل السيطرة الجوية التي كانت ترصد كل تحرّك وتعمل على إحباطه. ولكن الڤييتناميين نجحوا في نقل مدافع إلى مرابضها المموّهة؛ وركّبوها؛ ووضعوا بجوارها ما يكفيها من الذخائر؛ ومكثوا في انتظار اللحظة المناسبة التي لن يتأخّر موعدها.

ولم يكن باستطاعة (الجنرال نافار) أن يتصور قيام (جياش جياب) بالهجوم على (ديان بيان فو) المنيعة بصورة طبيعية؛ والتي زادتها التحصينات منعة وقوة على منعتها وقوّتها. أما بالنسبة لقضية الحصار؛ فإنها لم تتمكن من إثارة قلق (الجنرال نافار) لأن ملاجىء التحصينات ومستودعاتها قد شحنت بما يكفي لمعركة طويلة الأمد، كما كان المطاران المجاوران للقلعة يعملان بكفاءة وفاعلية. ولهذا كله؛ لم يكن

من الغريب أن يعتقد (نافار) اعتقاداً جازماً بأن (قلعة ديان بيان فو) هي قلعة حصينة، ولا يمكن قهرها أو التغلّب عليها، ولم يكن ضبّاط الحامية الفرنسية وجنودها أقلّ يقيناً من (نافار) باعتمادهم على تحصينات قلعتهم.

وبينما كان الجميع يستسلمون لقناعاتهم ومعتقداتهم، **خرجت المدفعية الڤييتنامية من ملاجئها في يوم ١٣ آذار ـ مارس ـ ١٩٥٤ وقذفت بحممها على أهدافها بإحكام ودقّة.**

وبُوغِتَ الفرنسيون مباغتة كاملة؛ أذهلتهم عن أمر الهجوم الذي شنّته الأنساق المتقدّمة من القوّات الڤييتنامية. وتركّز الهجوم على القطاع الشمالي من الحصن وعلى المطارين المجاورين أيضاً. وبدأت موجات مشاة الڤييتناميين بالزحف على أنساق متتالية لاقتحام التحصينات بتصميم رائع وشجاعة مذهلة. وأفاقت الحامية الفرنسية من ذهول المباغتة؛ وشرعت في الردّ بنيران كثيفة في محاولة لإيقاف الهجوم الجارف. وانطلقت الطائرات لتحرث الأرض الجرداء المحيطة بالحصن بقنابلها؛ ولتحرق الأرض بالنابالم. وهنا جاءت المباغتة الثانية التي أذهلت الفرنسيين أيضاً؛ إذ تبيّن لهم أن نيرانهم الكثيفة وقنابلهم المدمّرة لم تؤثّر كثيراً على الڤييتناميين، لأن مشاتهم كانوا يزحفون داخل خنادق تهبط من التلال إلى الوادي؛ وتحيط بالحصن من كل جهة؛ في شبكة كثيفة تؤمّن حماية نسبية للمهاجمين من قنابل الطائرات والمدافع الرشّاشة والأسلحة الأخرى. وكان الڤييتناميون يحفرون هذه الخنادق في الليل؛ بمهارة مذهلة؛ ثم يموّهونها قبل طلوع

الفجر، فكان من الصعب اكتشافها سواء بالمراقبة المباشرة أو من قِبل طائرات الاستطلاع.

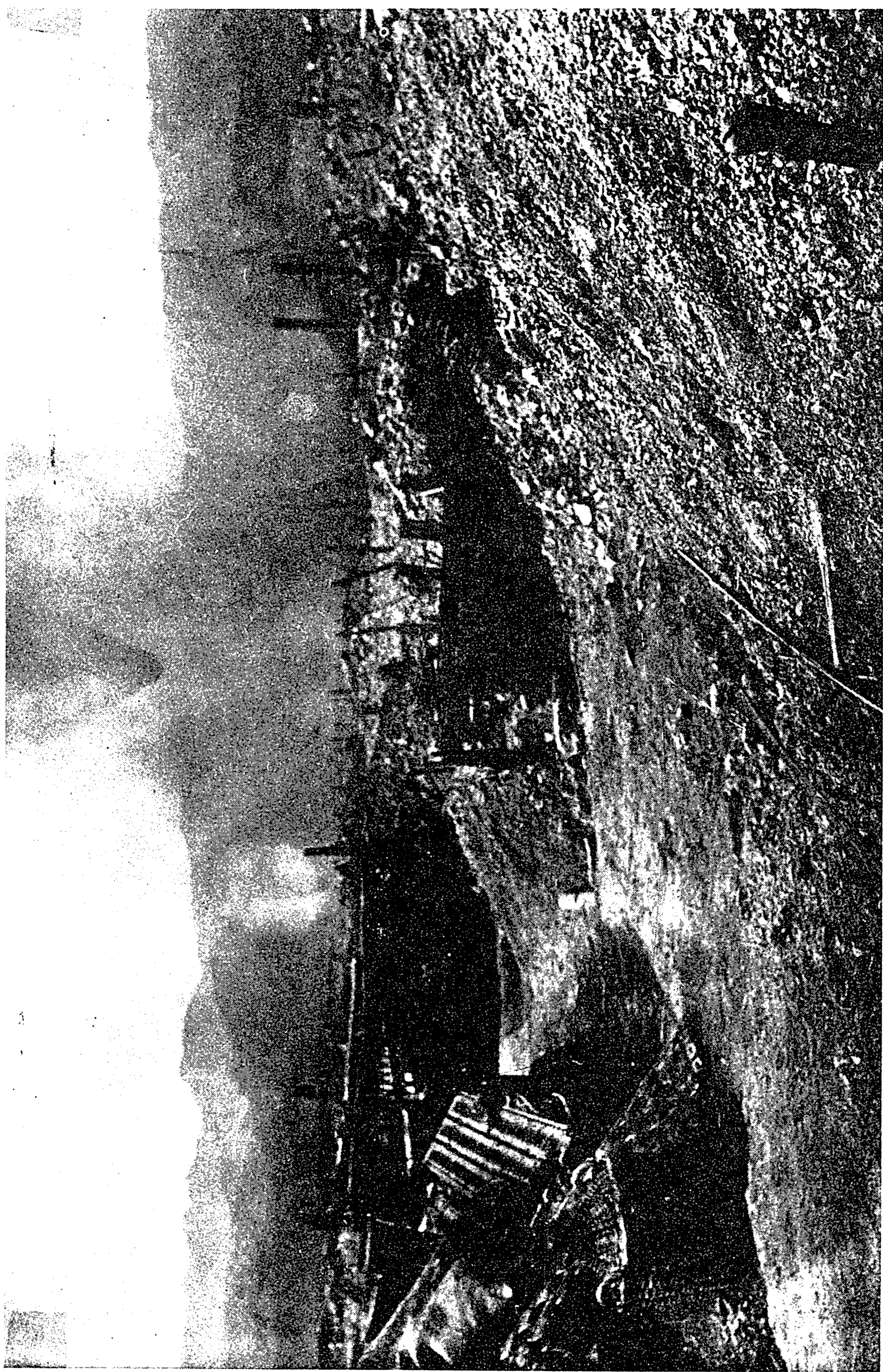
وبذلك استطاعت قوّات الهجوم الاستيلاء على القطاع الشمالي؛ ثم أخذت في استخدام خنادقه وحصونه للانطلاق نحو أهدافهم في القطاعات الأخرى؛ مع الاستمرار في تمديد شبكات الخنادق الزاحفة نحو القطاع المركزي؛ وتمكنت من عزله عن القطاع الجنوبي، وبدأت في خوض معارك عنيفة على التلال المشرفة على القطاع المركزي؛ حيث تبادل الطرفان المتصارعان السيطرة على هذه التلال مرّات عديدة. وزجّ الفرنسيون قوات دعم جديدة؛ وجلبوا المزيد من التعزيزات لدعم التحصينات وتأمين الدفاع عنها؛ غير أن القتال العنيف كان يستهلك هذا الدعم بسرعة. وقامت الطائرات الفرنسية بشنّ غارات كثيفة على قوّات الهجوم؛ وأسقطت سيلاً من القنابل على التلال المجاورة، ولكن قوات الڤييتناميين سيطرت على هذه التلال في نهاية الهجوم، الذي اعتُبِر أعنف مرحلة من مراحل المعركة كلّها؛ وأصبحت كافة مواقع الحصن الباقية، والمطارين؛ تحت السيطرة الكاملة لنيران مدفعيّتهم.

وقد ظهر في صفوف الڤييتناميين، خلال مرحلة الهجوم هذه، اتجاه لإيقاف الهجوم عند هذا الحدّ؛ والعودة إلى أسلوب الحرب المتحركة الذي كان متّبعاً من قبل، نظراً لشدة مقاومة الفرنسيين وارتفاع معدل نسبة الخسائر بين الڤييتناميين، ولكن (الجنرال جياب) أصرّ على متابعة الهجوم، وعالج الموقف بحكمة بالغة، فتمّ فتح الحوار والمناقشة بصورة مباشرة؛ داخل الخنادق وفي المؤخرة؛ خلال فترات

الهدوء النسبي، وأمكن بذلك التغلّب على التردّد، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين. وعند ذلك بدأت المرحلة النهائية من الهجوم؛ للقضاء على بقية القوة الفرنسية التي باتت محاصرة داخل حيّز ضيق من الأرض؛ لا تزيد مساحته على كيلومترين مربعين. وقد سقط القطاع المركزي في يوم ٧ أيار ـ مايو ـ، وأُسِرَت هيئة القيادة بكاملها، كما تم اجتياح القطاع الجنوبي في الليلة ذاتها، ووقع أكثر من ١٦ ألف جندي فرنسي في الأسر ـ وعلى رأسهم قائدهم (الجنرال دوكاستري) ـ و ١٦ ضابطاً برتبة عقيد هذا بالإضافة إلى وقوع كميات ضخمة من الذخائر والمواد التموينية في قبضة قوّات الهجوم ـ منها ٣٠ ألف مظلّة ـ.

تمكّنت مدفعية الڤييتناميين، المضادة للطائرات، من إسقاط ٦٢ طائرة مقاتلة فوق (ديان بيان فو). وبلغت جملة خسائر الفرنسيين، والقوات الڤييتنامية المتعاونة معها، منذ أن بدأ تنفيذ خطة نافار وحتى سقوط ديان بيان فو، حوالي ١١٠ آلاف جندي بين قتيل وجريح وأسير. وظهر واضحاً للفرنسيين أن (معركة ديان بيان فو) قد حدّدت نهاية الصراع المسلّح في غير مصلحة فرنسا، وأنه من المحال على فرنسا كسب هذه الحرب؛ مهما بذلت من جهود؛ ومهما قدّمت من تضحيات.

دوّى انتصار الڤييتناميين في (ديان بيان فو) دوي الرعد في سماء العالم. لقد عملت أجهزة الإعلام العالمية على متابعة الصراع يوماً بيوم وساعة بعد ساعة؛ ووقفت شعوب العالم ترقب ـ وهي مستنفرة الأعصاب ـ نتيجة هذا الصراع على أرض ڤييتنام.



قنابل الفيتناميين تتساقط على سقف الملجأ الحصين للقوات الفرنسية في (ديان بيان فو).

لقد استطاع الڤييتناميون إحـراز انتصارات كثـيرة عبر صراعهم الطويل ، وخسروا أيضـاً الكثير من المعـارك ؛ غير أن الاشتبـاكات السابقة، عـبر سنوات الصراع المسلّح ، كـانت محدودة في قـوّاتها ؛ محدودة في نتائجها ؛ محدودة في أهميّتها. غير أن الصراع على أرض (ديان بيان فو) أخذ شكل معركة حاسمة كبرى تجسّدت فيها الصورة المُثلىٰ لحوار الإرادات المتصارعة. إرادة توافرت لها القوى والإمكانات الضخمة غير أنها افتقرت لفهم التحولات الجديدة التي اجتاحت عالم ما بعد الحـرب العالميـة الثانيـة، والتي حملت معها ريـاح الحـريـة والتحـرّر، وقوة لم تمتلك من القـوى والوسـائط إلّا القـدر الكـافي للدفاع ، ولكنها امتلكت، في الوقت ذاته ، إرادة الحرية والتحرّر.



جرحى ينتظرون مفارز الاخلاء لإبعادهم عن ميدان المعركة

وهكـذا قرّرت (ديـان بيـان فـو)، عـبر الصراع المسلّح، نهايـة الاستعمار التقليدي - الغربي -. ولهذا لم يكن غريباً أن يستقبل العالم هـذا النصر بمزيـج مختلف من الانفعالات الهيجـانية. فبينـما كانت الشعوب، حديثة العهد بالاستقلال، أو التي تـطمح لـلاستقلال، تعتبر انتصار الڤييتناميين انتصاراً لإرادتها هي بالذات، وتجد في النهج الڤييتنامي سبيلاً لها، كانت الشعوب الاستعمارية - الغربية - تعكف على تضميد جراحها، وتنظر بأسىً إلى أيّام أمجادها الغابرة. وقد عبّر جياب عن ذلك بقوله: «**يستطيع شعبنا أن يقول بفخر: لقد أقمنا الدليل على حقيقة تاريخية عظيمة؛ وهي أنه إذا هبَّ شعب ضعيف خاضع للاستعمار؛ واتّحد في النضال؛ وصمم على القتال في سبيل استقلاله وأمنه، فسوف تتـوافر لـه القدرة الكـاملة لإيقاع الهـزيمة بجيش قوي معتدٍ تابع لبلد أمبريالي. لذلك كانت (ديان بيان فو) انتصاراً ليس لشعبنا فقط؛ بل أيضاً لكـلّ الشعوب الضعيفـة التي تناضل ضد النير الاستعماري، وذلك هو المغزى العـظيم لانتصار ديان بيان فو**». **وحقّ (للجنرال جياب) أن يفخر بهـذا الانتصار؛ الذي أحرزه على كبار قادة الحرب الفرنسيين.**

٥ ـ جلاء فرنسا عن ڤييتنام

عقد وزراء الخارجية للدول الأربع الكبرى اجتماعاً لهم في برلين، (في شهر شباط - فبراير - ١٩٥٤)، وأصدروا توصية بعقد مؤتمـر في (جنيف) لحلّ المشاكل التي خلفتها الحرب الكورية؛ ولإقرار السلام في الهند الصينية. وبناء على هذه التوصية أخذ الطرفان، الفـرنسي

والڤييتنامي، في عقد سلسلة من اللقاءات في (جنيف) بدأت في شهر نيسان ـ أبريل ـ. غير أن المباحثات في هذه اللقاءات أخذت شكل حوار مستفيض حيث كان كل طرف ينتظر تطوّرات الصراع المسلح على أرض الصراع ليدعم أهدافه السياسية.

وانهارت المواقع المحصّنة في (ديان بيان فو) يوم ٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٥٤. وفي اليوم ذاته، افتتحت في (جنيف) المباحثات لتقرير مستقبل (الهند الصينية). وجاءت في أعقاب ذلك حكومة فرنسية جديدة ـ هي الحكومة السابعة عشرة منذ سنة ١٩٤٥ ـ، وأعلن رئيس هذه الحكومة بأنه قد حصل على تأييد معظم الفرنسيين لإنهاء الحرب التي أتعبتهم طوال تسعة أعوام، وأكّد أمام المجلس الوطني الفرنسي ـ البرلمان ـ عن تصميمه لوضع حدّ نهائي للحرب قبل يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٤. وتقرّر في مناخ الاستسلام هذا تحويل المنطقة في جنوب دلتا تونكين إلى منطقة تجمّع للفيالق المقاتلة الفرنسية، واتخاذ الإجراءات الضرورية لمجابهة كل هجوم كثيف قد تقوم به قوّات ڤييتنام الشمالية. وتم وضع مخطط لسحب القوّات من الشمال، **وأعطي لهذه العملية الاسم الاصطلاحي ـ الرمزي ـ (اوفيرن)[1] وتقرر تنفيذها في الفترة من ١٨ حزيران ـ يونيو ـ حتى ٤ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٤.** .

---

(١) اوفيرن: (AUVERGNE) إقليم فرنسي قديم؛ قسم في القرن الرابع عشر إلى إمارة (دوڤينيه) وكونتية (أوفيرن)، ثم أعيد دمجها نسبياً في إقليم واحد سنة ١٥٢٧ (في عهد الملك فرنسوا الأول)، ومدينة كليرمونت فيراند هي عاصمة هذا الإقليم.



طائرة داكوتا لاخلاء الجرحى، غير أن قنابل الثوّار الفيتناميين أرغمتها على الفرار وترك الجرحى على أرض المعركة

تنفرج طبيعة المنطقة الجنوبية على البحر في الشرق والجنوب الشرقي عبر نهري (الأحمر) و (داي). والنهر الأحمر هو خطّ الاتصال الأساسي مع هانوي؛ وتتفرع عنه قنوات متعددة في إقليمي (تاي بين) و (فولي). أما (نهر داي) فيخترق (فات دييم)، ويشكّل الحد الغربي للمنطقة ما بين (نين بين) و (فولي) حيث ترتفع من هنا الهضاب الكلسية، والتي أقامت فيها القوّات الڤييتنامية ملاجئها وتحصيناتها القوية، والتي امتنعت حتى على قصف الطائرات. وقد استخدم الڤييتناميون هذه الملاجىء والتحصينات لإطلاق هجماتهم في دلتا تونكين. وكان بالمستطاع عبور معظم الأنهار والقنوات الكبيرة والكثيرة بواسطة القوارب. ولم يكن هناك إلّا طريق برّي واحد، معرّض للتدمير بصورة مستمرة عند الجسور خاصة، وهو الذي يصل الجنوب بالعاصمة (هانوي).

وكانت العقبة الخطرة تمرّ في (فولي) حيث الجسر الحديدي وحيد الاتجاه والقائم على القناة الواصلة بين (نهر داي) و (النهر الأحمر). وكان المقاتلون الڤييتناميون قد نظّموا أيضاً، إلى الغرب من (نهر داي)، شبكة كثيفة من الخنادق التي تصل حتى شاطىء النهر؛ مع ملاجىء كثيرة؛ ومواقع مجهّزة للأسلحة الآلية؛ ومرابض للمدافع المضادة للطائرات ولمدافع الهاون. وكانت المنطقة تضمّ أربع أقاليم مميّزة:

١ ـ إقليم (فات دييم) وهو إقليم يمثّل أهمية اقتصادية وسياسية؛ وقد توافرت فيه كتلة دينية قوية ومتماسكة تعمل تحت سلطة

الأسقف؛ الأمر الذي أرغم القوّات الڤييتنامية الشمالية على عزل الإقليم طوال الأشهر السابقة؛ وتنظيم هجمات عنيفة على طرق مواصلاته البرية منها والنهرية والجوية.



طلاب المدارس الدينية وهم يتلقون التعليمات الأخيرة قبل رحيلهم مع قوات الاستعمار الفرنسي.

٢ ـ إقليم (لو بوي شو) وهو إقليم ديني واقتصادي، وكان الإقليم الوحيد في تونكين الذي انتقلت فيه السلطة إلى الڤييتناميين الجنوبيين؛ والذين تولّى قيادتهم ضابط ڤييتنامي ومعه هيئة أركان ڤييتنامية ـ تحت إشراف الفرنسيين ـ وقد شهد الإقليم اشتباكات عنيفة وهجمات قوية؛ شنّتها عليه قوّات ڤييتنام الشمالية.

٣ ـ إقليم (تاي ـ بين) وقد اعتُبر ممراً للڤييتناميين حيث انتشرت فيه القرى المحصّنة والقواعد الثورية المضادة للفرنسيين؛ والذين تركّز جهدهم على حماية طرق المواصلات البرية.

٤ ـ إقليم المثلث (نام دين) و (فولي) و (نين بين)، وهو إقليم اعتبر من أشدّ أقاليم العالم كثافة واكتظاظاً بالسكان. وكانت قوات ڤييتنام الشمالية تتسلّل إلى هذا الإقليم لتمارس نشاطها فيه، مما أدّى إلى وقوع معارك ضارية واشتباكات كثيرة؛ حيث اعتبر الفرنسيون، والثوّار الڤييتناميون، هذا الإقليم بمثابة مستودع للقدرة البشرية المقاتلة التي حاول كل من الطرفين المتحاربين استثمارها والسيطرة عليها.

كانت الجماعات الدينية الكاثوليكية متماسكة وقوية ومنتشرة في كل مكان، وبصورة خاصة في (فات دييم) و (بوي شو). وكانت هذه الجماعات تمارس نشاطاً فعّالاً تحت قيادة القساوسة ورجال الكنيسة؛ لتنظيم مراكز المقاومة ضد أعمال الثوّار الڤييتناميين.

ومقابل ذلك؛ كان جهد السلطة السياسية الڤييتنامية، المؤيِّدة للفرنسيين، معدوم الأثر والفاعلية؛ ومُداناً بالقصور والتقصير. كما أن تزايد البؤس، الناجم عن ظروف الحرب، قد دفع القسم الأكبر من الڤييتناميين للتحوّل إلى جانب الثوّار الڤييتناميين؛ وتأثّر معظمهم بالانتصارات التي أحرزتها قوّات جياب؛ وقد لجأ هؤلاء إلى المناطق المحميّة بالقوات الفرنسية بحثاً عن الأمن. وعلى سبيل المثال، فقد ارتفع عدد سكان (نام دين) من ٤٠ ألفاً إلى ٨٥ ألفاً، كما ارتفع عدد سكان (تاي بين) من ٦ آلاف إلى ٤٥ ألفاً. وكانت هذه الزيادة، الناجمة عن النزوح، هي الموجة التي حملت معها الانهيار المعنوي في أعقاب انتصار قوّات جياب في (ديان بيان فو).

استطاع الجنرال جياب أن يزجّ في الإقليم قوات كبيرة ضمّت

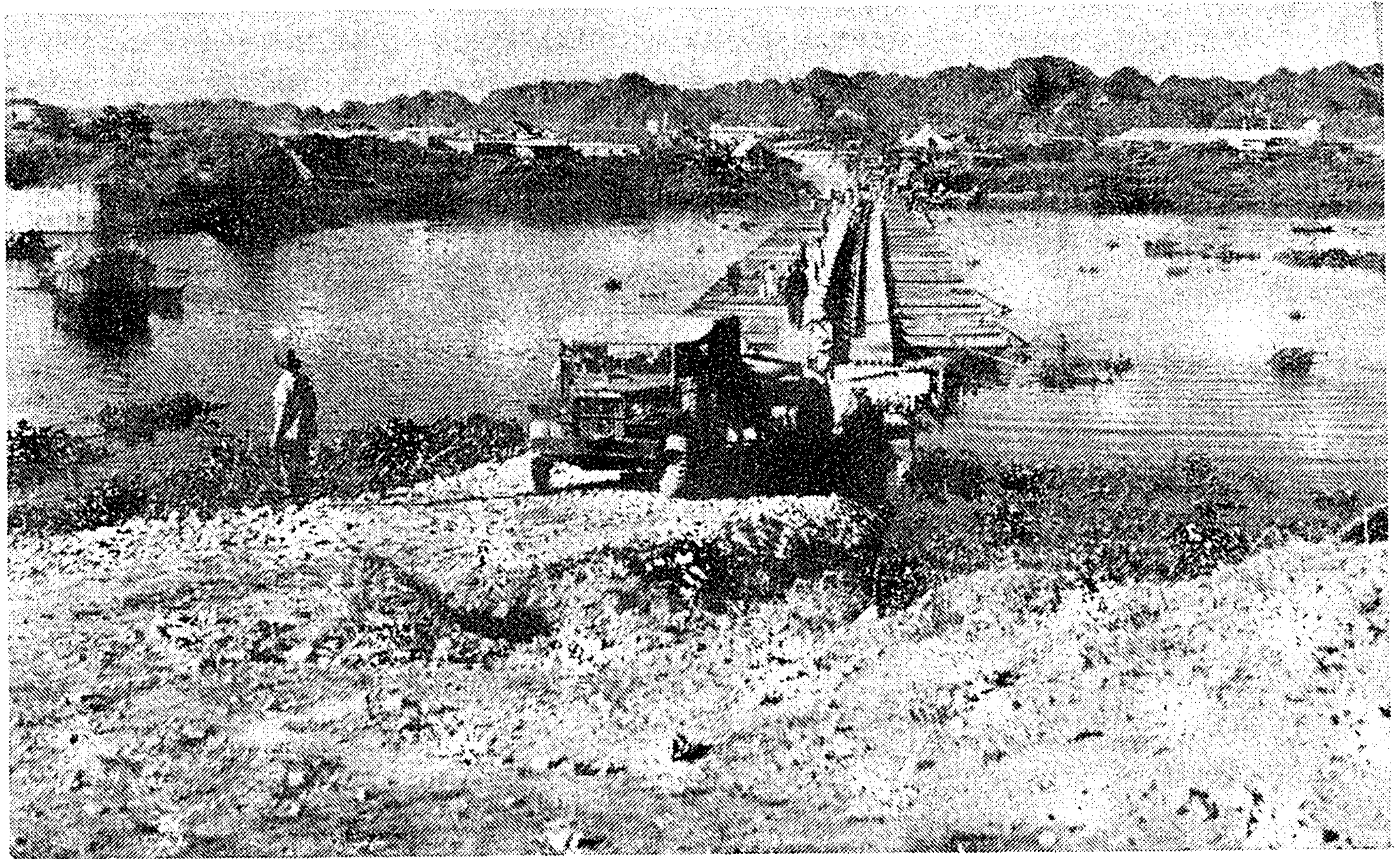
الفرقة ٣٢٠ ولواء من الفرقة ٣٢٥ ولواءين مستقلين للعمل ضد القوات الفرنسية النظامية، والتي ضمّت ٤ أفواج و ٣٣ سرية؛ بهدف شلّ المراكز القيادية وخطوط المواصلات.

أصدرت القيادة الفرنسية أمرها إلى قيادة المنطقة الجنوبية، في يوم ١٥ حزيران - يونيو - ١٩٥٤، بالاستعداد لإخلاء منطقة الدلتا والجلاء عنها بتاريخ الأول من تموز - يوليو، ضمن الشروط التالية:

١ - سحب القوات من (تاي بينه) عن طريق النهر الأحمر والبحر.

٢ - سحب القوات من (نين دين) و (فات دييم) عن طريق نهر (داي).

٣ - سحب القوات من (نام دين) و (فولي) على الطرق البرية.

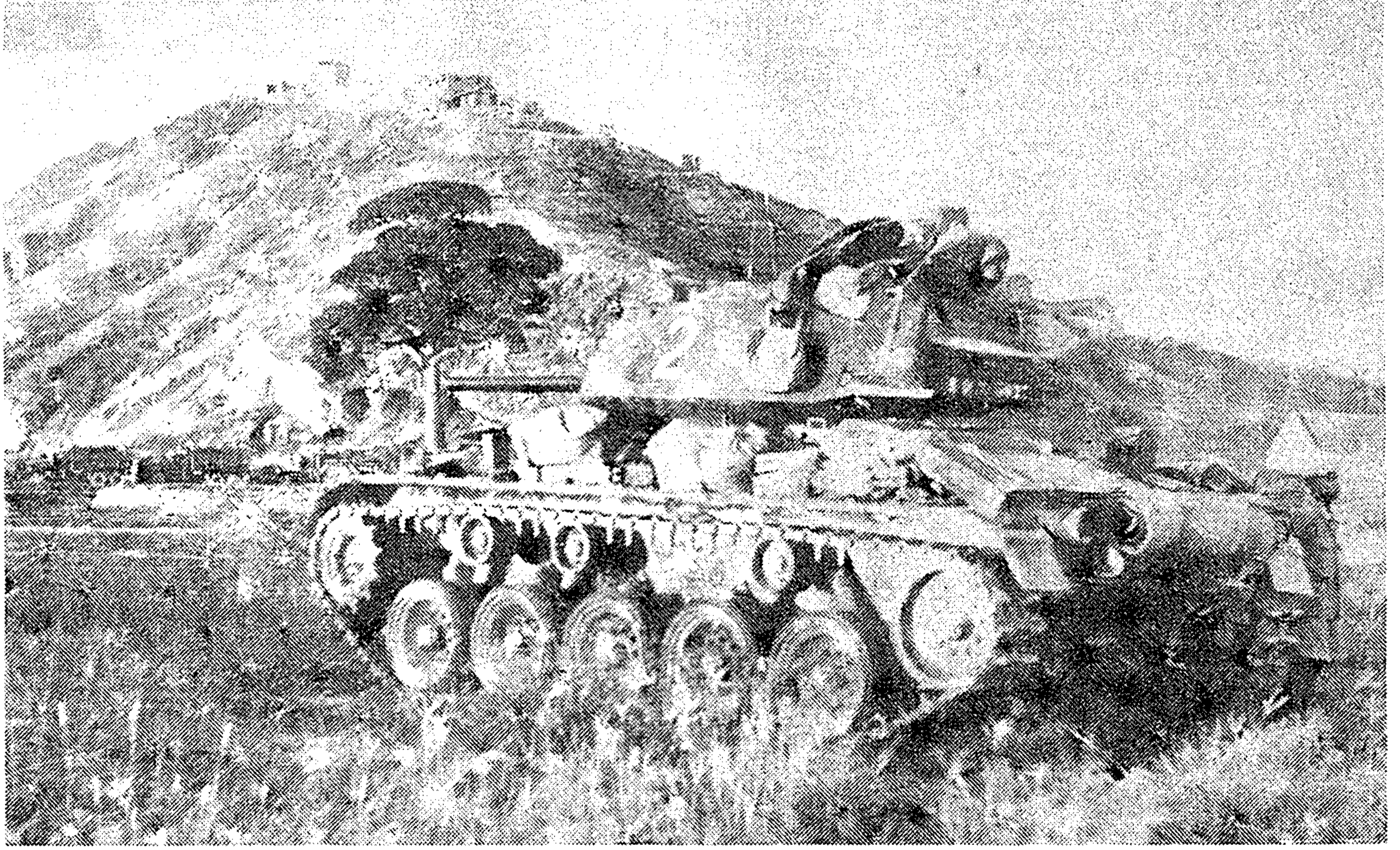


جسر من الزوارق على قنال داي التي تصل النهر بالنهر الأحمر. وقد وضع هذا الجسر لمضاعفة قدرة الجسر الأصلي - الثابت - على النقل، لتسهيل عملية الجلاء على (فولي).

٤ ـ اتخاذ الترتيبات اللازمة للمحافظة على السريّة المطلقة خلال التحضير للعملية وتنفيذها بأسرع ما يُمكن.

وقد بدأ العمل منذ يوم ٢٠ حزيران ـ يونيو ـ لإصلاح الطرق وإقامة الجسور وإنشاء المنعطفات (نقاط التحويل)، وحشد وحدات الصيانة والمركبات ووسائط العبور، مع اتخاذ تدابير الحيطة؛ وتأمين الحماية الجويّة للعملية، ووضع خطة لقصف قواعد الڤييتناميين الشماليين ومستودعاتهم. وقد أدركت القيادة الفرنسية أن عملية الانسحاب ستؤدِّي إلى انهيار ما بقي من القوة المعنوية للقوات المقاتلة وللسكان المدنيين في آن واحد. ولهذا فقد صدر الأمر بالتأكيد على أن هدف الانسحاب هو إعادة تجميع القوات لمتابعة الصراع؛ وليس للجلاء. وتضمن الأمر: «**تنتقل المنطقة الجنوبية إلى إدارة السلطة العسكرية الڤييتنامية ـ الموالية لفرنسا ـ والتي تتابع أسلوبها في الحركة المتحركة، وتجهّز القوات بالوسائط الحركية ـ وسائط النقل ـ، ويتم تجميعها في بعض المناطق الحصينة في تاي بينه ونام دين وفولي ونين بينه وفات دييم للقيام بالأعمال الهجومية**».

وهكذا، ومن أجل المحافظة على الروح المعنوية؛ ومن أجل خداع قوّات ڤييتنام الشمالية، فقد تم وضع خطة خداعية جرى تنفيذها بإحكام؛ وتضمنت هذه الخطة، فيما تضمنته، الاستمرار في إجراء الاستعدادات للاحتفال بِعِيد الثورة الفرنسية في كل مكان، (١٤ تموز ـ يوليو ـ)، مع الاستمرار في تنفيذ أعمال التحصين والتنظيمات الدفاعية مثل إقامة الملاجىء الإسمنتية المسلّحة، وإنشاء مهابط الطائرات ومراكز القيادات.



مركز قيادة القوات الفرنسية؛ في قمة مرتفع (ماي كوي)

وأخذت الصحافة في الإعلان عن استدراج عروض لبيع مخزون من المواد الغذائية في (نام دين) إلى هيئة هندوسية، وكذلك عن إسناد قيادة المنطقة الجنوبية إلى شخصية عسكرية ڤييتنامية كبيرة. وأثناء ذلك كان يجري العمل بصورة سريّة لإجلاء عائلات العسكريين والمدنيين وإخلاء القواعد والمستودعات والمستشفيات والوحدات، التي لا عمل لها، منذ يوم ١٨ حزيران - يونيو -، نحو هانوي وهاي فونغ. وأمكن حتى ٣٠ حزيران - يونيو - إخلاء ما زاد على ٦ آلاف طن من العتاد، و١٠ آلاف شخص عبر الأنهار، و٣ آلاف مركبة، و٥ آلاف طن من الأعتدة، و٩ آلاف شخص على الطرق البرية، و١٣ ألف شخص بواسطة الطائرات. وأمكن بذلك الجلاء عن ١١ مركزاً من المراكز الواقعة بعيداً عن خطوط المواصلات وعن مسرح العمليات. ولم تكن هذه العمليات إلّا المقدمة لمخطط الجلاء الذي

جرى الإعداد له بعيداً عن كل رقابة فضولية؛ وبحيث لم يشترك في وضعه إلّا المسؤولون عن العملية.

لقد نجحت تدابير الحيطة؛ وإجراءات المحافظة على السرّ؛ في تحقيق المباغتة، لا بالنسبة للقوات الڤييتنامية المعادية وحدها فحسب؛ بل بالنسبة للقوّات الفرنسية - الصديقة - ذاتها؛ سواء من حيث اتساع عملية الانسحاب؛ أو من حيث تنظيمها الدقيق؛ أو حتى من حيث السرعة في تنفيذها بفضل حشد الوسائط الضرورية للنقل برّاً وبحراً وجواً.

شعرت قيادة الجنوب بالقلق في مساء يوم ٢٧ حزيران - يونيو - بسبب ما توافر لها من المعلومات عن نشاط قوات ڤييتنام الشمالية، فقررت استباق الأحداث؛ ووضع مخططاتها موضع التنفيذ قبل الموعد المحدّد لها من قبل بثلاثة أيام؛ وأصدرت أمرها إلى قوّاتها بالجلاء فوراً عن (نين بينه)، وأمكن رفع مائة مدفع رشاش من التحصينات؛ بالإضافة إلى إخلاء المدافع من عيار ٣٧ و٤٧ مم من مرابضها المحصّنة ومن أبراجها.

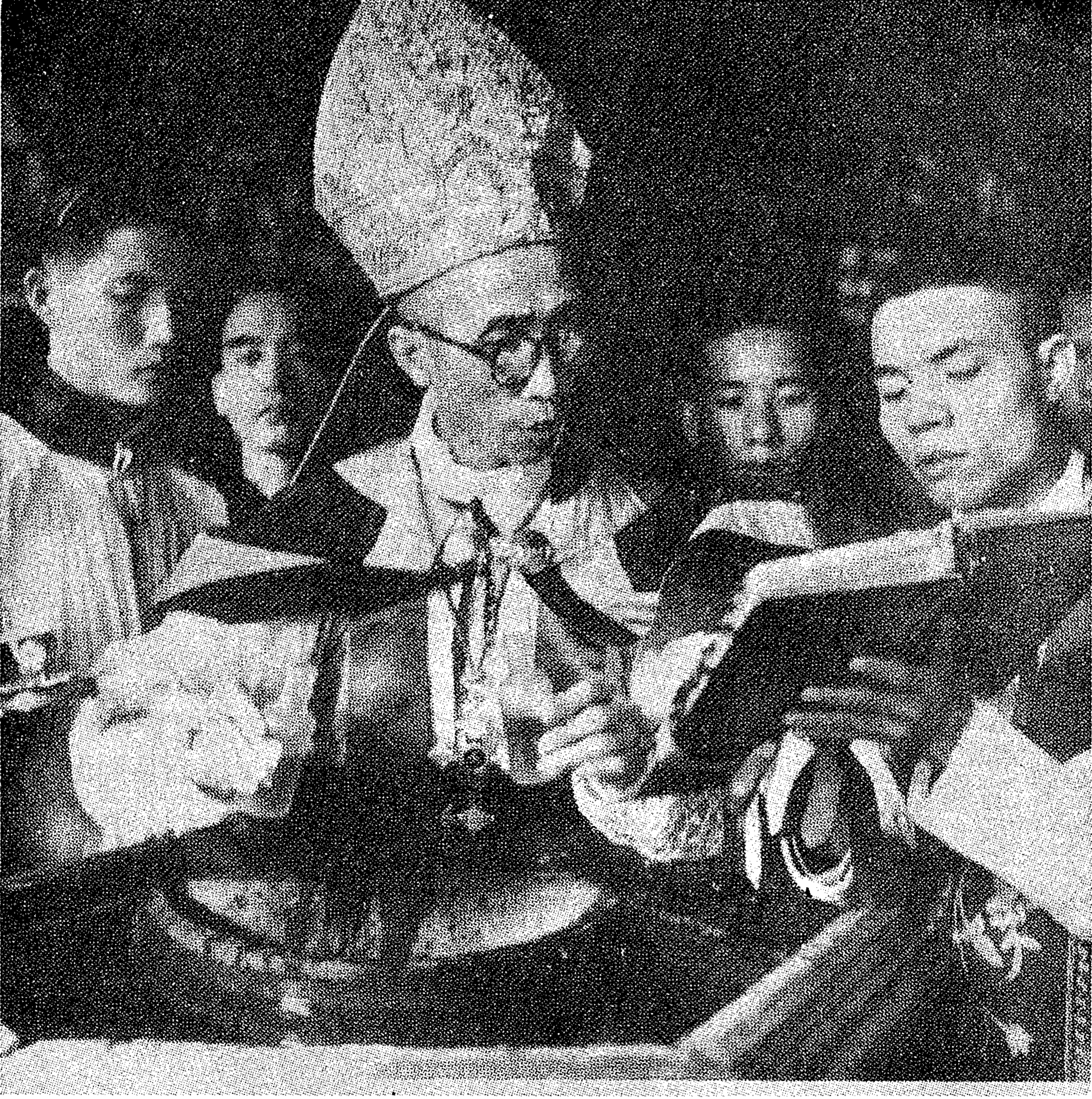
وبُوغتت قوّات ڤييتنام الشمالية؛ فوجّهت فوجاً من اللواء التاسع لنصب كمين على بُعد كيلومترين من (نين بينه). وسارت قوة الكمين مسافة مائة كيلومتر إلى موقع الكمين؛ فيما كانت قوات فَوْجَين آخرين، من اللواء ذاته، تقوم بأعمال التدمير إلى الشرق من(فات دينم). وحدث اشتباك عنيف مع القوات المتحرِّكة المكلّفة بحماية الانسحاب في الساعة ٧,٠٠، من صباح يوم ٢٩ حزيران - يونيو -،

أسفر عن قتل ١٥٠ ڤيتنامي وأخذ ١٣ أسير والاستيلاء على مدفع من عيار ٥٧ مم، ومدفع هاون، بالإضافة إلى عدد من المدافع الرشاشة والبنادق والأسلحة الفردية؛ بينما لم تخسر قوة الحماية أكثر من قتيلين و ٢٤ جريحاً. وأمكن إجلاء القوّات عن (نام دينه) في يوم ٣٠ حزيران ـ يونيو ـ، ولم يحدث أي اشتباك، ولكن الألغام المزروعة دمّرت دبابتين وعربة نقل كبيرة.

بدأ الجلاء عن (فات دييم) عن طريق نهر (سونغ ـ داي) يوم ٣٠ حزيران ـ يونيو ـ، حيث تم سحب ٥ أفواج تحت الضغط المتزايد للڤيتناميين، ووقع اشتباك عنيف قُتل فيه ٧ جنود وفُقد ٢٧ جندياً.

وكان (الأسقف هوتو) يحتلّ مكانة مرموقة بين الڤيتناميين ـ وهو ڤيتنامي نشأ في كنف الكنيسة الكاثوليكية ـ وقد اضطلع بدور كبير في تنظيم المقاومة، وأظهر تصميمه على البقاء وعدم الجلاء، ولكن الشيوعيين حاصروه وضيّقوا عليه؛ مما أرغمه على الجلاء مع القوات الفرنسية.

قامت قوات ڤيتنام الشمالية بنصب كمين لإعاقة الفرنسيين عن الانسحاب من (تاي بينه) و (بوي شو)، ولكن القوات الفرنسية اكتشفت هذا الكمين، ووقع اشتباك بالمدفعية إلى الجنوب من (تاي بينه) وعلى بُعد أربعة كيلومترات منها. واستمرّ القتال لمدة أربعة ساعات، خسرت فيه القوات الفرنسية ١٣ قتيلاً و ١٥ جريحاً و ١٥ مفقوداً. وقد حاولت الجالية الإسبانية البقاء في مواطنها، في المدينتين المذكورتين، غير أنها وجدت نفسها، في النهاية، مرغمة على الرحيل مع القوات الفرنسية، التي كانت تضمن لها حمايتها وأمنها



الأسقف (لـوهـوتـو) اسقف (فـات دييم). نشـأ في كنف الاستعـار؛ ورحـل مـع الاستعار، ومعه جميع القساوسة والرهبان الكاثوليك.

ـ واستثماراتها ـ. وكان منظرها مثيراً للإشفاق حيث احتشد الشيوخ والأطفال والنساء على ظهر الزوارق، وشكّلوا مزيجاً للوحة بـائسة، وقد خلّفوا وراءهم منازلهم ومتاعهم وما يملكون؛ وفَقدوا حتى الأمل بالعودة إلى مواطنهم التي وُلدوا وعاشوا فيها.

لم يعترض رجال الكنيسة على الانسحاب من (بوي تشو)، فتم إجلاء المدنيين ورجال الكنيسة إلى (هانوي)، ثم تبعهم القساوسة

والرهبان ذوي المراتب العليا. أما في (نام دينه) فقد كانت المدارس الدينية والمعاهد في إجازة صيفية؛ فعمل الآلاف من هؤلاء على الهرب نحو الجنوب عن طريق القوارب في الأنهار أو على الطرق البريّة. وأثناء ذلك كانت الجموع والعائلات الكثيرة ومئات الآلاف من المواطنين قد أخذوا جميعهم في الهرب نحو الجنوب، وقد استولى عليهم الذعر؛ وتركوا وراءهم كنائسهم ومدارسهم ومزارعهم وأرض أجدادهم وقبور أسلافهم ومراتع صباهم. وهكذا تم الجلاء عن كثير من مواقع الشمال.

كانت القيادة الفرنسية تتابع، أثناء ذلك، زجّ قوّاتها وإعادة تنظيمها؛ لدعم الحاميات الفرنسية وأنصارها من القوات الڤييتنامية؛ في (فولي) وإلى الغرب من (داي)، كما تم استقدام فرقة وبعض الألوية من حدود الصين. وقد بدأت هذه القوات بتنفيذ مجموعة من الأعمال القتالية الهجومية اعتباراً من يوم ٢ تموز - يوليو -. وحدثت اشتباكات قصيرة وعنيفة في كل مكان، وكانت الخسائر قليلة، إلّا أن القوات الفرنسية وجدت نفسها مرغمة على الانسحاب في أثر كل اشتباك.

لقد كانت قوات (جياب) موجودة في كل مكان، وكانت تمارس نشاطها على أوسع نطاق وبحرية عمل كاملة، نتيجة التأييد المتعاظم لها في وسط الڤييتناميين؛ فانتشرت الكمائن واتسعت أعمال الإغارات على الأرتال الفرنسية سواء في محيط (فولي)، حيث وقعت معركة ضارية يوم ٣ تموز - يوليو -، أو في الجنوب أو في الغرب أو في الشمال. وكانت نتيجة هذه المعارك وقوع مئات القتلى وآلاف الجرحى.

لقد استطاعت القيادة الفرنسية سحب قوّاتها بحد أدنى من الخسائر، وهذا ما تضمنه تقرير الانسحاب الذي جاء فيه: «. . . أمكن إنقاذ ٩٥ بالمائة من القوات والأعتدة بأقلّ ثمن ممكن، ولم يكن هناك ثمة أمل من قبل لإنقاذ أكثر من نصف ما تمّ انقاذه».

لقد أصبح الانسحاب ـ حتى من وجهة نظر القيادة الفرنسية ـ هو عملية إنقاذ ـ ما يمكن إنقاذه ـ واعتبر القائد العام (الجنرال سالان) أن هذه النتيجة هي نتيجة مشرّفة ـ تعادل النصر ـ، فوجّه، في يوم ١٩٥٤/٧/٤، أمراً يومياً إلى القوات هنّأها فيه على نجاحها في تنفيذ الجلاء، وأثنى على الجهود التي تمّ بذلها في (عملية الإنقاذ)، التي لم يكن لها أن تنجح في مثل تلك الظروف، لو لَمْ تتم إحاطتها بنطاق محكم من السريّة؛ ولو لَمْ يتوافر لها تخطيط جيد تم فيه الاستناد إلى أدقّ المعلومات عن القوات الڤييتنامية، وأعمالها وتسلّحها، بحيث أمكن تحديد جدول زمني دقيق للإنسحاب.

ولقد ساعد على تحقيق هذه النجاح ما رافق عملية التنفيذ من الجرأة؛ ومن التصميم؛ ومن المرونة الكبرى في تحرّك القوات مع استخدام كافة الوسائط المتوافرة للنقل البرّي والبحري والجوّي.

لقد حاولت القيادة العسكرية الفرنسية، في الهند الصينية؛ معالجة الانهيار المعنوي الذي نَجَمَ عن انتصارات قوات (جياب)، ولا سيما منها انتصار (ديان بيان فو)، فقامت بما يمكن تسميته (تظاهرة قوة). وكان باستطاعة مثل هذه التظاهرة أن تحقق أهدافاً سياسة قبل مائة عام، عندما كان الاستعمار في ذروة اندفاعته وأوج قوّته. ولكن؛ وفي

سنة ١٩٥٤ ؛ كان الأمر مختلفاً كل الاختلاف، فلا الجبروت الاستعماري، ولا أساليب القهر والقمع؛ ولا سياسة التجويع والإذلال، باتت قادرة على خداع أحد. ولم يبقَ على القيادة السياسية التي تجري المفاوضات في (جنيف) إلّا أن تعترف بواقع التحوّلات العسكرية التي رسمتها انتصارات قوّات جياب على أرض ڤييتنام، فتم الاتفاق على إيقاف القتال في ڤييتنام، وانسحاب القوات الفرنسية ـ أو ما بقي من القوات الفرنسية في محيط الحصار ـ من شمال ڤييتنام إلى جنوب خط العرض ١٧ ، والذي اعتُبر خطاً فاصلاً للحدود بين ڤييتنام الشمالية وڤييتنام الجنوبية، على أن تنسحب، في الوقت ذاته، قوات ڤييتنام الشمالية من أرض ڤييتنام الجنوبية إلى شمال خط العرض ١٧ . كما تمّ الاتفاق أيضاً على أن تبقى حكومة (باوداي) في الجنوب مؤقتاً؛ إلى أن يجري استفتاء بشأن توحيد البلاد بعد جلاء الفرنسيين جلاءً كاملاً عن الجنوب. وتم التوقيع على اتفاقية الهدنة في باريس يوم ٢١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٤ . وبقيت القوّات الفرنسية في جنوب ڤييتنام حتى فصل الربيع من سنة ١٩٥٦ ، حيث سحبت قوّاتها لتستخدمها في حرب استعمارية جديدة على أرض الجزائر.

ولقد كان باستطاعة فرنسا توفير الأموال والجهود والتضحيات لو أمكن لقيادتها استيعاب الدروس المُسْتَخْلَصة من تجربة الحرب الڤييتنامية (أو حرب الهند الصينية)، غير أنه كان من الصعب، على ما يظهر، على العقل الاستعماري الفرنسي أن يصدّق انهيار البناء الضخم (لعالم فرنسا ما وراء البحار) دفعة واحدة.

لقد خرجت (ڤييتنام) من الحرب وهي في حالة سيّئة من البؤس

والاستنزاف، بسبب ما خلّفه النهب الاستعماري الفرنسي الطويل؛ وبسبب الاجتياح الياباني في الحرب العالمية الثانية؛ ثم بسبب الحرب الثورية الطاحنة التي استمرت تسع سنوات ضد فرنسا.

وكانت ڤييتنام تأمل أن يحلّ السلام حتى تضمّد جراحها؛ وحتى تنهض باقتصادها؛ ولكن سرعان ما تبين أن رايات السلام الحقيقي لا زالت بعيدة عن سماء ڤييتنام.

فقد تضمّنت اتفاقية ٢١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٦، فيما تضمنته، إجراء انتخابات في شطري ڤييتنام تحت إشراف لجنة الرقابة الدولية التي عيّنها المؤتمر لمراقبة تنفيذ الاتفاقيات من مندوبي كندا وبولونيا والهند بالتناوب. وتضمنت الاتفاقية، أيضاً، ألّا يحاول أي طرف من الطرفين الڤييتناميين زيادة قوّته العسكرية خلال المرحلة الانتقالية؛ وكذلك عدم إقامة قواعد عسكرية أو الدخول في أحلاف عسكرية مع دول أجنبية. كما اتفق على تحريم اتخاذ أي من الجانبين لإجراءات انتقامية ضد الأنصار السياسيين للطرف الآخر في القسم الذي يسيطر عليه. وكان من المحال تحقيق هذه الشروط التي شكّلت في حدّ ذاتها بؤرة متفجرة يمكن تفجيرها في كل وقت.

٦ ـ التدخّل الأمريكي في ڤييتنام

اقتحمت الولايات المتحدة الأمريكية غمار الحرب العالمية الثانية؛ وقد حزمت أمرها على ممارسة دور أساسي في إدارة السياسة العالمية. ولما كانت الدول الغربية قد استعمرت معظم قارات العالم، فقد خرجت بمبدأ القضاء على الاستعمار؛ لتصفية الاستعمار الغربي

ـ التقليدي ـ الذي أصبح مقيتاً ولا يتناسب مع متطلبات العصر. ولما كان خروج هذا الاستعمار من المواقع التي يحتلها سيترك فراغاً، فقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها إملاء هذا الفراغ.

ولقد أدرك القادة الغربيون بسرعة ما تريده أمريكا، وحاولوا التصدّي لمخططاتها وإحباطها؛ ولكنهم سرعان ما أدركوا أن الزمن قد تجاوزهم؛ فاضطروا مُكْرَهِين على الاستسلام تدريجياً لمتطلبات التحوّلات الجديدة.

والمعروف أن الرئيس الأمريكي روزفلت قد اقترح في سنة ١٩٤٤ فرض نوع من الوصاية الدولية على منطقة الهند الصينية بهدف تصفية الوجود الفرنسي الاستعماري هناك، ولكن بريطانيا ـ تشرشل ـ عارضت هذا الاقتراح حتى لا تنفرد أمريكا بالنفوذ في جنوب شرقي آسيا. ثم أسرعت، بعد الحرب، لنقل الفرقة المدرّعة الفرنسية الثانية (فرقة الجنرال لوكلير) على سُفنها الحربية إلى سايغون في ڤييتنام الجنوبية حتى تستطيع فرنسا استعادة نفوذها في المنطقة؛ وحتى تتمكن من تقليص النفوذ الأمريكي الذي أخذ في التسلل إلى المنطقة من خلال وجود قوّات (تشانغ كي شيك) في شمالي ڤييتنام. ولقد نجحت القوّات الفرنسية في حمل (تشانغ كاي شيك)على سحب قوّاته نهائياً من الشمال في ٣١ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٦، ثم شرعت في حربها ضد حكومة ڤييتنام الديموقراطية؛ ولكن امتداد أجل هذه الحرب؛ وعدم التمكّن من حسمها؛ أرغم فرنسا على اللجوء إلى الولايات المتحدة لطلب الدعم الاقتصادي والعسكري.

ولم تمانع أمريكا في تقديم هذا الدعم طالما أنه يفتح أمامها المجال لتوسيع نفوذها في الهند الصينية؛ وطالما أنه يقاوم العدو المشترك (الشيوعية). وهكذا بلغت المساعدة الأمريكية لفرنسا، من سنة ١٩٥٠ وحتى نهاية الحرب سنة ١٩٥٤، ما يعادل أربعة آلاف مليون دولار.

ولقد تزايد النفوذ الأمريكي في دول المنطقة بسرعة؛ وأخذت وزارة الخارجية، ووكالة المخابرات المركزية، في العمل لاجتذاب الأنصار السياسيين والعسكريين في كل من ڤييتنام ولاووس وكمبوديا؛ وكان في طليعة هؤلاء السياسي القديم (دييم)، وهو سليل أسرة إقطاعية واسعة الثراء في وسط ڤييتنام، وسبق له أن شغل منصب وزير الداخلية في حكومة الأمبراطور (باوداي) في سنة ١٩٣٣. وكان يحمل حقداً على فرنسا، مما دفعه للتعاون مع اليابانيين عندما اجتاحوا أقاليم الهند الصينية، وأسّس حزباً سياسياً موالياً لليابان. وقد قُبض عليه سنة ١٩٤٥؛ وأُلقي به في السجن لمدة ستة أشهر، ثم أُفرج (هوتشيه مينه) عنه؛ ورغب في ضمّه إليه، لكنه أظهر رغبته في عدم التعاون ـ بسبب ورعه الكاثوليكي ـ وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تلقته هناك الأجهزة السياسية الأمريكية؛ وأخذت في التمهيد له لممارسة دور سياسي جديد.

كانت الولايات المتحدة، في بداية سنة ١٩٥٤، راغبة في استمرار الحرب على أرض الهند الصينية بقدر ما تسمح لها الظروف الداخلية والدولية. ولهذا فقد اقترح وزير الخارجية الأمريكية ـ دالاس ـ، في

أواخر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٥٤، إعلان بيان مشترك تصدره كلاً من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وأستراليا ونيوزيلانده وتايلانـد والفيليبين، يتضمن التأكيد باستعداد هذه الدول للعمل العسكري المشترك ضد (العدوان الشيوعي) في جنوب شرق آسيا. ولكن بريطانيا وفرنسـا عارضتا هذا المشروع ـ أو الاقتراح ـ الذي كان يلقى أيضاً معارضة قوية في داخل فرنسا التي استنزفت الحرب دماء أبنائها؛ وفي داخل الولايات المتحدة ذاتها، والتي تحوّل الرأي العام فيها ضدّ مثل هذه الحروب في مثل هذه المناطق بعد التجربة الفاشلة للحرب الكورية.

ولقد حاول ـ دالاس ـ إحباط مؤتمر (جنيف) الذي كان قد انعقد من ٢٦ نيسان ـ أبريل ـ بين كـل من الاتحاد السـوفييتي وبريـطانيا وأمريكا وفرنسا والصين الشعبية، لعقد هدنة في الهند الصينية. ولما فشل ـ دالاس ـ في مسعاه غادر (جنيف) غاضباً؛ وترك الجنرال (بيدل سميث) للتـوقيع عـلى البيان الختـامي للمؤتمر، دون بقيـة الوثـائق التفصيلية؛ وأن يصدر بياناً مستقلاً تتعهد فيه أمريكا بعدم استخدام القوة لإفشال اتفاقية المؤتمر.

كانت الحكومة الفرنسية تماطل في الوصول إلى اتفاق مع ڤييتنام، وتسعى إلى إشراك أمريكا في القتال مباشرة؛ ولكن هـذه الحكومـة سقطت يوم ١٢ حزيران ـ يونيو ـ وخلّفتها حكومة (منديس فرانس)، التي تعهـدت بإنهاء الحـرب؛ ووقّعت مع ڤييتنـام اتفاقيـة ٢١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٤، التي كان من أهم بنودها اعتبار خط العرض ١٧ حدّاً فاصلاً مؤقتاً بين ڤييتنام الشمالية وڤييتنام الجنوبية.

وتحرّكت الولايات المتحدة على الاتجاه المضاد، فأرسلت (نغودين دييم) إلى سايغون، على متن طائرة خاصة، في بداية شهر تموز ـ يوليو ـ، لاستلام رئاسة الوزراة بعد أن تم إسقاط حكومة ـ الأمير بولوك ـ الموالية لفرنسا. وشرعت حكومة (دييم)، على الفور، في الإعداد لتشكيل حلف عسكري جديد في المنطقة عرف باسم (حلف جنوب شرق آسيا). وكان هذا الحلف موجّهاً بصورة أساسية ضد الصين الشعبية وڤييتنام الديموقراطية، **وقد تم التوقيع على اتفاقية هذا الحلف يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٤، وضم أمريكا وبريطانيا وفرنسا وأستراليا ونيوزيلانده وباكستان والفيليبين وتايلاند. وأصدر المجتمعون في مؤتمر انعقاد الحلف في (مانيلّا) وضع كل من دولة ڤييتنام ولاووس وكمبوديا تحت حماية الحلف. وهكذا تمكّنت أمريكا من إحاطة (اتفاقية جنيف) بعوامل الفشل والتخريب، داخلياً بواسطة حكومة (دييم)، وخارجياً بواسطة (حلف جنوب شرق آسيا).**

عمل (دييم) بسرعة على تصفية الوجود الفرنسي في جنوب ڤييتنام، فأصدر قراره، في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٤، بتنحية وعزل رئيس هيئة أركان حرب الجيش ـ نيغوين فان كين ـ نظراً لميوله الفرنسية، ثم أتبع ذلك بتنحية رئيس الدولة (باوداي) ونصّب نفسه رئيساً للجمهورية في ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٥ بعد إجراء استفتاء شكلي.

وسارعت الولايات المتحدة إلى الاعتراف الفوري بالنظام

الجمهوري الجديد. ثم طلب (دييم) من القوّات الفرنسية المتبقية في الجنوب بالجلاء عن البلاد تنفيذاً لاتفاقيات جنيف، وانسحبت القوات الفرنسية في ربيع سنة ١٩٥٦. كما عمل (دييم) على طرد الخبراء والمدرّبين الفرنسيين السابقين؛ واستبدلهم بثلاثة آلاف خبير ومدرّب أمريكي - من بينهم نحواً من ألفي مستشار عسكري -، **قاموا بتدريب وتنظيم جيش ڤييتنامي جديد بلغ عدد أفراده حوالي ١٥٠ ألف جندي، بالإضافة إلى قوّات الدفاع الإقليمي وقوّات الأمن والشرطة السرية**. وجرى تسليح هؤلاء وتدريبهم وفقاً للأسلوب الأمريكي. وشرع (دييم)، في الوقت ذاته، في مطاردة الشيوعيين وأنصارهم منذ بداية تسلّمه الحكم. وردّ الشيوعيون على ذلك بتشكيل لجنة من أنصارهم من المثقّفين - برئاسة المحامي نغوين هيونو - لم تلبث أن امتدّت فروعها إلى كافة الأقاليم والمدن؛ وأخذت هذه اللجنة في رفع الشكاوي المتتالية إلى (لجنة الرقابة الدولية)، فما كان من (دييم) إلّا أن أصدر أمره باعتقال رئيس هذه اللجنة والعاملين النشطين فيها.

ولما كانت حكومة ڤييتنام الشمالية قد عملت على توزيع الأراضي على ثوّارها في الجنوب، عندما وصلت قوّاتها إلى الجنوب، فقد أصدر (دييم) قانوناً بإعادة تنظيم وزراعة الأراضي المهجورة (في ٥ شباط - فبراير - ١٩٥٥) بتوجيه أمريكي. وتم بذلك دعم سلطة (دييم) في المدن والريف، ولكن تنفيذ هذه الإجراءات، وقمع التنظيمات الشيوعية (الڤييتنامية الشمالية)، أدّى إلى اعتقال أكثر من ربع مليون معتقل، وسقوط ١٥ ألف مواطن بين قتيل ومفقود.

لقد كانت المرتفعات وأعالي الجبال هي القواعد الأساسية للثورة، ولهذا فقد أخذت حكومة دييم في العمل لدعم سيطرتها على المناطق الجبليـة المشرفة عـلى لاووس وكمبـوديـا ووسط ڤييتنـام ودلتـا نهر الميكونغ. وكانت تقيم في هذه المناطق قبائل تمثّل أقلّيات مختلفة تعيش وفقـاً لتقاليـدها في الجبـال والغابـات الموجـودة في هـذه المنـاطق. وأصدرت حكومة (دييم) أوامرها بتجميع هذه القبائـل في منطقـة واحدة حتى تسهل السيطرة عليها. ولكن زعماء هذه القبائل رفضوا تنفيذ أوامر الحكومة التي شرعت في تنفيذ إجراءات قمعية ضدهم. وردّ رجال قبيلة (الكور)، وهي أكبر تلك القبائل، بحمل السلاح، ومقاومة السلطة، وهاجموا حامية مكوّنة من ٥٤ جندياً فـذبحوهم أثناء الليل (في نهاية كانون الثاني - يناير - ١٩٥٥)، وانطلقت من الجبال شرارة الثورة التي أحرقت السهول والجبال.

شنّ رجال حكومة (دييم)، على أثر ذلك، هجمات متتاليـة على مواقع قبيلة (الكـور) ولكن هذه الهجـمات فشلت رغم قوّتهـا التي وصلت أحياناً إلى مجموعة كتائب؛ وذلك بسبب مهارة رجال (الكور) في نصب الكـمائن في المناطق التي يعـرفون طبيعتهـا حق المعرفـة، بالإضافـة إلى خبرتهم القتـالية التي اكتسبـوها خـلال اشتراكهم في الصراع ضد الاستعمار الفرنسي. وسرعان ما انضمت بقية القبائل التي ضمّت أكثر من عشرين قومية مختلفة بلغ مجموع أفرادها أكثر من المليون.

وهكذا استمر الصراع حتى سنة ١٩٥٩ عندما حاولت حكـومة

(دييم) القضاء على الثورة بزجّ ألوية كاملة في منطقة بلغت مساحتها ١٢٥ ميلاً مربّعاً فقط. ولكن رجال (الكور) نجحوا في التسلل من بين قوات اللواءين المشتركين في العملية التي انتهت بتدمير مائتي قرية وتشريد آلاف المواطنين في الجبال والغابات.

كانت تنظيمات (حزب العمال الڤييتنامي) قد احتفظت، في جنوب ڤييتنام، بأسلحتها التي أودعتها في مستودعات سريّة. وعندما اندلعت الثورة في الجبال؛ أسرع قادة الحزب لإجراء الاتصالات مع الثوّار - رفاق السلاح القُدامى - لتقديم المساعدة الممكنة؛ ودعم الروابط التي نشأت وتطوّرت خلال سنوات الصراع المسلّح ضد الفرنسيين. وتم تشكيل (جماعات الدعاية المسلّحة) للعمل على نهج (الجنرال جياب)، الذي طبّقه في إقليم (كوانغ نغاي) أولاً سنة ١٩٤٤، ثم في بقية الأقاليم الأخرى. وأخذ الثوار في مغادرة المدن؛ والالتحاق في الجبال، لدعم قبيلة (كور). وبدأت (جماعات الدعاية المسلحة)، والتنظيمات المماثلة الأخرى، بممارسة نشاطها في الإقليم؛ وتقديم المساعدات؛ وإرسال الإمدادات الغذائية وسواها لمقاومة الحصار الذي فرضته حكومة (دييم) على رجال قبيلة (كور)، الذين تمكنوا، بفضل هذا الدعم، من الانتقال إلى الهجوم حيث انقضّوا على موقع عسكري في (أبو تشيم) وقتلوا حاميته، ووزعوا أسلحته على رفاقهم الذين جاءوا لدعمهم.

تركّز جهد (**جماعات الدعاية المسلّحة لقوات الشعب للدفاع الذاتي**)، في هذه المرحلة، على تنظيم اشتباكات محدودة؛ وتأمين

عمليات الإمداد، والدعاية بين الفلاحين وبين جنود دييم، الـذين كان يتم حشدهم للعمل ضد القبائل. وكانت هذه الجماعات تفتقر للأسلحة نظراً لنجاح قوات دييم في اكتشاف أكثر من ٣٠٧ مستودع من مستودعات أسلحة التنظيمات القيتنامية الثائرة (ما بين سنة ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠). ولهذا تم تنظيم مجموعة من الأعمال القتالية لمهاجمة مستودعات أسلحة (جيش دييم).

وكانت (**عملية توهاي**) أفضل نموذج لهذه العمليات. و (توهاي) هذه هي قلعة حصينة في إقليم (تاي ننه) في ڤييتنام الجنوبية، وتبعد ٥٥ ميلاً إلى الشمال الغربي من (سايغون)، وتمتد طولاً لمسافة ألف ياردة، وعرضاً لمسافة ثمانمائة ياردة؛ وتحيط بها تحصينات وساتر ترابي يرتفع بمقدار سبعة أقدام. وأُقيمت أبراج للمدافع الرشّاشة في كل جانب؛ ومواقع حراسة حول كل المنشآت الرئيسة، وتمركزت فيها حامية من ألفي جندي من جنود (دييم). وكانت هذه الحامية قد قامت، في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٦٠، بحملة قمع للفلاحين المقيمين في المنطقة من أجل القبض على أعضاء المقاومة القدامى؛ وقد قاموا، خلال هذه الحملة، بإعدام عدد من هؤلاء المناضلين السابقين؛ وعرض رؤوسهم في أسواق القرى، كما التقطوا أفلاماً سينمائية لهذه العمليات لإرهاب الأهالي. فكان الهجوم على (قلعة توهاي) يحقّق أكثر من هدف، مما حمل (اللجنة الثورية) في المنطقة لاتخاذ قرارها، في شباط ـ فبراير ـ ١٩٦٠، بالهجوم على القلعة. وتم تنظيم ٢٦٠ مقاتلاً ـ بينهم بعض المجنّدين في جيش دييم ـ وبعض رجال الطوائف الدينية المسلّحة، بالإضافة إلى ٥٠٠ رجل تم

حشـدهم من القـرى المجـاورة لنقـل الغنـائم وإخـلاء الجـرحى. وحصلت قوات الهجوم على معلومات دقيقة جداً عن المعسكر، ونظام حراسته، بواسطة عناصر استطلاع قاموا بالتسلل إلى داخل المعسكر، وبقي عدد منهم فيه حتى حان الموعد المحدد لبدء الهجوم الليـلي، فقاموا بتفجير الألغام عند بعض المباني الرئيسة؛ ومنها مركز القيادة ومركز الاتصال؛ فكان ذلك هو إشارة بدء الهجوم للقوة الخارجية التي تدفّق أفرادهـا بسرعة مـذهلة إلى داخل القلعـة، والقفز من فـوق السواتر الترابية. واقتحم ١٢٠ منهم القلعة من الشمال و ٨٠ منهم من الجنوب بينما نصب الباقون كميناً على الطريق القادم من (تاي ننه) لمواجهة أي تعزيزات تصل منها. وقد نجح هذا الهجوم المبـاغت، وهرب معظم جنود الحامية، وقتل البعض منهم، وانضم آخرون إلى الثـوّار. وقد عـاد الرجـال الخمسمائـة المكلّفون بحمـل الغنائم إلى الغابات القريبة من القلعة ومعهم ألف قطعة سلاح، من بينها ٨٠٠ بندقية، ومجموعة كبيرة من المدافع الرشّاشة، وعدداً من مدافع الهاون عيار ٦٠ و ٨١ مم، وخمسة مـدافع خفيفـة مضادة للدبّـابات عيـار ٥٧ مم عديمة الارتداد، وذلك بعد ساعتين إلاّ ربع الساعة فقط من بدء الهجوم. وتم توزيع أول عدد من مجلة (تشيرتانغ ـ أي النصر ـ) على جنود دييم المأسورين داخل القلعة؛ والذي كان قد تمّ إصداره من قبل لهذه الغاية. . . ولقد أثارت هذه الإغارة ردود فعل قوية في وسط الڤييتناميين؛ واعتبروها البداية العملية والحقيقية للحرب.

كان قادة الأحزاب السياسية في جنوب ڤييتنام قد عقدوا اجتماعاً سرياً في المرتفعات الواقعة شمال دلتا الميكونغ، في الأسبوع الأول من

شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٦٠، وذلك بدعوة من حزب العمال الڤييتنامي (والذي أصبح فيما بعد خلال سنة ١٩٦٢ تنظيماً مستقلاً عن الحزب الأصلي في الشمال وحمل اسم حزب الشعب الثوري)، وحضره ممثلون عن الحزب الاشتراكي الراديكالي، والحزب الديموقراطي، واتحاد الفلاّحين، واتحاد العمّال والطلبة والمثقّفين، والنساء والشباب، وعن القبائل والطوائف الدينية المسلّحة. وقد استمرّ هذا الاجتماع مدة اسبوعين، وانتهى بالإعلان عن قيام (جبهة التحرير الوطني في جنوب ڤييتنام)، يوم ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٦٠، وهي التي يسميها الغربيون باسم (الڤيتكونغ)، ولكن الڤييتناميين لا يعترفون بهذه التسمية.

٧ ـ تصعيد الصراع المسلّح

كان من نتيجة مؤتمر أحزاب الجنوب؛ تشكيل (لجنة مركزية مؤقّتة للجبهة) حددت برنامج الجبهة: «بالنضال من أجل الاستقلال والديموقراطية والحياد، وقبول المساعدات الخارجية، من كل الذين يقدّمونها، بدون شروط، واتخاذ سياسة إصلاحية معتدلة، في الشؤون الداخلية، ذات طبيعة ديموقراطية وطنية».

عملت الجبهة الوطنية على إعادة التنظيم، الذي كان قد وضعه الجنرال جياب، فتمّ تشكيل قوات الدفاع الذاتي في القرى ـ الميليشيا ـ، كما نظمت قوات العصابات في المناطق. وظهرت تشكيلات جيش التحرير النظامي، واجتاحت رياح الثورة كل أنحاء

الجنوب، وهبّ الفلاحون في القرى فطردوا المسؤولين الحكوميين؛ وأقاموا محلّها هيئات محلية. واقتربت قوّات الثوار كثيراً من العاصمة (سايغون)، بحيث أصبح نفوذ حكومة (دييم) مقتصراً، من الناحية العملية، على العاصمة وعلى المدن الكبرى في معظم المناطق، فأسرعت الولايات المتحدة الأمريكية لمعالجة هذا الموقف المتدهور سياسياً وعسكرياً. ووصل نائب الرئيس الأمريكي كيندي ـ جونسون ـ إلى سايغون يوم ١١ أيار ـ مايو ـ ١٩٦١، وأعلن في مؤتمر صحفي أنه تقرّر زيادة عدد أفراد جيش الجنوب إلى ١٧٠ ألف جندي، وأن يصل عدد رجال الحرس الوطني إلى مائة ألف رجل، وقوّات الأمن إلى ٩٠ ألف رجل.

وجاء بعد ذلك (الجنرال ماكسويل تايلور)، رئيس هيئة أركان حرب الجيش الأمريكي، إلى سايغون؛ واجتمع مع المسؤولين فيها، ووضع خطة عسكرية حملت اسم (الحرب الخاصة) وتضمّنت في خطوطها الأساسية:

١ ـ تكوين مناطق غير مأهولة بالسكان على امتداد خط الغرض ١٧؛ الفاصل بين الجنوب والشمال؛ وعلى امتداد الحدود مع لاووس وكمبوديا، وتدمير كل القرى الموجودة هناك، واستخدام الغازات السامّة لتطهير الغابات وبذلك يتم عزل المناطق المحرّرة في جنوب ڤييتنام عن العالم الخارجي عزلاً كاملاً.

٢ ـ إقامة ١٦ ألف قرية استراتيجية يتم فيها حشد ثلثي سكان الجنوب؛ وبذلك يتم عزلهم عن قوّات المقاومة.

٣ ـ القيام بعد ذلك بشنّ هجوم عسكري شامل لإبادة قوات جبهة التحرير وتدميرها.

أُقيمت في (سايغون) قيادة أمريكية لتنفيذ هذه الخطة؛ وأسندت قيادتها إلى الجنرال (هاركنز)، الذي قدّر أن التفوق العددي لقوات (دييم) وقتئذ يبلغ عشرة إلى واحد تقريباً بالنسبة لقوات الجبهة. وقد رأى (هاركنز)، على ضوء الخبرة البريطانية الناجحة من قبل في (الملايو)، أنه من الضروري زيادة نسبة التفوق حتى معدل عشرين إلى واحد في نهاية سنة ١٩٦٢، حتى يصبح بالإمكان القضاء على مقاومة قوّات الجبهة قضاء تاماً خلال فترة ستة أشهر. ونتيجة لذلك؛ تمّت زيادة قوّات (دييم) بتنظيماتها المختلفة من ٣٧٠ ألفاً، في العام ١٩٦١، حتى ٥٧٧ ألفاً، في نهاية العام ١٩٦٣.

كانت نتيجة تجربة السنة الأولى لهذه الخطة مخيِّبة لأمل الأمريكيين، فبدلاً من تزايد نسبة القوى لمصلحتهم، شهدت هذه النسبة تناقصاً واضحاً، إذ أنها انخفضت من عشرة مقابل واحد إلى نسبة سبعة أو ستة مقابل واحد؛ وذلك بسبب تزايد عدد المقاتلين في الجبهة، وبسبب عدم تمكن قوات (دييم) من القضاء على الكتلة الرئيسة لقوّات الجبهة. غير أن السنة الثانية (١٩٦٢) شهدت تحسّناً واضحاً في غير مصلحة جبهة التحرير الوطني الڤييتنامية؛ فقد زادت أمريكا عدد الخبراء العسكريين في ڤييتنام إلى ٢٥ ألف رجل، واستخدمت الدبابات البرمائية والطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ على نطاق واسع؛ مما ساعدها على توجيه ضربات قاسية لقوّات جبهة التحرير ـ لا

سيما في منطقة دلتا نهر ميكونغ ـ الجرداء، وفي الوقت ذاته نجح (دييم) في بناء ٨ آلاف قرية استراتيجية. وبذلك أمكن فرض السيطرة على كثير من المناطق التي كانت خاضعة لقوات الجبهة. ولكن هذه السيطرة لم تستمر طويلاً؛ فالقرى الاستراتيجية أصبحت مثل معتقلات إجبارية، يغادرها الفلاحون في ساعات معيّنة؛ ويعودون إليها في وقت محدّد؛ ويعملون تحت مراقبة صارمة. وقد أمكن لقوات الجبهة رغم ذلك كلّه مهاجمة بعض هذه القرى والاتصال بالفلاّحين فيها. وبدأت هذه القرى في التفكك، وعاد الفلاحون إلى قراهم الأصلية؛ وأخذوا في تحصينها وحفر الأنفاق والخنادق فيها حتى لا تنتزعهم منها قوات دييم مرة أخرى. وانهار نظام (القرى الاستراتيجية) واتّسعت دوائر المقاومة من جديد (حتى بلغ عدد القرى المحصّنة في جنوب ڤيتنام مع بداية سنة ١٩٦٤ حوالي ٤٣٠٠ قرية).

لقد تطوّر تكتيك حرب العصابات، التي مارسها رجال جبهة التحير، مع تطور الحرب واتساعها التدريجي منذ العام ١٩٦٠؛ فبعد أن كانت هذه الأساليب التكتيكية مجرد أعمال دفاعية بسيطة؛ تحولت إلى إغارات وكمائن لتشتيت القوات المعادية، ثم تطورت هذه الأساليب إلى هجمات ليلية على المواقع العسكرية. وعندما أخذت قوات دييم والقوات الأمريكية تعتمد بدرجة أكبر على الطائرات العمودية والقوّات الميكانيكية؛ جرى تطوير جديد على هذه الأساليب التي باتت تستند، في أساسها، على اجتذاب القوّات الميكانيكية والطائرات إلى منطقة تختارها قوات جبهة التحرير، وتجهّزها مسبقاً بشبكة جيدة من الخنادق ومواقع إطلاق النار المموّهة؛ ثم إطلاق النار

عليها من مسافة قريبة والصمود أمامها عدة أيام إلى أن يتم تدمير أكبر عدد ممكن من الدبابات البرمائية، والطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ بواسطة المدافع عديمة الارتداد ٥٧ مم، وهجمات فصائل قانصي الدبابات بالمتفجرات؛ وبواسطة المدافع الخفيفة ٣٧ مم المضادة للطائرات ونيران الرشّاشات.

وقد تمّ تنفيذ هذا التكتيك لأول مرة في معركة قرية (آب باك) في إقليم (ماي ثو)، جنوبي سايغون؛ يوم ٢ ـ ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٦٣.

ففي هذه المعركة تمكّنت كتيبة من جيش التحرير النظامي، لم يتجاوز عددها (٢٣٠) جندياً أن تصمد أمام ثلاثة آلاف جندي من جيش (دييم)، تدعمهم ١٣ دبابة و ٦ مدافع ميدان عيار ١٠٥ مم وسرية هاون ١٠٧ مم و ١٥ طائرة عمودية ـ هيليكوبتر ـ. وكانت نتيجة المعركة إسقاط ١٣ طائرة وتدمير ٨ دبابات وإصابة ٤٠٠ رجل بين قتيل وجريح، وذلك مقابل ١٣ قتيلاً بينهم ٨ من فصيلة قانصي الدبابات الانتحارية و ١٥ مقاتلاً من رجال جيش التحرير الذين انسحبوا بهدوء بعد ذلك. ولقد اعتُبرت معركة (آب ـ باك) بأنها نقطة تحوّل هامة استعاد فيها الثوار زمام المبادأة مرة أخرى.

لقد جرى تطوير جديد لتكتيك الثوار بعد معركة (آب ـ باك)، وذلك على ضوء الدروس المستخلصة منها؛ فظهر ما عُرف باسم (تكتيك إبادة العدو وتدمير إمداداته)؛ وهو تكتيك يعتمد على مهاجمة بعض المواقع القريبة بعضها من بعض؛ مع إعداد كمين كبير مجهّز

بخنادق مموّهة، كان يصل طولها أحياناً إلى زهاء الكيلومترين. وهذا ما حدث مثلاً في معركة (لوك نته)، التي وقعت يوم ١٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٦٣، لاصطياد التعزيزات الآلية ـ الميكانيكية ـ والجوية التي ستهرع لنجدة المواقع التي تتعرّض للهجوم.

ولقد ظلّ هذا التكتيك لفترة طويلة هو القاعدة في عمل جنود جيش التحرير لمواجهة تفوّق قوّات (دييم). وقد اضطرت القيادة الأمريكية الاستشارية إلى إخلاء المواقع التي ينقص عدد أفراد حامياتها عن ١٥٠ جندي، غير أن ذلك أدّى إلى فقد السيطرة على معظم دلتا الميكونغ، أغنى إقليم في البلاد وأكثرها كثافة بالسكان.

وهكذا تبيّن من جديد أن احتلال الأرض لتهدئة المناطق الثائرة يتطلّب تشتيت القوّات وتوزيعها على آلاف المواقع الصغيرة، الأمر الذي يتيح للثوار مهاجمتها تباعاً؛ وتركيز قوات متفوقة بالنسبة لحامية كل موقع على حدة. أما إذا حشدت القوات في تجمعات كبيرة؛ فإن ذلك يؤدّي إلى سيطرة الثوّار على مناطق واسعة من الأرض المأهولة بالسكان؛ الأمر الذي يدعم نفوذهم السياسي بين جماهير الفلاّحين؛ ويتيح لهم فرصاً أكبر لتجنّب المعارك عندما تزحف القوّات الميكانيكية للهجوم بحشود كبيرة.

مارست جبهة التحرير، خلال هذه الفترة، نشاطاً سياسياً مكثّفاً، وربطت ربطاً وثيقاً بين أشكال الصرع السياسي وأشكال الصراع المسلّح؛ بل إنها لم تمارس الأعمال القتالية إلاّ في الحدود الدنيا؛ وظلت حتى منتصف سنة ١٩٦٣ وهي تعتبر أن الصراع السياسي هو الصراع

الأساسي ضد نظام (دييم)، وأن الصراع العسكري ـ المسلّح ـ ليس إلّا عاملاً مساعداً لبلوغ الهدف السياسي. ولقد استخدمت الجبهة كافة الأساليب الممكنة في صراعها السياسي من أجل تحريض الجماهير واستثارتها وحشدها في المعركة، مثل مظاهرات الفلّاحين الزاحفين من القرى القريبة إلى المدن، ومظاهرات النساء لمنع الجنود من تدمير قرية بحجة وجود ثوّار فيها، وتنظيم الاجتماعات الجماهيرية لنشر الوعي السياسي؛ والعمل من خلال ذلك على دعم التنظيمات السياسية (اتحاد العمال؛ اتحاد الفلاحين؛ الاتحاد النسائي الخ . . .).

أصبحت حكومة (دييم) معزولة تماماً عن جماهير الشعب في جنوب ڤييتنام؛ مع نهاية العام ١٩٦٣؛ بفضل العمل السياسي لجبهة التحرير الوطني. وأدّت سياسة (دييم) و (دالاس) إلى دفع أكثر القوى اختلافاً في ڤييتنام إلى الوحدة الوطنية، بما في ذلك البوذيّين الذين تصدّى لهم دييم بقسوة ووحشية.

ووجدت أمريكا أنها ستخسر الحرب لا محالة إن هي استمرت في دعم نظام دييم، فعهدت وزارة الخارجية الأمريكية إلى سفيرها في سايغون ـ كابوت لودج ـ بتدبير انقلاب عسكري يطيح بنظام دييم. وتحرّك عدد من جنرالات الجيش الڤييتنامي الجنوبي فقاموا بانقلابهم يوم١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٣ وقتلوا دييم وأخاه (نغودنه هو)، وتبع ذلك ست انقلابات كان آخرها انقلاب يوم ١٩٦٥/٦/٩، والذي أدّى إلى قيام نظام (نغوين فان ثيو) الذي ترأس الدولة وعين (الجنرال كاوكي) رئيساً لوزرائه.

وقد أفادت جبهة التحرير الوطني من هذه التقلبات لتوسيع نشاطها السياسي والعسكري الذي اتّخذ له هدفاً رئيساً هو تطويق المدن بحزام من المناطق المحرّرة التي تسيطر عليها قوات العصابات، وكادت هذه العمليات تصل إلى نتيجة حاسمة لولا التدخل العسكري الأمريكي المباشر.

كان (الجنرال جياب) يتولى القيادة الاستراتيجية العليا للثوار - في الجنوب - بالإضافة لقوات ڤييتنام الشمالية. وقد أمكن له توجيه وإدارة الحرب بكفاءة أحبطت مخططات القادة الأمريكيين، فأخذت حكومة الولايات المتحدة في العمل والتخطيط، منذ بداية العام ١٩٦٤، لتوسيع نطاق الحرب في جنوب ڤييتنام، والقيام بعدوان عسكري على جمهورية ڤييتنام الديموقراطية.

وكانت واشنطن تعتقد أن الضغط العسكري على - ڤييتنام الشمالية - سيدفعها إلى إيقاف مساعداتها المادية والبشرية والسياسية لثوار الجنوب. ولهذا أعدّت القيادة العسكرية الأمريكية في (سايغون)، تحت إشراف الجنرال هاوكينز، خطة عمليات عرفت باسم (٣٤ - أ) لشنّ هجمات عسكرية وعمليات تخريبية بصورة سرية ضد ڤييتنام الشمالية؛ وتضمنت هذه العمليات رحلات استطلاع بواسطة طائرات التجسّس (يو ٢) وخطف قادة من الشمال؛ وإنزال مجموعات تخريب وحرب نفسية بالمظلات؛ وإغارات مغاوير - كوماندو - من البحر لتخريب الطرق والخطوط الحديدية والجسور وقصف المنشآت الساحلية بواسطة زوارق الطوربيد، وشنّ إغارات

محدودة ـ جوية ـ بواسطة قوة من القاذفات المقاتلة (طراز ت ـ ٢٨)، التابعة لسلاح طيران حكومة (لاووس) الموالية للولايات المتحدة، تتألّف من ٤٠ طائرة تقريباً.

وفي الوقت ذاته؛ بدأت الحكومة الأمريكية بالتخطيط للحصول على موافقة الكونغرس من أجل التدخّل العسكري المباشر والعلني ضد ڤييتنام الشمالية؛ وقصفها بواسطة سلاح الجو الأمريكي بكامل قدراته؛ وذلك عن طريق افتعال حادث تظهر فيه قوات ڤييتنام الشمالية بمظهر البادئة بالعدوان على القطع البحرية الأمريكية القريبة من سواحلها، خاصة وأن كبار القادة العسكريين الأمريكيين كانوا غير مقتنعين بجدوى العمليات السرية في التأثير على إرادة قادة ڤييتنام الشمالية، من حيث استمرارهم في دعم جبهة التحرير الوطني في الجنوب. وقد عبّر عن ذلك الجنرال (ماكسويل تايلور) في مذكرة رفعها إلى وزير الدفاع ـ ماكنمارا ـ، يوم ١٩٦٤/١/٢٢، وجاء فيها: «... في الوقت الذي نقف فيه جميعاً مع الأعمال السرّية ضد ڤييتنام الشمالية، فإنه سيكون من السخف أن نستنتج أن تلك الجهود ستؤدّي إلى نتيجة حاسمة. إن على الحكومة أن تكون على استعداد للقيام بأعمال أكثر جرأة، بما في ذلك القصف الجوي لأهداف رئيسة في شمالي ڤييتنام؛ مع استخدام الموارد الأمريكية تحت غطاء ڤييتنامي».

وكانت دوائر البيت الأبيض في واشنطن تميل إلى الاعتقاد بأن القصف الجوي الأمريكي الشامل لڤييتنام الشمالية سيكون له آثاره

السياسية المطلوبة، نظراً لأن حكومة الشمال ستخشى على منشآتها الصناعية والاقتصادية التي بذلت في سبيل إنشائها جهوداً كبيرة، منذ انتهاء الحرب مع فرنسا في العام ١٩٥٤، ومن ثم ستضطر إلى الرضوخ لإرادة الولايات المتحدة؛ وتتخلّى عن الثورة في الجنوب. وقد عبّر مستشار الرئيس الأمريكي ـ والت رستو ـ عن هذا الاعتقاد في مذكرة قدّمها لوزير الخارجية ـ دين راسك ـ، في ١٣/٢/١٩٦٤، قال فيها: «إن لدى الرئيس هوتشيه مينه شبكة صناعية يريد أن يحميها. إنه لم يعد مناضل العصابات الذي لا يملك ما يفقده».

تم وضع خطة في شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٤ لعمليات القصف الجوّي؛ بمقر قيادة الأميرال ـ هاري فليت ـ، القائد العام لقوّات المحيط الهادي في (هونولولو)، تضمّنت اختيار ٩٤ هدفاً رئيساً في ڤييتنام الشمالية، وتقديرات لردود الفعل الڤييتنامية الشمالية والسوڤييتية والصينية؛ وكيفية مواجهتها. ثم قامت قوة من مغاوير البحرية التابعين لجيش ڤييتنام الجنوبي، بشنّ إغارة بر ـ مائية على جزيرتي (هون من) و(هون نيو) التابعتين لڤييتنام الشمالية في خليج تونكين، وذلك في منتصف ليل ٣٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٦٤. وكانت المدمّرة الأمريكية (مادوكس) تقوم بدورية في الخليج المذكور ضمن برنامج دوريات (ديسوتو) السرّي والخاص بجمع معلومات عن أجهزة رادار ڤييتنامية شمالية؛ ووسائل الدفاع الساحلي فيها. ووصلت المدمّرة إلى مسافة ثمانية أميال من شاطىء ڤييتنام الشمالية في دورية ثانية لها، يوم ٢ آب ـ أغسطس ـ، فاتجهت نحوها مجموعة من زوارق الطوربيد الڤييتنامية. وانطلقت على الفور بعض الطائرات من حاملة

الطائرات الأمريكية (تيكوندروغا) ودمّرت ثلاث زوارق، **فأصدر الرئيس الأمريكي - جونسون - أمره في اليوم التالي (٣ آب - أغسطس -) بإرسال المدمرة (مادوكس) تدعمها المدمّرة (س. تيرنر) إلى خليج تونكين مرة أخرى**؛ على ألّا تقترب لأقل من ١١ ميلاً بحرياً من شاطىء ڤييتنام الشمالية. وأعطيت تعليمات لحاملة طائرات ثانية (تسمى كونستلليشن) بالانضمام إلى حاملة الطائرات (تيكوندروغا) في خليج (تونكين). وفي الليلة ذاتها نفـذّت إحدى عمليات مخطط (٣٤ - أ) حيث قامت زوارق طوربيد ڤييتنام الجنوبية بقصف مصب نهر رون وأحد مراكز الرادار، فيما كانت المدمّرتان (مادوكس وتيرنر) تقفان لحماية العملية. **ووزّعت وكالات الأنباء الأمريكية بياناً جاء فيه أن زوارق طوربيد ڤييتنام الشمالية قد هاجمت المدمّرتين الأمريكيتين في ليل ٤ آب - أغسطس - مما حمل الرئيس الأمريكي - جونسون - على استدعاء مستشاريه فوراً للاجتماع في البيت الأبيض وتم اتخاذ قرار ببدء القصف الجوي الانتقامي ضد ڤييتنام الشمالية.**

وتم تنفيذ القصف بعد ساعات قليلة؛ فشنّت الطائرات الأمريكية ٦٤ إغارة جوية على أربع قواعد بحرية لزوارق الطوربيد الڤييتنامية ومستودعات الوقود فيها. ثم قدم الرئيس جونسون إثر ذلك مشروع قرار إلى الكونغرس؛ وطلب التصديق عليه خلال شهر. وتضمن المشروع إعطاءه؛ دون تقييد بوقت محدد، «صلاحية الأمر باستخدام القوة المسلحة في جنوب شرق آسيا إذا اقتضت الضرورة ذلك». وما إن أقرّ الكونغرس المشروع حتى أخذ جونسون في تصعيد الحرب ضد

ڤييتنام الشمالية؛ مع زجّ القوات الأمريكية بكثافة عاليـة في معارك الجنوب. ولقد استخدم في قصف ڤييتنام الشـمالية (قـوات الطيران الاستراتيجي) التي نفّذت ما يعادل ٨٠ بالمائة من عمليات القصف؛ منطلقة من قواعدها الجوية السبع في (تايلاند)، والتي كانت تضم ٣٠ قاذفة (ب ٥٢)، و ٦٠٠ مقاتلة قاذفة، و ٢٠٠ طائرة نقل. وقد بلغ عدد الطلعات الجوية الأمريكية في شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٦٧، على سبيل المثال، ٥٠ ألف طلعة استهلكت خلالها كميات من القنابل والصواريخ بلغ وزنها ٨٠ ألف طن، بالإضافة إلى ٢٠ مليون لتر من المواد الكيميائية التي تسقط أوراق الأشجار؛ و ١٠ ملايين برميل من الوقود. وكان وزن المتفجرات التي أُلقيت خلال هذا الشهر يعادل نحو ٩٠ بالمائة من وزن المتفجرات التي أُلقيت خلال ٣٧ شهراً من الحرب الكورية. وفي خلال العام ١٩٦٧ كان شلّ لواء من قوّات الثوار عن القتال بفاعلية يتطلب بصورة متـوسطة ٢٠ ألف قـذيفة مدفعية؛ و ٢٠٠ طن من النابالم، و ٢٠٠ طلعة للطائرات العادية و ٣ آلاف طلعة للطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ، ولذلك قـدّر بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي وقتئذ تكلفة قتل المحارب الڤييتنامي من الثوار بمبلغ ٣٥٠ ألف دولار.

ولكن؛ وبالرغم من هذا الجهد المكثّف لعزل الشمال عن الجنوب؛ فقد استمر التعاون في تطوّره. وإذا كان عدد الثوار في الجنوب هو ٤٥ ألفاً في القوات النظامية و ٢٣ ألفاً من جيش ڤييتنام الشمالي، الذي تم إرسالهم لدعم مقاتلي الجنوب، بالإضافة إلى ٦٣ ألفاً في التنظيمات المحلية؛ الميليشيا؛ والعصابات، فإن هذا العدد ارتفع سنة ١٩٦٦ إلى

١١٢ ألف مقاتل، من بينهم ٣٠ ألفاً من جيش الشمال، بالإضافة إلى ٨٦ ألفاً في التنظيمات الأخرى، ثم وصل هذا العدد سنة ١٩٦٧ إلى ٢٠٧ آلاف جندي في الجيش النظامي؛ من بينهم ٧٥ ألفاً من جند جيش الشمال، بالإضافة إلى ١٢٦ ألفاً في التنظيمات الأخرى، ثم تزايد هذا المعدّل سنة ١٩٦٨، فبلغ ٢٤٠ ألف جندي في الجيش النظامي؛ من بينهم ٨٠ ألفاً من جند جيش الشمال، بالإضافة إلى ١٨٠ ألفاً في التنظيمات الأخرى.

٨ ـ حوار الإرادات المتصارعة

بدأت القوّات الأمريكية تدخّلها المباشر في أعقاب حادثة (خليج تونكين) وحصول الرئيس الأمريكي جونسون على موافقة الكونغرس بتصعيد الحرب ضد ڤييتنام الشمالية، فتم إنزال طلائع قوّات المشاة البحرية، في يوم ١٩٦٥/٣/٨، في مرفأ (دانانغ) تمهيداً للسيطرة على القطاع الشمالي من البلاد قرب خط العرض ١٧. وفي شهر أيار ـ مايو ـ أقامت القوات الأمريكية قاعدة عسكرية قوية في (شولاي) الواقعة على بُعد ثمانين كيلومتراً إلى الجنوب من (دانانغ)، ثم تمركزت وحدات من الطيران ومن مشاة البحرية في مطار مدينة (هوي ـ العاصمة الأمبراطورية القديمة ـ)، وذلك في شهر آب ـ أغسطس ـ من السنة ذاتها.

كانت القيادة الأمريكية وقتئذ تعتقد بأن ٦٥ ألف جندي أمريكي يشكّلون قوة كافية للسيطرة على المنطقة الشمالية من ڤييتنام الجنوبية

بين (هوي) وخط العرض ١٧، وأن ٢٠٠ ألف جندي آخرين هم قوة كافية للسيطرة على بقية الجنوب؛ ولتصفية الثوار وقواعدهم. وقد اتبعت القوات الأمريكية في حينه أسلوب (النقاط المحمية)، فكانت القوات الأمريكية، التي تصل تباعاً إلى ڤييتنام، تتمركز في قواعد تؤمن لها درجة جيدة من الأمن والحماية: ولم تحاول، في هذه المرحلة، مطاردة قوّات الثوار أو تمشيط المناطق الواسعة التي يسيطرون عليها خارج القواعد المذكورة.

أما القوات الڤييتنامية الجنوبية فقد كلّف معظمها بتنفيذ خطة أُطلق عليها اسم (**برنامج إحلال السلام في الريف**)، واعتمدت على إقامة (**المزارع الاستراتيجية**).

وقد عملت قوّات الثوّار، في بداية الصدامات البريّة مع القوات الأمريكية ـ والتي دعمها الطيران بقوة ـ على تقسيم تشكيلاتها الكبيرة إلى وحدات صغرى اتخذت شكل السرايا المستقلة المتحرّكة (ثم تحوّلت بعد ذلك إلى كتائب) وعادت إلى تطبيق أساليب حرب العصابات؛ فكانت الكمائن والإغارات هي الشكل الرئيسي للعمليات القتالية. (وقد استطاع كمين تمّ نصبه جنوب داك تو، في يوم ١٩٦٧/٣/٢٤، أن يُنْزِل بفوج من أفواج المظليين الأمريكيين خسائر وصلت إلى ٧٦ قتيلاً).

أما الإغارات فتركّزت على مهاجمة المطارات والمواقع المنعزلة. وكانت عمليات مهاجمة المطارات، في جنوب ڤييتنام، من أنجح عمليات حرب العصابات وأكثرها فاعلية.

وعلى سبيل المثال: فقد دمّرت في قاعدة بليكو ٩٢ طائرة يوم ١٩٦٧/١/٦، كما تمّ تدمير ٩٤ طائرة في قاعدة دانانغ يوم ١٩٦٧/٢/٢٧، هذا بالإضافة إلى الإغارات على المزارع الاستراتيجية وعلى القواعد الإدارية في المؤخرات؛ بحيث أمتدت العمليات هذه من (كوانغ تري) في أقصى الشمال حتى (نام يو) في الجنوب، مع نقل ثقل الهجمات بين الأقاليم، وعلى سبيل المثال: فقد ركزت قوات الثورة هجماتها على القسم الأوسط من البلاد في شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٦٥، ثم ضاعفت هجماتها في إقليم (بينه دينه) على الساحل الأوسط خلال شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ. وخلال هذه العملية الأخيرة اشتبكت قوة أمريكية ـ ڤييتنامية مشتركة، ضمّت ١٥ ألف جندي مع فوج المشاة ٣٢٥ التابع لجيش ڤييتنام الشمالية، دون أن تتمكن من إحراز نتيجة حاسمة.

قامت القوات الأمريكية بعمليات تمشيط هامة متفرقة لم تحقق أكثر من نتائج تكتيكية محدودة. واستغلّ (الجنرال جياب) الموقف لدعم وتعزيز قوّات الثوّار عبر طريق (هوتشي مينه) الذي يمرّ في أراضي لاووس. وما لبثت القوات الثورية النظامية (إحدى فرق ڤييتنام الشمالية) أن ردّت بتكثيف هجماتها المضادة في شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٦٦، فشنّت ٦٣٠ هجوماً من المرتفعات الوسطى على الطريق رقم ١٩، الذي يُعتبر طريقاً استراتيجياً هاماً لأنه يخترق ڤييتنام الجنوبية كلّها؛ وذلك بهدف شطر ڤييتنام إلى قسمين. وهناك خرجت لملاقاتها وحدات من فرق المشاة الأمريكية الرابعة، وعندها ركّز الثوّار هجماتهم على دلتا نهر الميكونغ في الجنوب، والتي تُعتبر منطقة الضعف

لجيش ڤييتنام الجنوبي؛ واشتبكوا في قتال عنيفٍ مع لواء تابع لفرقة المشاة الأمريكية ٢٥ واللواء ١٩٦ من الفرقة الأولى المحمولة جواً (فرسان الجو)، وأنزلوا بهما خسائر فادحة. ثم استدعت القيادة الأمريكية الفرقة ٢٥ واللواء ١٩٦ لتأمين حماية القواعد الأمريكية في منطقة (كوانغ تري) في أقصى الشمال؛ حيث اشتبك آلاف من مشاة البحرية مع القوّات النظامية، من جيش ڤييتنام الشمالية، على مقربة من طريق (هوتشي مينه).

وهكذا تلاحقت ضربات الثوّار الڤييتناميين الذين لم يسمحوا للقوّات الأمريكية بتركيز جهودها وتنظيمها على النحو الذي كان يُخطّط له ويريده قائدها (ويستمورلاند)، رغم الجهود الضخمة التي كان يبذلها الطيران الأمريكي سواء في الشمال أو في الجنوب.

شنّت القوّات الأمريكية نحواً من ألف عملية هجومية في الفترة من تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٦٦ حتى آذار ـ مارس ـ ١٩٦٧. وتفاوتت قوة هذه الهجمات ما بين حجم الكتيبة واللواء، ونفّذت ٦٠ عملية منها على مستوى الفرق وثلاثة على مستوى الفيلق. وكانت أهم هذه العمليات تلك التي نفذّت على مستوى الفيلق في الفترة من ١٩٦٧/٢/٢ إلى ١٩٦٧/٤/١٣، وحملت اسم (جونكشن سيتي) واشترك فيها ٤٥ ألف جندي أمريكي وڤييتنامي جنوبي. وقد أفشل (الجنرال جياب) هذه العملية إذ دفع بثلاث فرق عبر خط العرض ١٧، فأرغمت فرقتي مشاة البحرية الأمريكية (الأولى والثانية)، وعناصر هامة من فرقة (فرسان الجو)، على اتخاذ موقف الدفاع، فضلاً عن ثلاث فرق ڤييتنامية جنوبية قرب الخط المذكور. ثم نظم

(جياب) الحصار على عدد من القواعد التي كانت تحتلّها قوات مشاة البحرية ـ وكان أهمّها قاعدة خي سانة ـ وهكذا فقدت القوات الأمريكية قدرتها على حرية العمل، وفشلت المناورة الاستراتيجية، وأخذت المبادأة الاستراتيجية في الانتقال إلى قبضة قائد القوات الڤييتنامية (الجنرال جياب).

بلغت خسائر القوات الأمريكية والڤييتنامية، في هذه العملية، نحواً من ١٤ ألف جندي وألف مركبة ـ آلية ـ من بينها ٨٠١ مصفّحة ودبابة، و ١٦٧ طائرة من مختلف الأنواع، و ٩٠ مدفعاً ثقيلاً.

وأقبل فصل الأمطار؛ فخشيت القيادة الأمريكية من أن يستغل (الجنرال جياب) عدم قدرة الطيران على العمل، ويزجّ قوّاته للهجوم على القواعد المُحَاصَرَة، ولذلك سحبت وحدات كثيرة من مختلف أنحاء ڤييتنام لتدعم بسرعة قوات الفيلق الأول في الشمال في شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٦٧. ونتيجة لذلك ارتفع عدد جنود هذا الفيلق إلى ١٢٤ ألف جندي بعد أن كان يضم ٦٢ ألفاً فقط.

واستغل الثوار فترة الأمطار لإعطاء قوّاتهم النظامية قسطاً من الراحة؛ مع الاستمرار في عمليات العصابات، خاصة في المنطقة الساحلية التي تمتد لمسافة ٥٠٠ كم، مع حد أدنى من الخسائر وحدّ أقصى من البريق العسكري.

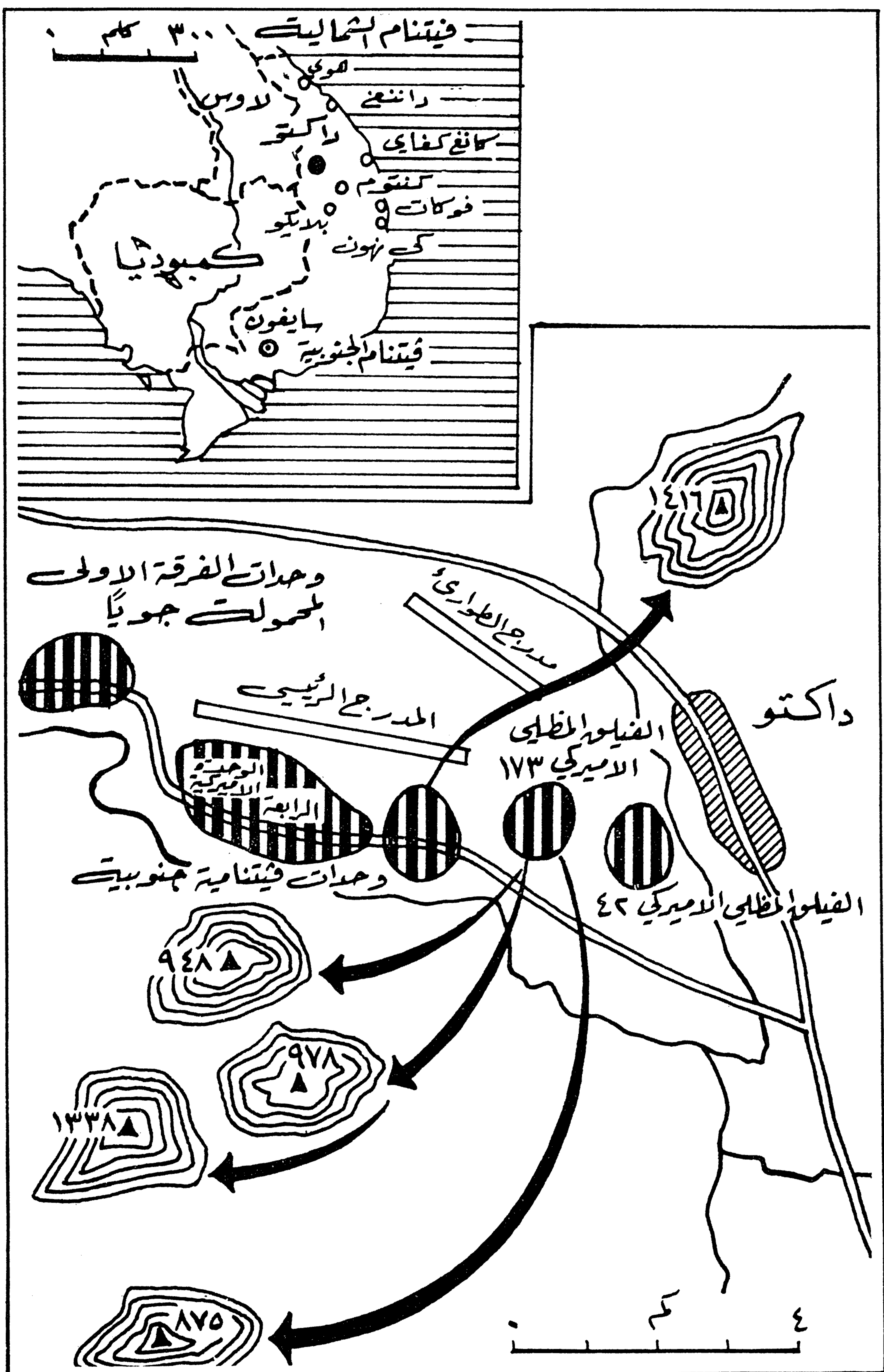
شنّت قوات الثوار هجمات قوية في منطقة المرتفعات الوسطى، وفي شرقي البلاد، خلال الفترة ما بين أيلول ـ سبتمبر ـ وتشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٧، كما تدفّقت التعزيزات عبر طريق (هوتشي مينه)

ومعها مئات من قطع المدفعية، التي تمّ نقلها وحملها لمسافات تجاوزت ثمانمائة كيلومتر على طريق رديئة؛ حيث تمّ توزيعها في المناطق الجبلية؛ وخاصة منها تلك الواقعة على حدود لاووس وكمبوديا؛ وذلك رغم القصف الجوي المركّز والمستمرّ على هذا الطريق الهام.

واحتشد ٨٥ ألف جندي تقريباً من قوّات جيش ڤييتنام الشمالية ومن الثوار، في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٦٨، على جانبي خط العرض ١٧ بهدف منع الأمريكيين من إقامة خط ماكنمارا، وتثبيت قوات مشاة البحرية الأمريكية وفرقة فرسان الجو الأولى وغيرهما من القوّات المتحرِّكة؛ بين (دونغ ها) الواقعة على مقربة من الساحل جنوبي خط العرض ١٧ وحدود لاووس. وبذلك اضطرت القيادة الأمريكية أن تخفّف من قوّاتها في بقية مناطق ڤييتنام، وخاصة في المنطقة القريبة من العاصمة وفي منطقة دلتا نهر ميكونغ.

ولقد أنشأ الثوار منطقة شديدة التحصين تضم شبكة من الخنادق المتصلة تتوسطها مئات من الأبراج الإسمنتية في التلال المشرفة على حوض (داك تو)، وذلك بهدف اجتذاب المزيد من القوّات الأمريكية نحو الشمال؛ مما يؤدّي في الوقت ذاته إلى تأمين حماية المسالك المتصلة أو المتفرعة عن طريق (هوتشي مينه).

ووقعت القيادة الأمريكية في الفخ؛ فأرسلت ١٦ ألف جندي أمريكي؛ أقاموا مراكزهم في الحوض المذكور؛ قريباً من خطوط مواصلات الثوّار مع الشمال، عند مخرج طريق (هوتشيه مينه). وقد ضمّت هذه القوة فرقة المشاة الأمريكية الرابعة ولواءي المظليين ٤٢



فيتنام الشمالية
٠ ٣٠٠ كلم
هوي
دانانغ
لاوس
داكتو
كانغ كفاي
كنتوم
فوكات
بلاتكو
كي نهون
كمبوديا
سايغون
فيتنام الجنوبية
١٤١٦
وحدات الفرقة الاولى المحمولة جويًا
مدرج الطوارئ
المدرج الرئيسي
داكتو
الفيلق المظلي الاميركي ١٧٣
الوحدة الاميركية الرابعة
وحدات فيتنامية جنوبية
الفيلق المظلي الاميركي ٤٢
٩٤٨
٩٧٨
١٣٣٨
٨٧٥
٠ كم ٤

معركة داك تو

و ١٧٣. وانتشرت هذه القوة في خنادق مجهّزة ومتّصلة بقواعد محصّنة بلغ عددها ٥٣٥ قاعدة، بالإضافة إلى الملاجىء المتّصلة بالأنفاق. وهنا دارت معركة عنيفة استمرت حتى ١٩٦٧/١١/٢٦ بين القوّات الأمريكية والقوات الڤييتنامية الثائرة التي كانت تشرف على القاعدة من التلال المحيطة بها.

لقد اعتبرت معركة (داك تو) هذه من المعارك الكبرى والحاسمة في مسيرة الحرب الأمريكية ـ الڤييتنامية رغم أن مدّتها لم تتجاوز أربع وعشرين يوماً (٢ حتى ٢٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٧). ولم تكن (داك ـ تو) أكثر من قرية صغيرة قد يصعب العثور عليها على الخرائط والمصوّرات، لكن موقعها على النجود العليا، وقُربها لمسافة خمسة عشر كيلومتراً فقط من الحدود المشتركة بين لاووس وكمبوديا؛ وموقعها عند نهاية طريق (هوتشيه مينه) قد أكسبها أهمية استراتيجية خلال تلك المرحلة من مراحل الصراع، مما دفع القوات الأمريكية لإقامة تنظيماتها الدفاعية الضخمة.

ومقابل ذلك حشد (الجنرال جياب) قوّات قُدِّر عدد أفرادها باثني عشر ألف مقاتل؛ انتشروا على الهضاب المحيطة بالقرية؛ والتي كانت تغطّيها الأدغال الكثيفة والأشجار الضخمة والعرائش والخيزران ـ البامبو ـ. وضمّت القوات الڤييتنامية خمسة أفواج (٤ أفواج من المشاة وفوج مدفعية صاروخية عيار ١٢٢ مم، وكتيبة صواريخ ١٤٠ مم).

ولقد خاضت القوات الأمريكية قتالاً صعباً ومريراً إلى أن تمكنت

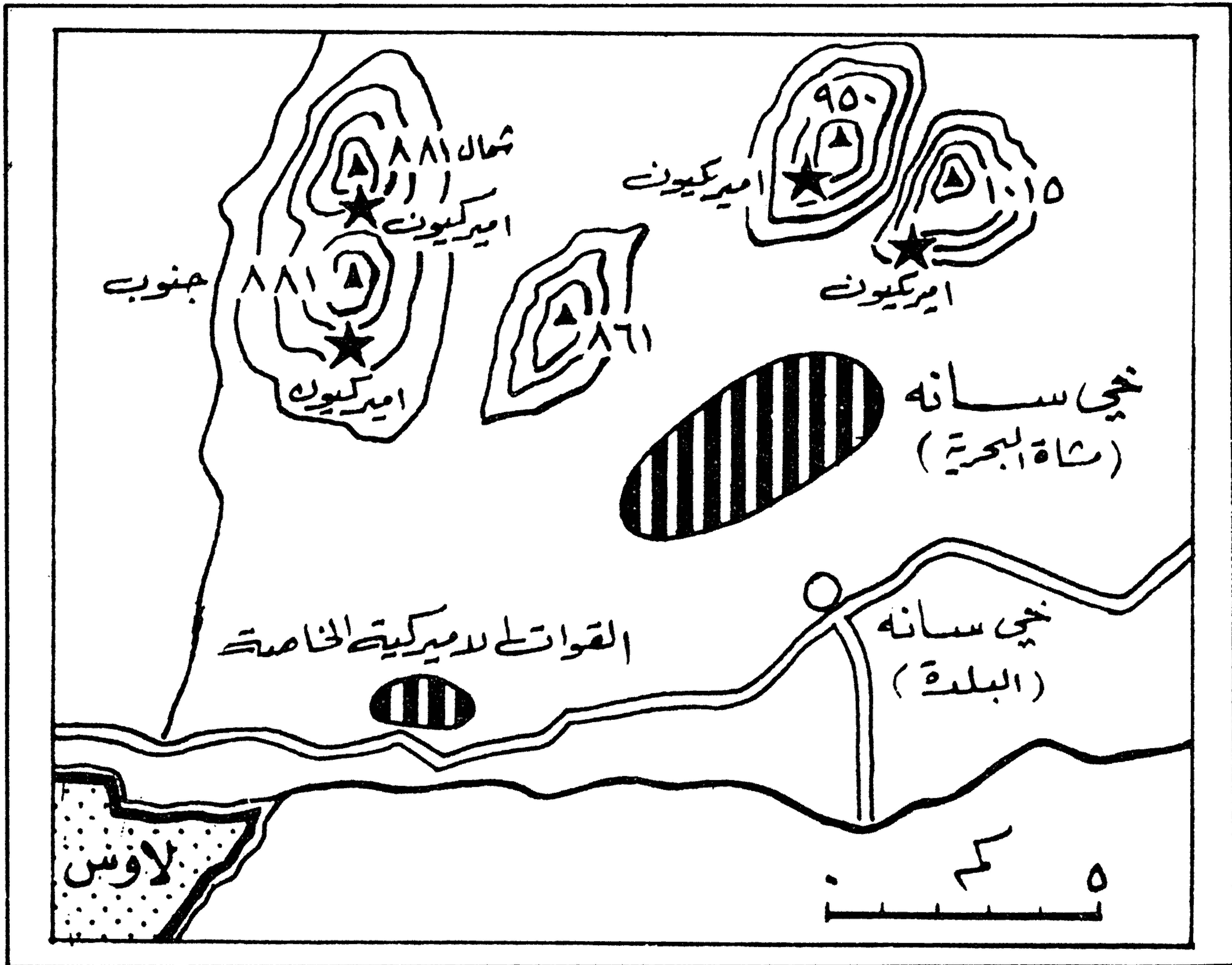
من السيطرة على المرتفعات (٩٤٨ و٩٧٨ و١٣٣٨) حتى يوم ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ، ثم بدأ القتال الأشدّ ضراوة والأشد عنفاً، والذي استمر لمدة أربعة أيام (حتى ٢٤ منه)، للاستيلاء على المرتفع ٨٧٥، وتم زجّ لواء المظليين ١٧٣، وتم تركيز نار كثيفة أحاطت بالمرتفع من كل جانب، وقامت ٣٤ طائرة ب ٥٢ بطلعة جوية واحدة ألقت فيها ٩٠٠ طناً من القنابل؛ ورغم ذلك فقد استمرّ القتال بعنف متصاعد؛ مما حمل القيادة الأمريكية على زجّ المزيد من القوات مع استخدام قاذفات اللهب على نطاق واسع. وعندما وصلت القوات إلى ذروة المرتفع اصطدمت بمنظر مرعب؛ لقد كان شبح الموت والدمار والفناء جاثماً على قمة المرتفع، حتى الأشجار والأعشاب والصخور قد انصهرت في كتلة سوداء متفحِّمة، وقد تفرّق الجرحى بين حطام سبع طائرات عمودية، ودَاخَلَهم اليأس من قدوم المنقذ.

وإذا كانت قرية (داك ـ تو) قد اكتسبت شهرة عالمية ـ وقتئذ ـ لما شهدته من صراع عنيف، فإن (خي سانه) التي تعرضت للحصار من شباط ـ فبراير ـ حتى نيسان ـ أبريل ـ ١٩٦٨ قد أصبحت ـ وقتئذ أيضاً ـ حديث كل إنسان في العالم، بسبب الصراع الدموي الرهيب الذي مثّل أفضل تمثيل الحوار العنيد بين الإرادات المتصارعة.

تقع خيسانه، (أو خي سانه)، على بُعد تسعين كيلومتراً من العاصمة القديمة (هوي) في الشمال الغربي من ڤيتنام الجنوبية، وقد تم تحصينها في إطار مخطّط (ويستمورلاند)، والذي عُرف باسم (نظام الموانع المعزّز بالنقاط الحصينة). وهي تقع على هضبة وعرة اكتسبت

أهميتها التكتيكية والاستراتيجية باعتبارها قاعدة متقدّمة لإرسال الدوريات المكلّفة بإعاقة أعمال تسلل الثوار الڤييتناميين من (لاووس) على امتداد الطريق رقم ٩، كما استخدمت لعمليات (المجموعة العسكرية الأمريكية للبحث والمراقبة)، وللقيام بعمليات حربية سريّة محدودة غير مُعْلَن عنها في (لاووس). وقد أنشأت البحرية الأمريكية فيها مدرجاً حديثاً ـ مهبط ـ لطائرات الاستطلاع والطائرات المُقاتِلة المكلّفة بالهجوم على طريق (هوتشيه مينه)، والذي كان يمتد على طول الحدود الواقعة بين ڤييتنام الجنوبية ولاووس من جهة وبين ڤييتنام الجنوبية وقسماً من الحدود الكمبودية من جهة أخرى.

نظمت (قاعدة خيسانه) لتكون قلعة حصينة أحاطت بها الخنادق المتعرِّجة، بالحواجز من الأسلاك الشائكة ـ بعضها مكهرب ـ، وبحقول الألغام، وبأنظمة الاستشعار الألكترونية المعدّة لإنذار المدافعين. وكان الدعم الناري المباشر قد شمل ١٦ مدفعاً عيار ١٧٥ مم في قاعدة (كامب كارول)، الواقعة على بُعد ١٤ ميلاً من (خيسانه)، بالإضافة إلى طائرات (ب ـ ٥٢). أمّا القدرة النارية الذاتية التي توافرت في خيسانة فقد اعتمدت على ثلاث بطاريات مدفعية هاوتزر عيار ١٠٥ مم؛ وبطارية مدفعية هاوتزر عيار ١٥٥ مم، وبطاريات هاون من عيارات مختلفة. وكانت قيادة منطقة الفيلق الأول في حالة تأهّب دائم لتقديم الدعم الناري إذا ما تعرّضت القاعدة للخطر. وتم نشر القوات على التلال الأربع المسيطرة على الممرّات المؤدِّية للقاعدة وهي التلال التي حملت الرموز الطبوغرافية (مرتفعات ٥٥٨ و ٩٥٠ و ٨٦١ و ٨٨١).



المواقع الأميركية في خي سانة

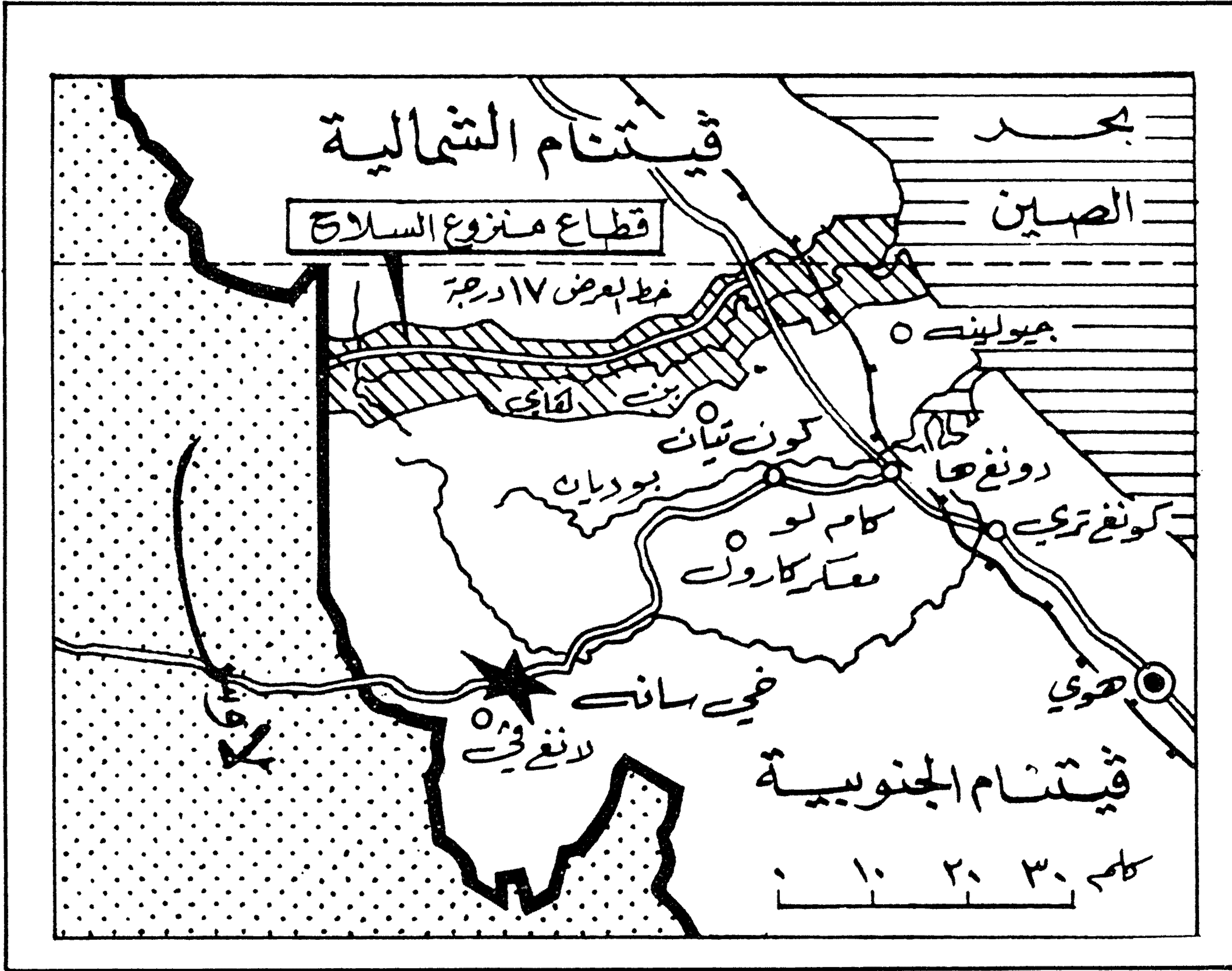
استطاع الجنرال جياب أن يزجّ بفرقتين للهجوم على (خيسانة): الفرقة ٣٢٥ سي من جيش ڤييتنام الشمالية؛ وقد احتلّت مدفعية هذه الفرقة مرابضها إلى الشمال من المرتفع ٨٨١. أما الفرقة ٣٠٤ فقد عبرت الحدود اللاووسية واحتلت مواقعها إلى الجنوب الغربي من خيسانة.

وتبع ذلك وقوع عدد من الاشتباكات الصغرى (كمائن ودوريات وتراشق بالمدفعية وقصف جوي الخ...). ووقع أعنف تلك الاشتباكات في ليل ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٦٧ على مشارف المرتفعين ٨٦١ و ٨٨١ الواقعين جنوب خيسانة، ثم وقع اشتباك قوي في منتصف ليل ١٩٦٨/٢/٦ عندما هاجمت تسع دبابات ڤييتنامية

شمالية (وقد ظهرت هذه الدبابات للمرّة الأولى وهي سوڤييتية من نوع ب. ت ـ ٧٦) مصحوبة بقوة من المشاة؛ وانقضّت على معسكر (لانغ ـ في) وقتلت عشر جنود أمريكيين وجرحت أحد عشر جندياً؛ وانسحبت قبل أن يصل الدعم من قاعدة خيسانة.

ولقد زجّ جياب فرقتين أُخريتين، حيث انتشرت الفرقة الثالثة في المنطقة المجرّدة من السلاح شمالي قاعدة (روك بابل)، فيما تمركزت الفرقة الرابعة على مشارف مطار (دانانغ) الحيوي، علاوة على قوات بحجم فرقة في ضواحي (هوي)، وبالإضافة أيضاً إلى فرقتين انتشرتا على الساحل إلى الجنوب من المنطقة المجرّدة من السلاح. وهكذا انتشرت في محيط (خيسانة) مجموعة من سبع فرق ڤييتنامية مقاتلة؛ ومجهّزة تجهيزاً حديثاً، مما جعل ميزان القوى يميل، بشكل واضح، لمصلحة قوات ڤييتنام الشمالية.

تحرّكت القيادة الأمريكية بسرعة لمواجهة الموقف، فتم إرسال مجموعة القوّات البرمائية الثالثة، التابعة للأسطول، لدعم كتيبتي مشاة البحرية في القاعدة وعلى التلال. وأصدر (ويستمورلاند) أمره في الوقت ذاته بتكثيف عمليات الاستطلاع الجوي، مع إرسال وحدة من القوات الأمريكية لتقوم بالدوريات القتالية على أطراف خيسانة. وتم تنظيم (مجموعة عمليات) للبحث عن مواقع الثوار وإبادتها؛ وللتنسيق بين الاستطلاع الجوي والقوّات والنيران البرية لدعم حامية خيسانة. وتمت زيادة عدد أفراد الحامية إلى ٤ كتائب مشاة بحرية (شكلت ثلاث منها اللواء ٢٦)، ودعمت بالمدفعية والدبّابات؛



وسرية من القوات المدنية غير النظامية، ومستشارين من القوات الخاصة الأمريكية؛ وكتيبة جنود نظامية. فبلغ عدد المدافعين ٦ آلاف مقاتل مقابل ١٥ ـ ٢٠ ألف من الڤييتناميين.

بدأت معركة خيسانة عندما قام الڤييتناميون، في منتصف شهر شباط ـ فبراير ـ سنة ١٩٦٨، بمهاجمة قمم التلال الأربع المسيطرة على الطرق الرئيسة المؤدِّية إلى قاعدة خيسانة؛ بهدف السيطرة على هذه التلال تمهيداً لعزل القاعدة وتصفيتها. وبدأت المدفعية الميدانية للقوّات الثورية الڤييتنامية ترمي بدقة على هذه التلال. وتحرّكت المشاة في الخنادق المتعرِّجة المحفورة باتجاه القاعدة. ووقعت أعنف المعارك وأشدّها ضراوة على المرتفع ٨٨١؛ وانتهت بفشل المشاة الڤييتناميين في السيطرة على المرتفع بعد أن أوشكوا على عزله واحتلاله؛ ولكن

الطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ عملت باستمرار على دعم القوات الأمريكية على المرتفع طوال أيام المعركة؛ كما أفادت القوات الأمريكية كثيراً من دعم المدفعية وطائرات الدعم الأرضي؛ وقاذفات القنابل الثقيلة (ب ـ ٥٢).

أعادت القوّات الڤييتنامية تنظيم وحداتها من جديد؛ بعد فشل هجومها؛ وزجّت فوجاً في هجوم جديد؛ واستطاعت قوات هذا الفوج تجاوز التلال والوصول إلى حدود القاعدة. ولكن أجهزة الاستشعار الألكترونية والألغام والأسلاك المكهربة أعاقت تقدّمهم. وأسهمت المدفعية والطائرات في الحدّ من اندفاعة الهجوم، وتمكنت من إيقافه. ولقد تابعت القوّات الڤييتنامية هجومها، وقامت قوات ڤييتنام الشمالية في ليل ١٩٦٨/٢/٢٩ بشنّ ثلاث هجمات متتالية ضد مواقع الكتيبة التابعة لجيش ڤييتنام الجنوبية؛ واستطاعت قوّات الهجوم اختراق النطاق الدفاعي الخارجي؛ وكادت تصل إلى قلب القاعدة، إلاّ أنها اضطرت مرغمة للانسحاب تحت ضغط الطيران.

وهكذا استطاعت الكثافة النارية التي استخدمها الأمريكيون أن تحبط هجوم القوات الڤييتنامية التي أخذت في سحب عدد كبير من وحداتها ـ اعتباراً من نصف آذار ـ مارس ـ ١٩٦٨ إلى خارج ساحة المعركة، غير أنها بقيت متمسِّكة بالمواقع التي سيطرت عليها خلال المعارك الضارية؛ وتابعت حصارها للفوج ٢٦ من قوات مشاة البحرية الأمريكية التي بقيت معزولة داخل قاعدتها. ولقد أدّى حصار هذا الفوج إلى استنفار الرأي العام الأمريكي الذي أخذ بقول

رئيسه ـ جونسون ـ. وأوضح ويستمورلاند أن سوء الأحوال الجوية والطبيعة الجغرافية الصعبة قد عملتا على إعاقة رفع الحصار عن الفوج الذي حُوصِر في خيسانة.

وعلى كل حال؛ فقد انطلقت فرقة الخيّالة المدرّعة الأولى في اليوم الأول من نيسان ـ أبريل ـ لتنفيد عملية (بيـغاسوس) وتأمين الاتصال الأرضي من جديد مع قاعدة خيسانة، والتي لم تفقد الدعم الجوي والأرضي طوال فترة الحصار، كما تحركت قوة من مشاة البحرية باتجاه الغرب ـ على امتداد الطريق رقم ٩ ـ وسيطرت عليه؛ وأصلحت ما تمّ تخريبه منه؛ وأزالت الألغام والأفخاخ المزروعة فيه؛ بينما توجّهت كتيبة المهندسين الحادية عشرة ـ التابعـة لمشاة البحـرية الأمـريكية ـ بالسير مباشرة إلى القاعدة؛ وأقامت اتصالها الأرضي مع قوات القاعدة التي خرجت من طوق الحصار؛ واتصلت بكتيبة المهندسين في يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ بعد حصار استمر أكثر من شهر ونصف الشهر.

لقد كانت معـركة (خي سـانة) بمثـابة «استعـراض رهيب لقوة النيران»، كما قال القائـد الأمريكي (ويستمـورلانـد)، حيث قـامت طائرات الدعم التكتيكي خلال مرحلة الحصار بمعدل ٣٠٠ طلعة في اليوم؛ وألقت ٣٥ ألف طن من القنابل والصواريخ على الأهـداف الڤييتنامية. أما قاذفات (ب ٥٢) فقامت بحوالي ٢٦٠٢ طلعة؛ ألقت خلالها أكثر من ٧٥ ألف طن من القنابل. وأطلقت مدافع الهاوتزر التـابعة للقـاعدة، والمـدافع عيـار ١٧٥ مم، الموجـودة في (كامـب كارول)، أكثر من مائة ألف قذيفة ـ أي بمعدل ١٥٠٠ قذيفة في كل

يوم ـ، وبالإضافة إلى هذه القدرة النـارية الـرهيبة، فقـد استخدم الأمريكيون في خيسانة ـ وللمرة الأولى ـ أسلحة جديدة: مثل قذيفة المدفعية (كوفرام) وقنابل النابالم المتطورة والقادرة على اختراق الأرض والـوصول إلى عمق الأنفـاق المحفورة في بـاطن الأرض، وكذلـك استخدمت قنابل (دايزي كاتر) لتنظيف وتطهـير مناطق الإنـزال في الغـابات من رجـال المقاومـة، والقنابـل الحارقـة لإحراق الغـابات الكثيفة. . الخ . . .

تحرّكت قوات فرقة الخيالة المـدرّعة الأولى بعـد تأمـين الاتصال الأرضي، مع قوات حامية خيسانة؛ للبحث عن الثوار الڤييتناميين في محيط خيسانة، وعلى كافة الاتجاهـات. واشتركت في هـذه العملية قوّات من جيش ڤييتنام الجنوبي ومشاة البحرية. وتم تنظيف القاعدة والتلال والمناطق المحيطة بها من الألغام والمصائد، ثم قامت القوات الأمريكية بـاحتلال (وادي أشـاو) وأمكن لهم تأمـين السيطرة عـلى مساحة كبيرة من شمال البلاد.

بينما كانت المعركة في (خي سانة) تدور على أشدّها؛ كان الثوار الڤييتنـاميون يـزيدون من حجم عمليـاتهم في دلتا نهر الميكـونغ في الجنوب؛ مع تكثيف أعمال العصابات؛ مستفيدين من تـركيز ثقـل القوات الأمريكية في محيط (خيسانة). وأمكن لهم بذلك قطع الطرق المؤدِّية إلى عاصمة الجنوب (سايغون)، الأمـر الذي أرغم حكـومة ڤييتنام الجنوبية على استيراد أكثر من مليون طن من الأرز لمواجهـة النقص في هذه المادة الغذائية الرئيسة، التي أصبحت مفقودة بسبب

الأعمال القتالية في الدلتا، كما تعرّضت (دانانغ) و (بليكو) و (كونتوم) و (آنخيه) لعمليات قصف مختلفة بمدفعية الثوّار. **واستطاع (جياب) بذلك أن يشتّت جهود القوة الضاربة الأمريكية؛ وأن يرغمها على اتخاذ موقف الدفاع؛ والتمركز في الخنادق والبقاء داخل قواعد محصّنة ثابتة؛ تتعرض للقصف أو للحصار شبه المستمر، كما استطاع أن يحطم (خط ماكنمارا).**

وفي الوقت ذاته؛ فإن عمليات الحصار، ووفرة الهجمات المتفرّقة، حرمت (ويستمورلاند) من تقدير الحجم الحقيقي لقوات خصمه (جياب)، ومنعته من معرفة مخططاته وأهدافه. وتوافرت بذلك الفرصة المناسبة أمام (جياب) للإفادة من رأس السنة القمرية لشن هجوم استراتيجي في يوم ١٩٦٨/١/٣١ بصورة مباغتة، وهو الهجوم الذي عُرف باسم (**هجوم التيت**)، والذي أمكن له تحقيق نجاحات سياسية وعسكرية ومعنوية هائلة؛ دعمت من قوة الثورة الڤييتنامية؛ وتركت أصداء قوية على المستوى العالمي؛ بحيث ظهر للأمريكيين أنفسهم احتمال تعرضهم لهزيمة مماثلة لهزيمة الفرنسيين في (ديان بيان فو). وقد يكون من المناسب التوقّف قليلاً عند هذه العملية التي تألّق فيها اسم (الجنرال جياب) فوصل الذروة في إدارة الحرب الثورية.

أشرف (جياب) إشرافاً مباشراً على تحضير هذا الهجوم؛ وتابع بصورة دقيقة إعداده وربطه بحملة (الشتاء ـ الربيع)، ووضع كافة الاحتمالات الممكنة لتطوّراته ولردود الفعل الأمريكية.

وقد بدأ هجوم التيت بعد منتصف ليلة ٣٠ ـ ٣١ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٦٨ بمهاجمة السفارة الأمريكية في (سايغون)، ثم سرعان ما انتشرت الهجمات في مختلفة المدن والمراكز الرئيسة في ڤييتنام الجنوبية؛ كما تم احتلال مدينة (هوي ـ العاصمة الأمبراطورية القديمة ـ). وكان هدف (جياب) هو تدمير القدرة الأمريكية عسكرياً ونفسياً، وتفتيت قدرة جيش ڤييتنام الجنوبي؛ ودعم الحركة الشعبية الموالية لجبهة التحرير؛ وطرد حكومة (ثيو ـ كاي)، مما يفسح المجال أمام العمل الديبلوماسي لإجراء مفاوضات مع أمريكا؛ تضع نهاية للحرب.

وهكذا زجّ (جياب) بخمسين بالمائة من قوّته الضاربة التي قُدّرت بمائة وعشرين ألف مقاتل، واستخدم في الهجوم قطعات جبهة التحرير بنسبة أكبر مما استخدمه من قطعات جيش الشمال، وركّز ضرباته ضد مراكز قيادات الأمريكيين ومراكز اتصالاتهم والمراكز الإدارية ومستودعات المحروقات والذخائر والمنشآت الرادارية والألكترونية. وقد حدّدت أهداف الهجوم العام بضرب القواعد الجوية والمطارات بهدف تجميد أكبر عدد من الطائرات داخل قوّاتها؛ وإضعاف قدرة الرد الأمريكي.

ونظراً لتوزع هذه الأهداف وانتشارها؛ فقد شمل الهجوم الواسع والعنيف أكثر من خمسين مدينة وعاصمة من عواصم الأقاليم، التي تمّت مهاجمتها جميعاً في آن واحد، وتعرّضت سايغون وهوي ودانانغ وفينه لونغ وكان نهو وترافينه لتدمير هائل. أما بالنسبة للعاصمة

(سايغون) فقد بدأ الهجوم على السفارة الأمريكية حيث تمّ احتلال خمسة طوابق منها خلال عدة ساعات، بينما كانت قوّات شعبية أخرى تخترق قصر الرئاسة. واحتلّ الثوار المقرّ العام لهيئة الأركان الڤييتنامية الجنوبية ـ الأمريكية المشتركة، ودمّروا محطة إذاعة سايغون تدميراً تاماً، وتشبثت قوات الهجوم بالمقرّ العام للبحرية الڤييتنامية ـ الجنوبية وأنزلت به خسائر فادحة، كما تعرّضت مستودعات الأعتدة والذخائر للدمار، وهوجمت مراكز الشرطة، ومزقت قوّاتها شرّ ممزق.

وتكررت مثل هذه الصورة ذاتها في (هوي) وارتفعت أعلام جبهة التحرير في كل مكان، وقطعت كل وسائط المواصلات مع الخارج، وتم إطلاق سراح أكثر من ألفي معتقل سياسي، وانضم آلاف الشباب إلى القوات الشعبية؛ وظهرت في العاصمة (هوي) منظمة (تحالف القوات من أجل الاستقلال والديموقراطية والسلام). وسرعان ما انتشرت التنظيمات الثورية في كل مكان؛ وأخذت في ممارسة دور (السلطة الحكومية).

لقد بُوغتت القيادة الأمريكية والڤييتنامية مباغتة تامّة أذهلتها ومنعتها عن الردّ الفعّال طوال الأيام الأولى من العملية. ووجّه الجنرال جياب أمراً يومياً، في ١٠ شباط ـ فبراير ـ ١٩٦٨، جاء فيه: «**يتلقّى العدو الآن ضربة أفقدته صوابه. وجّهوا ضربات كبرى إلى الأماكن الحسّاسة؛ ولا تَدَعُوه يتمالك زمام نفسه ليستعيد قواه. إن خططنا تتحقق بصورة كاملة في الميادين العسكري والسياسي بكامل أبعادها الاستراتيجية؛ وفي كل هدف من أهدافها المحدّدة. ولقد**

دمرت الجبهة في بضعة أيام أسطورة عدم التمكّن من التعرُّض للقوات الأمريكية؛ أو إلحاق الضرر بها، كما حطّمت الجبهة الجهاز السياسي الذي ضمّ العملاء الخائرين المتردّدين».

حقق (جياب) انتصارات مؤكّدة على المستوى العسكري؛ فقد نجح في تجميع قوّات هائلة حول المدن الكبرى والقواعد الكبيرة في منتهى السريّة بأعداد لم يسبق له أن جمعها، وبأسلحة لم يعرف أثقل من عياراتها، كما ضمن لنفسه المبادأة في العمليات، وبرهن أن باستطاعة أفواجه التمركز في المدن لأكثر من أسبوع. وقد تمكن من إضعاف التنظيم العسكري الأمريكي، وعزله عن مؤخراته؛ وأرغمه على إجراء إعادة تنظيم شامل لقوّاته ومخطّطاته. ووقف ثلث الجيش الأمريكي والڤييتنامي الجنوبي في مواجهة ست فرق ڤييتنامية على جبهة الشمال. واستمر عمل ثوّار الڤييتكونغ على النجود العُليا؛ وفرضوا سيطرتهم على قسم من مدينتي (كونتوم) و (بليكو)، وكان هدفهم هو تثبيت الفرق التي قد تفكّر القيادة الأمريكية بنقلها إلى قطاعات أخرى، كما مارس الثوّار ضغطاً مستمراً على دلتا نهر الميكونغ، وكان هناك أكثر من ٢٠ ألف جندي يقفون على مسافة أقلّ من مسيرة يوم واحد من (سايغون)، وهم يمارسون أعمال إثارة الفوضى والاضطراب لوضع العاصمة في وضع قلق وغير مستقر.

وقفت القيادة الأمريكية أمام موقف حرج للغاية بسبب الهجوم الشامل الذي نظّمه الجنرال جياب؛ ذلك لأن القوى الاحتياطية المتوافرة لهذه القيادة لم تكن كافية لإحراز النصر الحاسم. وكانت في حاجة لدعم إضافي، غير أن القيادة الأمريكية العليا في واشنطن لم

تكن قادرة في تلك الفترة لإرسال مثل هذا الدعم؛ بسبب قرب انتخابات الرئاسة الأمريكية من جهة، وبسبب معارضة الرأي العام الأمريكي لإرسال المزيد من القوّات إلى ڤييتنام من جهة ثانية.

وهكذا وجد القائد العام للقوات الأمريكية في ڤييتنام ـ الجنرال وليم تشيلد ويستمورلاند ـ أنه مرغم على مجابهة الموقف بما هو متوافر لديه من القوات في منطقة سايغون. وكانت هذه القوات تضم أربعة ألوية، بالإضافة إلى القطعات المختارة من الڤييتناميين الجنوبيين (المظليين والمغاوير ورماة البحرية). ثم جلب دعماً من القوات المدرّعة (من لونغ بيه)، الواقعة على بُعد ٢٥ كيلومتراً من العاصمة. وأنزل فوق (تان سو نهوت) قوات محمولة جواً جلبها من قاعدة (بين هوا)، القريبة من العاصمة، والتي نزلت فيها وحدات لواء المشاة الأمريكي الخفيف ١٩٩ المحمول بالطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ واستمرّ تمشيط العاصمة وضواحيها ١٥ يوماً، واستخدم الطيران في عملية التمشيط على نطاق واسع؛ كما استخدم النابالم الذي أحرق أحياء بكاملها.

تعرّضت قوات جبهة الشمال، والتي ضمّت ٧٥ ألف جندي من مشاة البحرية، لهجمات عنيفة ومرنة، فعمل (الجنرال ويستمورلاند) على دعمها بالفرقة الأولى من فرسان الجو وباللواء الثاني من الفرقة المحمولة جواً (فرقة المظليين ١٠١) مع مجموعة (الفهود السود) التابعة للفرقة الڤييتنامية الجنوبية الأولى. ودارت المعارك الطاحنة عدة أسابيع في (هوي) التاريخية ببسالة؛ وقدّموا تضحيات كبيرة قبل أن يسلّموها للقوّات الأمريكية في يوم ٢٢ شباط ـ فبراير ـ.

نظّم مساعد الجنرال ويستمورلاند (الجنرال كريفتون أبرامز) مقرّ قيادة متقدّم له في (خوبي ـ قرب هوي ـ)، وذلك في مطلع شهر آذار ـ مارس ـ، ولكن ويستمورلاند استدعاه يوم ٨ آذار ـ مارس ـ إلى سايغون؛ وأعلن عن تشكيل قيادة جديدة بإمرة الجنرال روسون تضمّ الفرقة الأولى لفرسان الجو وفرقة المظليين ١٠١ والفرقة الجديدة ـ أمريكا ـ. ولكن هذه القوات كانت تصدّ بصعوبة هجمات ست فرق ڤييتنامية.

وهكذا عاد ويستمورلاند فحشد معظم قوّاته الضاربة في الشمال ـ ما بين خي سانة ودانانغ ـ. وحول العاصمة سايغون في الجنوب. وتحوّلت قوّاته إلى الدفاع ما بين خط العرض ١٧ وشبه جزيرة كامان، مما وضع هذه القوات أمام حرب استنزاف كثيرة التكاليف، الأمر الذي دفع بعض القادة الأمريكيين إلى طرح فكرة استخدام القنبلة الذرية التكتيكية لمنع الانهيار.

لم يكن باستطاعة الجنرال ويستمورلاند ـ والقيادة الأمريكية والڤييتنامية من خلفه ـ الرضوخ للتحدي الفاضح الذي فرضه عليها الجنرال جياب، ولهذا فقد تمّ مخطّط العملية، التي حملت اسم (مصمّمون حتى النصر)، والتي تم البدء بتنفيذها مع الانتهاء من إيقاف هجمات الثوّار؛ وتأمين الحماية للمدن؛ وحشدت لهذه العملية فرق المشاة الأمريكية الثلاث: الأولى والخامسة والتاسعة، بالإضافة إلى فرقتين من قوّات ڤييتنام الجنوبية: ٥ و ٢٥، وتم البدء بتنفيذها في منتصف شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٦٨. كما شارك في العملية

قطعات خاصة مختارة من المغاوير والمظليين ورماة البحرية، وتم دعمها بمئات الطائرات والطائرات العمودية ـ الهيليكوبتر ـ، بعد وصول ٤٠٠ طائرة مقاتلة و ٨٠٠ طائرة عمودية.

ولما كان الجنرال جياب يتوقع حدوث مثل ردّ الفعل الأمريكي هذا؛ فقد عمل على سحب قواته بسرعة من محيط سايغون تحت ستار غلالة دفاعية رقيقة، وأعاد تجميعها في مناطق مأمونة قرب الحدود مع كمبوديا، فجاءت ضربات مخطّط (**مصمّمون حتى النصر**) في شبه فراغ؛ الأمر الذي حمل ويستمورلاند على وضع استراتيجية جديدة عرفت باسم (التطهير والتثبيت) وإعادة تجميع القوات حول المدن لحمايتها.

نقل (ويستمورلاند) إلى واشنطن ليشغل منصب رئيس هيئة الأركان، وحل محله معاونه ـ الجنرال أبرامز ـ، الذي حاول متابعة تنفيذ مخطط (مصمّمون حتى النصر)، في نهاية شهر نيسان ـ أبريل ـ، إلّا أنه عدل عن ذلك؛ وعاد إلى تبنّي استراتيجية حماية المدن والقواعد خوفاً من (رأس سنة قمرية جديدة؛ تحمل معها معركة دموية رهيبة).

لقد استطاع الجنرال جياب تحقيق الكثير من أهداف (هجوم التيت) إلّا أنه لم يتمكن من تحقيقها جميعها؛ فهو لم يتمكن من القضاء على قوّات ڤييتنام الشمالية قضاءً تاماً، كما كان يريد؛ وهو لم يتمكن من إثارة عصيان عام، كما كان يرغب، إلّا أنه بالمقابل قد تمكّن من إحباط كل أمل لدى القيادة الأمريكية في القضاء على الثورة في جنوب ڤييتنام، كما أكّد تصميم ڤييتنام الشمالية على متابعة نهجها في دعم

الثورة في جنوب ڤيتنام؛ رغم كل ما تعرّضت له من القصف ومن التدمير؛ وأظهر للقيادة الأمريكية ضعف الدفاع عن خط العرض ١٧ . كما كان من نتيجة هجوم (التيت) تدمير جهاز الحكم والإدارة في ڤيتنام الجنوبية، سواء في الأقاليم أو حتى في العاصمة سايغون.

وهكذا؛ وإذا لم ينجح (الجنرال جياب) في وضع خاتمة نهائية وحاسمة عبر (هجوم التيت) إلّا أنه أظهر أن مثل هذه الخاتمة النهائية هي أمر قريب الاحتمال؛ إذ قد لا تكون الظروف الداخلية والدولية مساعدة في كل مرة لتنفيذ مخطط مثل مخطط (مصمّمون حتى النصر).

وأخذت ذكريات (ديان بيان فو) تلوح في الأُفق. وكان من الصعب على الأمريكيين احتمال هزيمة مماثلة لهزيمة الفرنسيين في ڤيتنام.

وهكذا واجه الرئيس الأمريكي ـ جونسون ـ، ولأول مرة؛ احتمال ضياع جميع الجهود التي بذلها طوال ثلاث سنوات من التصعيد المستمرّ للحرب؛ فأعلن يوم ٣١ آذار ـ مارس ـ ١٩٦٨ عن قراره الخاص بالحدّ من نطاق العمليات الأمريكية في ڤيتنام، وأمر باقتصار القصف الجوي لڤيتنام الشمالية بحيث لا يتجاوز خط العرض ٢٠ . وبعث إلى ڤيتنام بقوات دعم جديدة؛ لإظهار تصميم أمريكا على متابعة الحرب حتى نهايتها. ولكن، وفي الوقت ذاته، بدأ البحث عن حلّ سياسي للمشكلة؛ في محاولة لكسب الوقت من جهة ولتجميد الموقف العسكري من جهة ثانية.

وإذا كان (الجنرال جياب) قد دمج في نهجه الثوري الصراع

السياسي بالصراع المسلّح، فكذلك فعلت الإدارة الأمريكية عندما فتحت المجال أمام العمل السياسي؛ مع الاستمرار في مسيرة الصراع المسلّح عبر حوار الإرادات المتصارعة على أرض ڤييتنام.

٩ ـ يوم النصر الحاسم

بدأت المفاوضات التمهيدية في باريس، يوم ١٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٦٨، بين الولايات المتحدة ووفد جبهة التحرير، وخفّت حِدّة العمليات النظامية للثوّار حتى نهاية ١٩٦٨ نتيجة لانسحاب ٧ فرق من قوّات الثوار وڤييتنام الشمالية نحو حدود لاووس وكمبوديا وڤييتنام الشمالية، على حين استمرت عمليات حرب العصابات في المرتفعات الوسطى وباتجاه قاعدة دانانغ وحول سايغون، التي أصبحت شبه محاصرة في نهاية سنة ١٩٦٨. وحاول أبرامز شن حملات مضادة في الربع الأخير من السنة المذكورة أطلق عليها اسم (البرنامج السريع لإحلال السلام في الريف)، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً؛ خاصة بعد أن عادت أربع فرق نظامية من قوّات ڤييتنام الشمالية، ومن قوّات الثوّار، للعمل بفاعلية في نهاية العام، بعد أن تجزّأت إلى وحدات صغيرة قادرة على القيام بمهمات الإزعاج والتفتيت. وتبع ذلك قيام جبهة التحرير بتشكيل (الحكومة الثورية المؤقّتة في جنوب ڤييتنام) يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٩ وذلك بهدف تعزيز السلطة الداخلية للجبهة؛ وللحصول على اعتراف الدول ـ الخارجي ـ بالثورة، مما يدعم من سياسة ڤييتنام ـ الشمالية والجنوبية ـ، لا سيما بعد أن بدأت المفاوضات مع الولايات المتحدة في باريس قد أخذت شكلاً متطاولاً؛

متمهِّلاً؛ في صراع سياسي طويل الأمد.

أعلن الرئيس الأمريكي الجديد - ريتشارد نيكسون -، من جزيرة غوام في المحيط الهادي، السياسة الجديدة للولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا، وهي السياسة المعروفة باسم (مبدأ نيكسون)، والتي تضمنت «قيام الولايات المتحدة بدعم البلدان الآسيوية في جهودها



الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في (دونغ جياو) بتاريخ ٤ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٣.

للمحافظة على النظام والأمن الدوليين، طالما أن هذه البلدان تتحمّل المسؤولية الرئيسة، وعليها أن تتولى بصورة متزايدة مسؤولية وواجب التضحية التي تتطلبها حاجاتها الدفاعية. وحيثما تتطور ثورة فإن الولايات المتحدة ستزود هذه البلدان؛ ولكنها لن تتورّط بقواتها مباشرة. وإذا كانت المسألة مسألة غزو عبر حدود غير محدودة، فإن الولايات المتحدة لن تعتبر نفسها ملزمة بالسياسة العامة القاضية بتجنّب المشاركة القتالية مباشرة».

كان مبدأ نيكسون بمثابة اعتراف بفشل سياسة التدخل العسكري المباشر في ڤييتنام، كما كان يعني اتجاه السياسة الأمريكية اتجاهاً جديداً نحو إلقاء تبعات الحروب المحدودة على عاتق الأقاليم المعرّضة لعدوان خارجي، وهذا مما يتيح للولايات المتحدة التخلّص من مأزقها في ڤييتنام؛ مع استعدادها لدعم ڤييتنام الجنوبية بقدر ما تستطيعه ڤييتنام الجنوبية، وبقدر ما يتوافر لها من القدرة لمجابهة ڤييتنام الشمالية.

وكانت جبهة التحرير الوطني الڤييتنامية قد طرحت على مؤتمر باريس، يوم ٨ أيار ـ مايو ـ، مشروعاً للسلام من عشر نقاط؛ وكان قبول الولايات المتحدة لهذا المشروع يعني الاعتراف بهزيمة سياسية وعسكرية للولايات المتحدة ولنظام ڤييتنام الجنوبية في آن واحد، ولقد تضمن هذا المشروع ما يلي:

١ ـ ينبغي احترام الحقوق القومية الأساسية للشعب الڤييتنامي؛

أي الاستقلال والسيادة والوحدة والسلامة الإقليمية؛ كما اعترفت بها اتفاقات جنيف لعام ١٩٥٤.

٢ ـ ينبغي على حكومة الولايات المتحدة أن تسحب، من ڤييتنام الجنوبية، كل القوّات الأمريكية والتنظيمات العسكرية والأسلحة والأعتدة الحربية التابعة لها، ولغيرها من الدول الأجنبية في المعسكر الأمريكي، وبدون فرض أي شروط على الإطلاق. كما ينبغي عليها تفكيك كل القواعد العسكرية الأمريكية في ڤييتنام الجنوبية، والامتناع عن كل عدوان على سيادة كل من ڤييتنام الجنوبية وجمهورية ڤييتنام الديموقراطية، على أن يتم تنفيذ ما تتضمنه هذه الفقرة خلال ستين يوماً من توقيع هذا الاتفاق.

٣ ـ يتم حل مسألة القوات المسلحة في ڤييتنام الجنوبية بين الفرقاء الڤييتناميين أنفسهم.

٤ ـ يقوم شعب ڤييتنام الجنوبية بحل قضاياه بنفسه وبدون تدخل خارجي، ويقرر بنفسه النظام السياسي لڤييتنام الجنوبية عن طريق انتخابات عامة ديموقراطية حرة. وسيقام مجلس تأسيسي ويتم وضع دستور إقامة حكومة ائتلافية لڤييتنام الجنوبية تعكس الوفاق الوطني والوحدة الشاملة لكافة الشرائح الاجتماعية.

٥ ـ لن يفرض أي فريق من الفريقين نظامه السياسي على شعب ڤييتنام الجنوبية، خلال الفترة الواقعة بين إعادة استقرار السلام وإجراء الانتخابات العامة. وستدخل القوى السياسية الممثّلة للشرائح الاجتماعية وللميول السياسية المختلفة في ڤييتنام الجنوبية،

والتي تقف مع السلام والاستقلال والحياد، بما في ذلك الأشخاص الذين تضطرهم الأسباب السياسية للبقاء في الخارج يناط بها تنفيذ الاتفاق بالنسبة إلى سحب القوات والقواعد الأمريكية وتحقيق الوفاق الوطني والوحدة الاجتماعية وتحقيق الحريات الديموقراطية الشاملة، ومعالجة جراحات الحرب وإعادة بناء الاقتصاد وتنميته؛ وإجراء الانتخابات العامة بهدف الوصول إلى حق الشعب الڤييتنامي في تقرير مصيره.

٦ ـ تتبع ڤييتنام الجنوبية سياسة خارجية قائمة على السلام والحياد، وتقيم علاقات ديبلوماسية واقتصادية وثقافية مع كل البلدان ـ بما في ذلك الولايات المتحدة ـ على أساس مبادىء التعايش السلمي؛ وتقبل المساعدات الاقتصادية والفنية من أي بلد؛ دون أية شروط سياسية مرفقة بها.

٧ ـ يتم تحقيق إعادة توحيد ڤييتنام خطوة إثر خطوة بالوسائل السلمية، ومن خلال المناقشات والاتفاق بين الإقليمين دون أي تدخّل خارجي. وإلى أن تتم إعادة التوحيد يعود كل من الإقليمين إلى إقامة علاقات طبيعية بينهما في كل المجالات. وإن خط العرض ١٧، الذي يمثّل خط الحدود العسكري بينهما، هو خط ذو طبيعة مؤقّتة؛ ولا يشكّل، بأية صورة من الصور، حداً أساسياً وإقليمياً؛ كما نصّت على ذلك اتفاقيات جنيف لسنة ١٩٥٤ بشأن ڤييتنام.

٨ ـ يمتنع كل من الإقليمين عن الدخول في أي حلف عسكري مع بلدان أجنبية، ولا يسمحان بإقامة قواعد عسكرية على أراضيهما؛ ولا

يعترفان بحماية أي بلد أو حلف عسكري، كما نصّت على ذلك اتفاقات جنيف بشأن ڤييتنام سنة ١٩٥٤.

٩ ـ تقوم الأطراف المعنية بالتفاوض من أجل إطلاق سراح أسرى الحرب، وتتحمّل الحكومة الأمريكية المسؤولية عن الخسائر والدمار في الشمال والجنوب.

١٠ ـ يتم الاتفاق بين الأطراف بشأن الإشراف الدولي على سحب القوات والأسلحة التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ولغيرها من البلدان الأجنبية من ڤييتنام الجنوبية.

لقد ردّ الرئيس الأمريكي ـ نيكسون ـ على المشروع الڤييتنامي بمشروع من ثمانية نقاط، يوم ١٤ أيار ـ مايو ـ ١٩٦٩، اقترح فيه انسحاب جميع القوات غير الڤييتنامية الجنوبية من ڤييتنام الجنوبية، بما في ذلك قوات ڤييتنام الشمالية، ومقابل ذلك؛ تنسحب القوات الأمريكية والقوات الحليفة لها بصورة تدريجية؛ وخلال مدة سنة كاملة؛ على أن يتم انسحابها مع انتهاء انسحاب قوات ڤييتنام الشمالية، كما أناط المهام الموكولة إلى الحكومة الائتلافية إلى هيئة دولية.

وتجدر الإشارة إلى أن رئيس حكومة ڤييتنام الجنوبية ـ رئيس الدولة ثيو ـ كان قد قدّم مشروعاً، يوم ٧ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٦٩، تضمن ضرورة توقّف ڤييتنام الشمالية عن محاولاتها لغزو ڤييتنام الجنوبية بالقوة؛ وأن تسحب جميع القوات الشيوعية، بما في ذلك قوات جبهة التحرير، من ڤييتنام الجنوبية.

دارت المفاوضات الطويلة في باريس في موضوعات هذه المشروعات المتباينة؛ واستمرّ القتال في جنوب ڤييتنام الجنوبية؛ كما استمر القصف الجوي لڤييتنام الشمالية بصورة متقطعة؛ وكل طرف يحاول تحقيق مكاسب على جبهة ڤييتنام لدعم مركزة في المفاوضات.

وعملت الولايات المتحدة من جانبها، في الوقت ذاته، على تقليص وجودها العسكري، وسحبت قسماً من قواتها البريّة؛ في إطار سياستها الرامية لإلقاء أعباء الحرب الأساسية على كاهل ڤييتنام الجنوبية (أو ما أُطلِق عليه اسم فتنمة الحرب)، وزادت بالمقابل من ضغط سلاحها الجوي وسلاحها البحري على ڤييتنام بشطريها الشمالي والجنوبي؛ لدعم نظام (ثيو) في جنوب ڤييتنام.

وامتدت أعمال القصف الجوي من ڤييتنام إلى (لاووس) من أجل تدمير قوات (الباثيت لاو)، واجتاحت قوات أمريكية - ڤييتنامية جنوبية إقليم كمبوديا المحايد، وقلبت نظام الأمير (نوردوم سيهانوك)، في آذار - مارس - ١٩٧٠، ثم أخذت في مطاردة الثوّار بعد تنصيب (لون نول) حاكماً على كمبوديا في شباط - فبراير - ١٩٧١، مما خلق ثورة شعبية مضادة استمرّت خمس سنوات إلى أن حققت انتصارها الحاسم في ١٧ نيسان - أبريل - ١٩٧٥.

أحرز جيش ڤييتنام الشمالية تطوراً جديداً في تسلّحه بفضل الدعم السوڤييتي؛ حيث اشتركت في معارك جنوب ڤييتنام، اعتباراً من سنة ١٩٧٢، مئات من الدبابات السوڤييتية من طراز (ت ٥٤) و(ب ت ٧٦) و(ت ١٠) في مجموعات صغيرة تدعم المشاة وتعمل

بتعاون مع المدفعية؛ وتحت حماية وسائط الدفاع الجوي الأرضي.

عمل الأمريكيون، من جانبهم، على تصعيد القصف الجوي في الشمال اعتباراً من ٦ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٧٢، كما عملوا على زرع الألغام في مياه المرافىء والموانىء في ڤييتنام الشمالية، وبصورة خاصة (خليج هاي فونغ)، بهدف إعاقة وصول الإمدادات السوڤييتية والمساعدات إليها. ثم قطعوا مفاوضات (باريس) دون أن يحددوا موعداً لاستئنافها في ٤ أيار ـ مايو ـ ١٩٧٢، وشنّوا غارات كثيفة على (هانوي) وبقية مدن ڤييتنام الشمالية، وذلك بهدف إظهار اتفاقية إنهاء الحرب على أنها جاءت نتيجة لضغط سلاح الجو الأمريكي.

أخيراً؛ وقّعت الولايات المتحدة اتفاقية وقف إطلاق النار مع جبهة التحرير ومع حكومة جمهورية ڤييتنام الديموقراطية، يوم ٢٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٧٣. وجاء في مادّتها الأولى: «إن الولايات المتحدة الأمريكية، وكافة الدول الأخرى، تحترم استقلال وسيادة ووحدة وسلامة أراضي ڤييتنام المتضمنة في اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ بشأن ڤييتنام».

وتضمنت بنود الاتفاقية كافة النقاط العشرة التي قدّمتها جبهة التحرير في مشروعها، (في أيار ـ مايو ـ ١٩٦٩)، باستثناء أن الحكومة الائتلافية استعيض عنها بالمجلس الوطني للمصالحة والوفاق الوطني. وقد رفض (ثيو) الاتفاقية؛ ولكن الولايات المتحدة نفّذتها؛ وانسحبت آخر وحداتها من جنوب ڤييتنام، في ٢٩ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٧٣، بعد أن دعمت جيش (ثيو) بأكبر قدر ممكن من الأسلحة والوسائط القتالية

والطائرات والمساعدات الاقتصادية؛ حتى يستطيع الاستمرار في مواجهة الثوّار الفيتناميين.

وقد بلغ عدد أفراد قوّات (ثيو) خلال العام ١٩٧٣ بما يقارب ٢٣٠ ألف جندي مقاتل، و ٢٣٥ ألف جندي للخدمات الإدارية (الشرطة والأمن)، و ٣٢٥ ألف جندي للدفاع الإقليمي، و٢٠٠ ألف من القوّات الشعبية. وبلغت المساعدات الأمريكية لنظام (ثيو)، في سنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، أكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار. وتضمنت هذه المساعدات خلال الفترة الممتدة من ٢٨ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٧٣ حتى ١٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٧٤ ما يقارب ٦٤٠ طائرة حربية، و ١١٠٠ دبابة (من بينها دبابات م ٦٠ الحديثة)، و ٨٠٠ مدفع (من بينها مدافع م ١٠٧ عيار ١٧٥ مم بعيدة المدى)، و ٢٠٤ قطعات بحرية. كما احتفظت الولايات المتحدة في ڤييتنام بخبراء عسكريين ـ بلغ عددهم ٢٧ ألف خبير ومستشار ـ يعملون كمدنيين ولكنهم يتبعون للسفارة والقنصليات الأمريكية في مختلف المدن، ومهمّتهم تقديم المساعدة لجيش ڤييتنام الجنوبي، وإدارة الأعمال القتالية في القيادة العامة وفي قيادات المناطق.

عمل (ثيو) على عدم الالتزام بتنفيذ أي نص من نصوص اتفاقية باريس، واستبقى أكثر من ٢٠٠ ألف سجين سياسي؛ رغم ما نصّت عليه الاتفاقية من ضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى والمعتقلين السياسيين خلال فترة (٩٠) يوماً من توقيعها. ليس ذلك فحسب، بل إنه اعتقل ٦٠ ألفاً آخرين، وشن حملة إرهاب ضد السكان، في

المناطق المحرّرة، بلغ معدلها الوسطي ٢٠ ألف عملية في الشهر خلال العام ١٩٧٤. واتخذت هذه العمليات، في الأشهر الأخيرة من السنة ذاتها، طابع الهجمات الواسعة تحت شعار (إقامة المناطق البيضاء). وتم تدمير ١٧٢٨ قرية خلال هذه العمليات؛ وحشد من سكانها مليوناً و ٦٥٠ ألفاً من المواطنين في ٢١٠ معسكرات من معسكرات التجميع.

وجّهت الحكومة الثورية المؤقتة إنذاراً نهائياً، في يوم ٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٧٤، جاء فيه: «على الحكومة الأمريكية أن توقف بصورة نهائية وكاملة اشتراكها وتدخّلها العسكري في الشؤون الداخلية لڤييتنام الجنوبية؛ وأن تسحب فوراً من ڤييتنام الجنوبية كل أفرادها العسكريين العاملين في ثياب مدنية. وينبغي إسقاط ـ فان ثيو ـ وأمثاله الذين يشكِّلون العقبة الرئيسة أمام تسويات المشكلات السياسية لڤييتنام الجنوبية، وأن تشكّل حكومة تؤيِّد السلام والوفاق».

رفض (ثيو) الإنذار؛ وردّ عليه بقوله: «ليست هناك إلّا حكومة واحدة؛ وليس هناك إلّا جيش واحد في ڤييتنام الجنوبية؛ أما ما يسمى بالحكومة الثورية المؤقتة؛ فلن يكون باستطاعتها أن تعيش. إن من يجد في نفسه الشجاعة على أن يجهر بتأييده للحياد الشيوعي، لن يعيش لأكثر من خمس دقائق».

بدأت قوات الثوار هجماتها الأساسية، في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٧٤، حول (دانانغ)، وفي المقاطعات الشمالية الخمس بصورة

عامة، ثم انتقلت الهجمات إلى منطقة الهضاب الوسطى المجاورة لأراضي لاووس وكمبوديا. وتعرّضت قوّات ڤييتنام الجنوبية في الشمال للتجزئة والعزل، مما حمل (ثيو) على إصدار الأمر إليها بالانسحاب الشامل من المقاطعات الشمالية، وتركيزها حول العاصمة (سايغون). ولكن هذا الانسحاب الاستراتيجي تحوّل؛ تحت ثقل الهجمات المستمرة للثوّار؛ إلى كارثة وإلى هزيمة كشفت مدى الانهيار المعنوي في هذا الجيش؛ الذي مزّق تنظيمه؛ وتحوّل إلى مجموعات من الجنود الفارّين وسط جموع اللاجئين المدنيين الذين ازدحمت بهم الطرق المؤدِّية إلى مرافىء الشاطىء الشرقي؛ وخاصة في (دانانغ)، التي تدفق إليها نحو من نصف مليون لاجىء ومائة ألف جندي من القوات الجنوبية الهاربة.

تقدّم رتل مدرع من قوات ڤييتنام الشمالية في مقاطعة (كوانغ تري) الشمالية نحو مدينة (تام كي)، في يوم ٢٣ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٥، واستولى عليها دون مقاومة تقريباً، فعزل بذلك (دانانغ) عزلاً تاماً من جهة البر، الأمر الذي ترتب عليه سقوطها يوم ٢٨/٣/١٩٧٥، واستسلم مائة ألف من جنود جيش الجنوب إلى ٣٥ ألفاً من جنود الشمال. وكان من بين الأسرى جنود الفرقة الڤييتنامية الأولى المحمولة جواً؛ والتي اعتبرت من أفضل قوات (ثيو). وقد ترك جنود هذه الفرقة، أثناء فرارهم نحو (دانانغ)، حوالي ٩٠ دبابة، و ٢٥٠ مدفعاً، بحالة سليمة على الطرق المؤدِّية إلى المدينة. كما استولت قوات الثوار، في المدينة والقاعدة الجوية الضخمة القريبة منها، على كميات كبيرة من الأسلحة والأعتدة والطائرات المقاتلة والطائرات

العمودية ـ الهيليكوبتر ـ. وكانت فرقة المشاة الثانية وفرقة المشاة الثالثة أيضاً من ضمن الفرق التي استسلمت في المدينة؛ وكان قد تمّ ـ قبل ذلك ـ القضاء على فرقة المشاة ٢٢ قضاء تاماً حول مدينة (كوي نهون)، بالإضافة إلى تدمير الفرقة ٢٣ في مدينة (يان مي توت).

وهكذا؛ تمّ القضاء على تشكيلات مقاتلة من جيش (ثيو) بلغ عدد أفرادها ٢٧٠ ألف جندي، في الفترة من ١٩٧٥/٣/١ حتى ١٩٧٥/٤/٧، فضلاً عن تحرير ١٦ مقاطعة كان يقطنها أكثر من تسع ملايين من سكان جنوب ڤيتنام الذين كان عددهم ١٩ مليون مواطن. وقدّرت قوّات الثوار يومئذ بنحو من ٣٢٥ ألف جندي ضمّتهم ١٦ فرقة ومعهم ٦٠٠ دبابة و ٤٠٠ مدفع ميدان وحوالي ١٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات، ولكن لم يكن معها طيران.

تدفقت قوات الثوار، بعد ذلك، نحو منطقة (سايغون)، ودخلت في معركة عنيفة مع قوات (ثيو) التي ضمت أساساً فرقة المشاة ١٨ في مدينة (كسوان ـ لوك)، الواقعة على بُعد ٦٠ كيلومتراً تقريباً إلى الشمال الشرقي من (سايغون) على الطريق رقم ١، حيث حاول (ثيو) أن يؤدِّي صمود قوّاته هناك إلى دفع الولايات المتحدة لتقديم المزيد من الدعم العسكري والاقتصادي لنظامه. واستمرت المعركة أسبوعاً تقريباً تم خلاله زجّ معظم القوات الاحتياطية في الجنوب (مدرعات ومظليين ومغاوير)، ثم أطبقت قوات الثوار عليه حلقة الحصار من الشمال؛ ومن الجنوب؛ وبذلك تم عزل ثلث باقي قوات ڤيتنام الجنوبية. وأخذت مدفعية الثوار بعيدة المدى؛ من عيار ١٣٠ مم في

قصف المدينة بشدة؛ ومضت القوات الرئيسة للثوار في زحفها غرباً نحو مدينة (بيان هوا) الواقعة على بُعد ثلاثين كيلومتراً فقط إلى الشمال الشرقي من (سايغون)، **مما اضطر (ثيو) لتقديم استقالته من منصبه، يوم ٢١ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٧٥، وغادر البلاد إلى سايغون.** وسقطت (كسوان لوك)، يوم ٢١ نيسان ـ أبريل ـ، أيضاً بعد قتال عنيف استمر اثني عشر يوماً، وكانت هذه أكبر معركة خلال المرحلة الأخيرة من الحرب الڤيتنامية.

حاول نائب ثيو (فان هيونغ) تشكيل حكومة جديدة للتفاوض مع الثوار، ولكنه فشل في محاولته نظراً لعدم استحواذه على ثقة الثوّار؛ مما اضطرّه لتقديم استقالته يوم ١٩٧٥/٤/٢٨، وعهدت الجمعية الوطنية بالرئاسة (للجنرال مينه الكبير). وفي هذا اليوم سقطت (بيان هوا) في قبضة الثوار. وهاجم الثوار في اليوم التالي، بنيران المدفعية، مطار العاصمة سايغون (وهو المطار المعروف باسم مطار تان سون هوث). وانسحب جميع الأمريكيين العاملين في العاصمة، بواسطة ستين طائرة عمودية ـ هيليكوبتر ـ بحماية مشاة البحرية والطائرات المقاتلة الأمريكية العاملة من حاملات طائرات الأسطول السابع، والتي كانت تقف بجوار سواحل ڤيتنام الجنوبية لتأمين إجلاء بقايا الأمريكيين ورجال السفارة الأمريكية. وقد تعالت أصوات الاستغاثة مطالبة الولايات المتحدة بالإنقاذ، ولكن الكونغرس الأمريكي اكتفى بتخصيص ٢٥٠ مليون دولار (للمساعدات الإنسانية).

وجّه الرئيس الجديد (مينه الكبير) نداء لوقف إطلاق النار، لكن الثوار رفضوا هذا النداء؛ وأصرُّوا على الاستسلام بدون قيد ولا شرط

لقوات ڤييتنام الجنوبية، الأمر الذي حمل رئيس هيئة أركان جيش ڤييتنام الجنوبية (الجنرال فينه لوك) ومساعده (الجنرال نغويه كانغ) للهرب من سايغون التي باتت مطوقة بقوة (١٨) فرقة للثوّار؛ مقابل خمس فرق بقيت من فرق ڤييتنام الجنوبية. ولذلك فضل (الجنرال مينه الكبير) إيقاف هدر الدماء بعد أن تبيّن عقم المقاومة وعدم جدواها، فوجّه كلمة عبر الإذاعة، يوم ١٩٧٥/٤/٣٠، طلب فيها إيقاف إطلاق النار؛ وأعلن قبوله لشروط الثوّار.

ودخلت دبابات الثوار العاصمة (سايغون) بعد مضي ساعتين ونصف الساعة فقط من جلاء آخر الأمريكيين عن سايغون. وانتشرت الدبابات في جميع أنحاء المدينة وضواحيها؛ وحدثت بعض الاشتباكات الثانوية خلال القضاء على بقية جيوب لمقاومة التي لم تستجب لنداء وقف إطلاق النار. ورُفِع علم جبهة التحرير فوق مبنى وزارة الدفاع مُعلناً بذلك نهاية الحرب التي استمرت ثلاثين عاماً. واستأنف مذياع (سايغون) البثّ بعد ساعات قليلة من التوقف، ليتحدث باسم (جبهة التحرير الوطني الڤييتنامي) وليعلن استبدال اسم (سايغون) باسم (هوتشي مينه).

خسرت الولايات المتحدة في الحرب الڤييتنامية (٥٦٥٥٠) قتيلاً، و(٣٠٣٦٢٢) جريحاً، و(٢٩٤٩) أسيراً أو مفقوداً، كما فقدت ٣٧٠٠ طائرة مقاتلة - نفّاثة - وحوالي خمسة آلاف طائرة عمودية. وبلغت جملة المبالغ التي أنفقتها على الحرب نحو ١٥٠ مليار دولار. وفقدت ڤييتنام الشمالية مليون قتيل؛ كما فقدت ڤييتنام الجنوبية ٦٥١

ألف قتيل، حتى ١٩٧٣، ثم قتل ١٢٠ ألفاً منهم حتى نهاية الحرب. وبلغ عدد الجرحى في ڤييتنام الشمالية والجنوبية نحواً من سبعة ملايين ونصف المليون جريح.

ووصلت الحرب الڤييتنامية - الأمريكية إلى نهايتها الظافرة يوم ١٩٧٥/٤/٣٠، وكان ذلك يوماً خالداً في حياة الشعب الڤييتنامي وفي حياة قادته. دهر طويل مضى ما بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٧٥؛ قضاها المقاتلون في خنادقهم وملاجئهم؛ في تحصيناتهم وسهوبهم؛ اتصل ليلهم بنهارهم، واتصلت أيّامهم بشهورهم، ضاع الزمن، وضاع المكان؛ قرى تزول بكاملها لتحلّ محلها قرى أخرى، وتتعرض مدن للدمار لتنشأ على أنقاضها مدن أخرى.

ومن بعيد؛ وقف الجنرال جياب يرقب المستقبل، ويستعرض أحداث الماضي؛ لطالما وقف في أصعب المواقف وفي أخطر المآزق؛ مبشِّراً بيوم النصر؛ واعداً باقتراب تباشير اليوم الجديد: يوم الحرية والكرامة والاستقلال والسيادة.

وها هو اليوم الموعود؛ وقد أقبل بعد طول عناء ومعاناة، وبعد طول ترقّب وانتظار. كيف حدث ذلك؟ ڤييتنام ذات العشرين مليوناً تقريباً تنزل الهزيمة بأكبر دولتين استعماريتين: فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ومعهما معظم الدول الاستعمارية؟ إنه يوم خالد في حياة الشعب الڤييتنامي وفي حياة قادته، ولكنه يوم أحاطت به هالة سوداء قاتمة حداداً على ملايين الضحايا الذين سقطوا لتعيش أمّتهم؛ وكان لا بد من مضي وقت طويل قبل أن تتمكّن ڤييتنام من تضميد جراح ثلاثين سنة من الحرب الضارية.

«الثورة هي الهجوم. وفن الحرب لدينا هو قهر العدد الكبير بالعدد الصغير؛ هو القتال بنشاط ومبادأة وتصميم ومرونة وفطنة وإبداع، مع الإفادة إلى أقصى حد ممكن من الكتمان والمباغتة».

جياب

الفصل الثاني

١٠ ـ الثورة والدعم الخارجي.

١١ ـ مختبر الأسلحة في الحرب الڤييتنامية.

١٢ ـ نقاط الضعف والقوة.

١٣ ـ التجربة الڤييتنامية وفن الحرب.

١٤ ـ الجنرال جياب ـ قائد وثورة.

١٠ ـ الثورة والدعم الخارجي

١٠ ـ الثورة والدعم الخارجي

برهنت التجربة التاريخية الطويلة؛ وتجربة الصراع المسلح ضد القوى الاستعمارية خاصة، أن قضية الدعم الخارجي للثورة هي قضية أساسية وحاسمة حتى تستطيع قوى الثورة الاستمرار في صراعها ضد قوى القهر الاستعماري.

ولقد خاض العالم العربي حروباً ثورية كثيرة ضد قوى الاستعمار؛ وتوافرت له خبرات جيدة في هذا المضمار؛ فقد استطاعت القوى الاستعمارية باستمرار تطويق قوى الثورة؛ وعزلها عن كل دعم خارجي؛ تمهيداً لإجهاض الثورة والقضاء عليها. ولم تكن الغرامات التي تفرضها القوى الاستعمارية على المدن والقرى الثائرة، بتحديد عدد من الأسلحة لتسليمها للقوى الاستعمارية مع فرض غرامات اقتصادية ـ مالية ـ باهظة، إلاّ الوسيلة لإضعاف القدر القتالية للثورة.

ولقد جابهت قوى الثورة الڤييتنامية أوضاعاً مشابهة، سواء أثناء الحرب ضد فرنسا؛ أو أثناء الحرب ضد القوات الأمريكية؛ حيث حاولت قوى العدوان الاستعماري عزل ڤييتنام عن قواعد إمدادها وتموينها؛ وركزت كل جهودها لإيقاف الإمدادات؛ وكان فشلها في ذلك هو المؤشّر على توافر القدرة للثورة الڤييتنامية من أجل الاستمرار والتطور.

وعلى سبيل المثال؛ فقد تلقّت جمهورية ڤييتنام الديموقراطية - الشمالية - دعماً عسكرياً في سنة ١٩٦٤ بلغت قيمته ٤٠ مليون دولار، ثم ارتفعت قيمة هذه المساعدة سنة ١٩٦٥ إلى ٥٥٠ مليون دولار، وبلغت في سنة ١٩٦٦ ما قيمته ٧٠٠ مليون دولار؛ ثم وصلت في سنة ١٩٦٧ إلى ٨٥٠ مليون دولار؛ وزادت سنة ١٩٦٨ حتى ١١٥٠ مليون دولار.

وكذلك زادت المساعدات الاقتصادية السوڤييتية المرسلة إلى ڤييتنام من ٣٦٤ مليون دولار سنة ١٩٦٥ إلى حوالي ألف مليون دولار سنة ١٩٦٨. وهذه المساعدات المجّانية في معظمها قد أستخدمت لإقامة مصانع أسلحة وذخائر وصناعات كيميائية وغذائية وكهربائية وميكانيكية ومصانع الحديد والصلب ومصانع لانتاج الإسمنت الخ... وكانت معظم المساعدات العسكرية والاقتصادية السوڤييتية تصل إلى ڤييتنام عن طريق البحر؛ فيما كان يصل البعض الآخر عن طريق البرّ عبر الأراضي الصينية، وذلك بموجب اتفاق تم توقيعه بين الاتحاد السوڤييتي والصين سنة ١٩٦٧، (في أبريل - نيسان -)، من أجل استخدام الأراضي الصينية لإرسال المساعدات إلى ڤييتنام الشمالية.

كما قدمت الصين بدورها دعماً عسكرياً واقتصادياً لڤييتنام الديموقراطية، تضمن إرسال أسلحة صغيرة ومدافع مختلفة الأنواع وذخائر، وتدريب نحواً من (٥٠) ألف ضابط ڤييتنامي من الشمال والجنوب؛ وإنشاء المطارات؛ وصيانة الطرق المؤدِّية إلى المنطقة

المجرّدة من السلاح عند خط العرض ١٧ وطريق (هوتشي مينه)، وتأمين صيانة وإصلاح الطائرات (ميغ ١٧ وميغ ٢١ الڤييتنامية - والسوڤييتية الصنع في معظمها؛ في القواعد الجوية الصينية). كما أرسلت الصين عدداً من خبرائها للعمل في أجهزة الرادار الڤييتنامية، بالإضافة إلى إرسال ٢٠٠ ألف عام و ٤٠ ألف فني لإصلاح وصيانة الخطين الحديديين الكبيرين اللذين يربطان ڤييتنام بالصين (خط هانوي - لانغتون) و (هانوي - لاوكاي)، حتى يتمكّنا من العمل ليلاً ونهاراً نظراً لتعرّضهما المستمر للغارات الجوية الأمريكية. وكذلك قدّمت الصين لڤييتنام كثيراً من الآلات وخاصة المصفحات والأسمدة والمواد الكيميائية اللازمة لمكافحة الآفات الزراعية؛ الخ . . .

لقد عرف القائد الثوري (الجنرال جياب) دور المساعدات الخارجية في إمداد لهيب الثورة بالوقود الذي تحتاجه فكتب ما يلي: «إننا نستند إلى الدعم والعون البالغين الأهمية من جانب قوى الثورة العالمية؛ ومركزها المعسكر الاشتراكي». ولكن هذا العون وتلك المساعدة ليسا بديلاً عن القدرة الذاتية للثورة و إنما رفداً لها، وهو ما قرره جياب بقوله: «يستند شعبنا في الحرب؛ في عصرنا؛ على قواه هو من حيث الأساس؛ وله قوة الأمة التي هبّت بأسرها إلى القتال. إننا نقاتل على أرضنا بقوة الإنسان الڤييتنامي».

وأوضح (جياب) بإسهاب أكثر هذه القضية بقوله: «يشكّل التسلّح والتجهيز القاعدة المادية والتقنية؛ وأحد العوامل الأساسية بصدد الطاقة القتالية للقوّات المسلّحة، وينبغي تحسين التجهيز على الدوام لزيادة هذه الطاقة القتالية . . . فأين يقع مصدر تجهيزنا؟ ينبغي

لنـا الاستناد إلى جمـاهير الشعب؛ وتجهيـز أنفسنا بكـل ما أُوتينـا؛ والاجتهاد لصنع السلاح بأنفسنا؛ وغنمه من العدو في سبيل إبادته. وعندما تسمح الظروف؛ فالاستعانة بالبلدان الشقيقة قدر المستطاع؛ بغية تحسين تجهيزنا باستمرار. لقد اصطدمنا في البداية بصعوبات لا تعـدّ ولا تحصى. كان بلدنـا متخلِّفاً في اقتصـاده؛ مفتقراً للقـواعد الصناعية من أجل صنع السلاح، وفوق هذا كلّه؛ كان المستجبرون الاستعماريون يحاصرونه من كل صوب. ولقد ناشد الحزب جمـاهير الشعب لتزويد القوات المسلحة بـالتجهيز الـلازم، وأن يذلِّـل كل الصعاب في سبيل تنظيم انتاج السلاح والذخيرة؛ تحت شعار (القتال بما أُوتينا من القوة). وكان على القوات المسلحة أن تتجهّز من الجبهة بالذات، وأن تغنم من العدو سلاحه لتقتله به. كانت قوّاتنا المسلّحة إبان المقاومة الأولى مجهّزة من حيث الجوهر بالسلاح الحديث الذي غنمناه من العدو، ولم نتلقَ أي عون من البلدان الاشتراكية الشقيقة إلّا اعتباراً من سنة ١٩٥٠. ثم استند اقتصادنا، منذ سنة ١٩٥٤، إلى العون الضخم من البلدان الشقيقة في المعسكـر الاشتراكي من أجل الحصول على التطور السريع؛ ولتحسين تجهيز قوّاتنا المسلّحة على نطاق واسع؛ و إمدادها بالوسائط القتالية الحديثة. وقد أمكن لنا أن نحقق بسرعة؛ إبان الصراع مع القوات الأمريكية؛ قفزات نوعية - كيفية - في مضمار تحسين التجهيزات في القـوات المسلّحة وتـطوير تقنيتها، كما استطعنا تطوير السلاح الحديث، ولا سيما الدفاع المضاد للطائرات؛ بغية ضمان الظروف المناسبة لتحقيق النصر على المعتدين.

لقد كانت المساعدات الخارجية أمراً لا بدّ من تأمينه لصمود الثورة

وتطويرها، وهو ما عاد وزير الدفاع الڤييتنامي (فان تيان دونغ) فأكّده بقوله: «لقد بنينا قوّات مسلحة شعبية قوية في إقليمي ڤييتنام؛ تضم جيشاً نظامياً حديثاً وتشكيلات مسلّحة جماهيرية قوية ومنتشرة في كل مكان، وزوّدنا جيشنا بالمعدات الحديثة بواسطة المساعدة الأخوية التي قدّمتها لنا البلدان الاشتراكية».

ولقد برز من خلال هذه الأقوال؛ ومن خلال استعراض الثورة الڤييتنامية وتطوّرها، أن هذا الدعم قد مرّ بمراحل مختلفة. فقد انطلقت الثورة الڤييتنامية في البداية اعتماداً على ما هو مخزون من الأسلحة من مخلّفات الحرب العالمية الثانية (من اليابانيين خاصة)، ولم يكن الاتحاد السوڤييتي يومها على استعداد للتورّط في دعم ڤييتنام، كما لم تكن الصين الشعبية قد ظهرت للوجود بعد؛ واعتمد الڤييتناميون بادىء ذي بدء على انتزاع السلاح من قبضة الفرنسيين؛ وهو أسلوب مناسب؛ غير أنه من المحال الاعتماد على هذا المورد الضئيل؛ ولقد استمّر الصراع أربع سنوات بهذه الأسلحة البدائية؛ الفردية. وبالرغم من ذلك أمكن توسيع قاعدة الثورة، وتجنيد المزيد من القوى، وظهر الإبداع، سواء على مستوى القيادة أو على مستوى المقاتلين، في اختيار الطرائق التكتيكية المناسبة. وساعدت الطبيعة الجغرافية مساعدة كبيرة في دعم تكتيك الثوار، فالغابات الكثيفة والمستنقعات الصعبة؛ والمرتفعات الشديدة الوعورة؛ قد ساعدت على تطوير حرب الأنفاق وحرب الخنادق، وأمكن استنزاف القوة الفرنسية والوصول معها إلى مرحلة التوازن الاستراتيجي.

ثم بدأ التحوّل مع سنة ١٩٥٠، فقد انتصرت ثورة الصين؛ وفرغ الاتحاد السوفييتي من معالجة مشكلات أوروبا الشرقية؛ وبات باستطاعته إلقاء بعض ثقله لتطوير الصراع في القارة الآسيوية. وفي الوقت ذاته؛ بدأ الدعم الأمريكي في التدفق على فرنسا، وظهر واضحاً أنه من المحال على ڤييتنام الصمود وحدها ما لم يتوافر لها دعم كافٍ. ولم يكن من مصلحة الصين؛ ولا من مصلحة الاتحاد السوڤييتي، أن يتعرض نظام (هوتشيه مينه) للهزيمة أو الانهيار، وبدأ الدعم في صعود مستمرّ لتحقيق نوع من التوازن على مسرح العمليات الڤييتنامي. وكان أمراً مثيراً حقاً هو عدم تخلّي قوات ڤييتنام الشمالية والثوار عن نهجهم الأساسي فيما يتعلّق بالتسلّح؛ إذ بقي الجهد مستمراً لانتزاع السلاح من قبضة الفرنسيين ثم الأمريكيين؛ وقد يكون ذلك بهدف المحافظة على التوازن في موازين التسلّح - نسبياً - بالإضافة إلى العامل المعنوي الناجم عن انتزاع أسلحة الخصم واستخدامها للقضاء عليه؛ وهذا يعزّز بدوره الثقة بالقدرة الذاتية على متابعة الصراع المسلّح في كافة الظروف.

ولم تكن رغبة الڤييتناميين لإقامة مصانع الأسلحة والذخائر على أرض ڤييتنام إلّا تعزيزاً لهذا الاتجاه الفكري ذاته؛ والذي يطمح إلى امتلاك حرية العمل، والاستقلالية في اتخاذ القرارات وتنفيذها قدر المستطاع. وقد انعكس هذا الاتجاه الفكري بداهة على العمل السياسي؛ إذ أمكن للقيادة الڤييتنامية فرض وجودها في مراحل الصراع السياسي؛ ولم تترك قضيتها مثلاً للصين أو الاتحاد السوڤييتي لحل مشكلاتها بالنيابة عنها. ولكن؛ ومع الدعم بالتسلّح؛ وبالرغم

من بذلك كل الجهود لـزيادة الاعتـماد على القـدرة الذاتيـة ، فـإن الدعم بالتسلّح قد ارتبط بدعم سياسي ودعم معنوي لم يكن أقـل أهميـة من الدعم المـادي. ·فالثـورة الڤييتناميـة أصبحت تعتمـد في مؤخّراتها على قواعد ثابتة ومضمونة؛ سواء على الحدود المجاورة مع الصين؛ أو مع الاتحاد السوڤييتي. وأصبحت الثورة الڤييتنامية جزءاً مكمِّلاً للثورة العالمية، وكان ذلك تعبيراً عن التحوّلات العالمية، فقد أصبحت أي ثورة، في أي قارة من القارات، هي جزء من (الحروب المحدودة) أو (الحروب بالوكالة) في إطار المنافسة ـ أو المبارزة ـ بين المعسكرين العالميين المتصارعين لإقامة أمبراطورية عالمية.

وهكـذا؛ وبالـرغم من أهمية الانتصـار الڤييتنـامي؛ فـإن هـذا الانتصـار هو جـزء من انتصار المعسكـر الاشتراكي عـلى المستـوى العالمي؛ وهو ما أكّده الجنرال جياب والقادة الڤييتناميون. فلا غرابة إن بذلت الصين المجاورة لڤييتنام؛ والاتحـاد السوڤييتي؛ كـل جهد مستطاع لضمان الظروف المناسبة لانتصار الثورة الڤييتناميـة. ولكن هل كان باستطاعة هذا الجهد أن يبلغ غايته لو لم يقف معظم الشعب الڤييتنامي إلى جانب الثورة، ولو لم يعمل معها حتى النصر؟ لقد كان أمراً مؤكِّداً بألّا يتورط الاتحاد السوڤييتي في مآزق الحرب الڤييتنامية لو لم يعرف يقيناً أن القوة الڤييتنامية الثورية قادرة على احتمال ثقل آلة الحرب المعادية، وكذلك الأمر بالنسبة للصين، وإن الزيادة المستمرة في الدعم ما هي إلّا البرهان على تزايد الثقة بقدرة الثورة على تحقيق النصر.

وهكذا،وبقدر مـا تستفيد معسكـرات الثورة العـالمية من الثـورة

الإقليمية، فإن هذه الثورة الإقليمية تحقّق فائدة كبيرة من دعم قوى الثورة العالمية. وتبقى (**القوة**) هي الرابطة الثابتة بين الثورة العالمية ـ الاشتراكية ـ والثورة الإقليمية. فلا الثورة العالمية قادرة على تفجير ثورة إقليمية؛ أو راغبة في التورّط فيها؛ إن لم تكن هذه الثورة قادرة على إثبات وجودها؛ وبالمقابل؛ وكما أظهرت التجربة الڤييتنامية؛ فإن الثورة الإقليمية لا بدّ لها من الاعتماد على قدراتها الذاتية مع الاعتماد على دعم قوي وثابت من جانب (معسكرات الثورة العالمية). ولو كان دعم هذه المعسكرات ضعيفاً أو خائراً لما استطاعت الثورات الإقليمية الاستناد إليها. ومن أجل ذلك؛ يعمل كل طرف من طرفي الثورة العالمية ـ الإقليمية على بذل كل جهد مستطاع؛ وأكثر مما هو مستطاع؛ للبرهان على امتلاكه لهذه (**القوة**) التي هي الضمان الثابت لتحقيق النصر.

وقضية (القوة) هي قوة التنظيم قبل كل شيء، تنظيم القوى وحشدها وتوجيهها نحو هدف الثورة بتصميم ثابت، وعمل دؤوب؛ لا يعرف الكلل ولا الملل؛ ولا يعرف التعب ولا النصب. وهذه القوة المحرّضة ليست قوة مادية بقدر ما هي قوة معنوية كامنة، تعتمد على القناعة بعدالة الثورة وبقضية الثورة وبمستقبل الثورة؛ ولقد اكتسبت عدالة الثورة قيمتها من خلال القهر الاستعماري، وحصلت قضية الثورة على قيمتها من خلال الواقع العملي الذي عاشته ڤييتنام طوال عهود الاستعمار. وبقيت قضية بناء المستقبل مرتبطة بقدرة الثورة على تحقيق النصر وعلى تحقيق طموحات الشعب الڤييتنامي، ولهذا فقد بقيت هناك مراكز قوية وثابتة حتى المرحلة الأخيرة من الحرب؛ وهي

تقاوم الانجراف في تيار الثورة ، ولكن عندما ظهرت حتمية انتصار هذه الثورة؛ انهار البناء الضخم الذي قاوم الثورة طويلاً ، وذاب كما يذوب جلمود ثلجي في مياه المحيط عندما يصادف تياراً ساخناً .

لقد حصلت ڤييتنام الجنوبية على دعم ربما زاد في حجمه ؛ وربما زاد في نوعه؛ على كل ما توافر لڤييتنام الشمالية من الدعم. ولكن نظام الجنوب بقي معزولاً عن القاعدة الجماهيرية ـ قاعدة الثورة المادية والمعنوية ـ. ولقد أظهرت قوّات ڤييتنام الجنوبية ـ أو قياداتها على الأقل ـ إخلاصاً للاستعمار الإفرنسي بحكم الروابط الدينية ـ الكاثوليكية ـ، أو حتى بحكم المصلحة. كما برهن القادة الذين اعتمدتهم الولايات المتحدة على إخلاص لقضية الارتباط مع الولايات المتحدة ومع مصالحها ، ولكن هؤلاء جميعاً لم يتمكّنوا من إيجاد اللغة الصحيحة للتحدثّ مع جماهير الشعب الڤييتنامي ، وحاولوا فرض أو تغيير الواقع بالاعتماد على القوة أي ـ الفرض من أعلى ـ فبقيت الثقة مفقودة بين القيادة وبين الجماهير التي كانت بالمقابل عرضة للتحريض الخارجي في إطارفكري منظّم وواضح .وكان لا بدّ في النهاية من أن ينتصر التنظيم على ردود الفعل غير المنظّمة ؛ سواء على المستوى السياسي ـ الاجتماعي أو على المستوى العسكري .

لقد استطاعت قيادة ڤييتنام الشمالية أن تحرك القدرة الكامنة في الشعب الڤييتنامي ؛ من خلال ربط الثورة بماضي الشعب الڤييتنامي وبأصالته الثورية ، وبنزوعه إلى الاستقلال والحرية. فكان التاريخ هو العامل المحرّض الأساسي لبناء المستقبل. وكانت الثورة هي أداة

الوصل بين أمجاد الماضي وبين عملية بناء المستقبل؛ فلا غرابة إن اندفعت كتل الجماهير الواسعة لتقديم شتى أنواع التضحيات؛ واحتمال أقسى أنواع الظروف، لبلوغ هدف الثورة.

لقد وصفت (أيديولوجية الثوار)، من جانب الاستعماريين والامبرياليين، (**بالديماغوجية**) و (**التضليل**). ولكن الجماهير أقبلت طوعاً على تبنّي هذه (**الديماغوجية**) وارتضت ذلك (**التضليل**) وسارت بحماسة نحو هدفها. وهذا يعني بداهة أن الواقع الذي فرضه الاستعماريون والأمبرياليون كان أقسى من أن يحتمل مما ساعد (الديماغوجية) على النجاح؛ وعلى فتح نافذة الأمل في واقع بات فيه الأمل ضحية من ضحايا القهر الاستعماري. وإما أن الشعب كان من السذاجة ومن البساطة بحيث أنه قبل السير وراء هذه (**الديماغوجية**) حتى النهاية؛ مع تقديم كل ما تتطلبه من تضحيات، وهذا يعني أيضاً قدرة الثورة على معرفة الجماهير بقدر أكبر مما عرفته قيادة الجنوب، وهي بذلك تكون أكثر كفاءة وأكثر جدارة بقيادة الجماهير والسير بها نحو هدف آمنت به الجماهير؛ وارتضته؛ وليس من المهمّ أن يكون هذا الهدف صالحاً أو غير صالح من وجهة نظر جهاز الحكم في ڤييتنام الجنوبية.

١١ ـ مختبر الأسلحة في الحرب الڤييتنامية

لقد كانت (الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية) هي أعنف وأطول حرب خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية في عالم ما وراء البحار. ولقد اضطرت الولايات المتحدة بتأثير حرصها على حياة جنودها

وبدافع إحراز النصر؛ حتى لا تتعرّض (الهيبة الأمريكية للانهيار)، إلى استخدام أحدث التقنيات المتوافرة لديها. فتم اللجوء، بالدرجة الأولى، إلى منظومات الأسلحة ذات التقنية العالية؛ بالإضافة إلى استخدام وسائط الحرب الألكترونية (أجهزة الكشف؛ أجهزة الإنذار المبكر؛ أجهزة القيادة والسيطرة؛ أجهزة التوجيه والاتصالات الخ..). ونظراً لاتساع مسرح العمليات؛ واضطرار القيادة الأمريكية لزجّ قوّاتها في كل زمان وفي كل مكان فقد اضطرت إلى زيادة القدرة الحركية للقوات، فتم اللجوء إلى المولود الحديث (الطائرة العمودية ـ الهيليكوبتر ـ) لا من أجل إخلاء الجرحى فقط؛ ولا من أجل تأمين الدعم السريع بنقل القوات أيضاً؛ وإنما أيضاً من أجل تأمين الدعم الناري. وهكذا تطوّر بسرعة نوعان من أنواع هذه الطائرات ـ طائرات النقل وطائرات الدعم الناري ـ. وأمكن زيادة سرعة هذه الطائرات والقضاء على أكبر عيوبها ـ الضجيج والاهتزاز ـ إلى حدّ مقبول، مع ضمان حد من الوقاية بتصفيح هذه الطائرات مع تجهيزها بالوسائط الألكترونية. ولقد تم إدخال هذه التقنيات وتطويرها على مراحل متتالية؛ بحسب تطور الأعمال القتالية.

ولقد استطاع الڤييتناميون مجابهة هذه التطورات بوسائط بدائية، أفادوا فيها من الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات، ومن الخصائص التقنية لهذه الوسائط ذاتها. إذ أن وسائط الحرب الألكترونية تعمل بالإستناد إلى معطيات يتم تلقينها بها أو تجهيزها على أساسها، ولهذا فهي تفتقر إلى المبادأة، بينما يبقى العقل البشري هو أساس الإبداع والمبادأة. وعلى سبيل المثال: فقد أمكن تضليل أجهزة الكشف

الحرارية بالتوسع الكبير بإشعال النيران على الاتجاهات التي يُراد تضليلها وخداعها وليست هي الاتجاهات التي يُراد مهاجمتها أو التعرّض لها في كل الحالات؛ كما تم تضليل أجهزة الكشف الحرارية هذه باستخدام وسائط حركية لا تستخدم المحركات الانفجارية، مثل الدرّاجات العادية والعربات التي تجرّها الخيول أو يجرّها المقاتلون بأنفسهم، وجرى إبداع أسلوب سبق ذِكره وهو تجزئة الأعتدة الثقيلة - كالمدفعية - ونقلها مئات الكيلومترات عبر أشدّ المناطق وعورة وصعوبة بواسطة رتل متّصل من الرجال والنساء. وبهذه الطريقة ذاتها أمكن نقل أطنان الذخائر والإمدادات. وكذلك أمكن تضليل الأجهزة الألكترونية التي تكشف وجود الإنسان بواسطة استشعار الشم، وذلك باستخدام فضلات الإنسان (قرب البول) وتعليقها على الأشجار؛ مما أدّى إلى اضطراب عمل هذه الأجهزة، وبالتالي فقد الثقة بقدرتها. وكذلك جرى تضليل الأجهزة الألكترونية العاملة على الكشف من خلال الاهتزازات؛ فكان المقاتلون يعملون على دحرجة الصخور من المرتفعات؛ أو إطلاق قطعان الماشية في مناطق تلك الأجهزة؛ أو حتى زجّ فرق انتحارية لصرف خطر الأمريكيين عن الأهداف التي تقوم الكتلة الرئيسة للثوار بمهاجمتها. وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد كان استخدام الأمريكيين للأجهزة الكهرطيسية غير مجد ولا فعّال؛ بسبب ما توافر على مسارح العمليات من محطومات الآليات المدمّرة، ومن شظايا القنابل، ومن بقايا الطائرات والوسائط القتالية المعدنية التي تناثرت في كل مكان، كما كان من المحال الاعتماد على عمل هذه الوسائط بصورة مستمرة - في حروب طويلة الأمد - مما

أنقص من فاعلية هذه الوسائط الألكترونية والتي لم تحقق بالتالي الغاية الأساسية، وهي القيام بدور (المقاتل)، وبقي الصراع في تصعيد مستمر مما تطلّب زج القوات الأمريكية بأعداد متزايدة.

لم تكن الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية بمثابة مختبر للأسلحة فقط؛ وإنما كانت أيضاً مختبراً للأساليب التكتيكية ـ التعبوية ـ. فقد اصطدمت في هذه الحرب أساليب الحرب النظامية بأساليب الحرب الثورية. وقد حاول القادة الأمريكيون الاعتماد على أساليب مبتكرة ومتجددة لمعالجة كل موقف من المواقف. ولقد تعرّض الأمريكيون إلى صعوبات كبيرة في مواجهة حرب الخنادق المموّهة، فلجؤوا إلى المواد الكيميائية لإزالة غابات بكاملها؛ بحيث يصعب على المقاتلين الڤييتناميين التحرّك بعيداً عن المراقبة الجوية؛ فطوّر الڤييتناميون بالمقابل أساليبهم؛ واقتحموا المدن والقرى، وأخذوا في العمل من داخلها، ولم تعد هناك في مثل هذه الحالة حاجة للخنادق. كما عانى المقاتلون الأمريكيون كثيراً من (**حرب الأنفاق**)، حيث أتقن الڤييتناميون تنظيم مجموعات كبيرة من الأنفاق؛ متعددة المداخل والمخارج؛ يتوافر فيها ملاجىء للاستراحة والإسعاف ومخازن للأسلحة والذخائر، ويتحرك داخلها المقاتلون بحريّة؛ ليظهروا خلف القوّات الأمريكية أو إلى جانبها؛ وليوجّهوا إليها ضرباتهم القاتلة، ثم ليختفوا بمثل ما ظهروا ـ بسرعة وبصورة مباغتة ـ مستفيدين من فتحات الأنفاق المخفية والمموّهة، في جذوع الأشجار، أو في المستنقعات؛ أو في وسط حقول الخيزران.

وجابه الأمريكيون هذه الأساليب التكتيكية بتنظيم مقاتل أطلق

عليه اسم (**الجرذان الخضراء**)، وهي قوّات خاصة اعتمد تنظيمها بصورة أساسية على (القيتناميين الجنوبيين)، وعلى الجنود الأمريكيين ممن لا يتجاوز طول قامتهم ١٥٨ سنتمتراً؛ على أن يتم اختيار هؤلاء ممن تتوافر لهم القوة والمرونة في آن واحد؛ وممن لا يدخّنون ولا يشربون الكحول، ثم يخضع هؤلاء إلى تدريب خاص حتى يتمكّنوا من العمل طويلاً داخل الأنفاق، وهم يتحرّكون ويقاتلون ويجابهون المباغتات المختلفة؛ وهم يضعون خلال ذلك كله أقنعة الغاز. وقد تم تجهيز هؤلاء بتجهيزات خاصة؛ فكانوا يرتدون ثياباً تلتصق بأجسامهم ولا ينفذ فيها الماء، مع تزويدهم بقفّازات جلدية وبواقيات جلدية لمفاصل الأقدام (الرضغة) حتى يتمكنوا من الزحف طويلاً، بالإضافة إلى الخُوذ المجهّزة بواقيات للأذنين. وكان (الجرذان الخضراء) يجهزون بمصابيح يدوية قوية ترسل ضوءاً باهراً يخطف البصر، مع مسدسات كاتمة للصوت من عيار ٣٨، وبنادق صيد (براونينغ) مثلثة السبطانات تطلق حزمة من الرصاص الصغير (الخردق) وحشوات متفجرة (ت.ن.ت)، يمكن تفجيرها كهربائياً عن بُعد، وقنابل يدوية صغيرة ـ دخانية ـ تُستخدم عن بُعد للإعلام عن خروج ـ الجرذان ـ من الأنفاق، حتى لا يتعرض هؤلاء لرمايات رفاقهم بتأثير الظهور المباغت. وكان العمل الرئيسي للجرذان هو تفجير مداخل الأنفاق؛ لردمها وخنق الثوار في داخلها؛ مع استخدام قنابل الغازات المسيلة للدموع وقذفها قبل اقتحام الأنفاق، مما يرغم الثوار على الاستسلام.

وقد استطاعت قوات (الجرذان الخضراء) تحقيق نجاحات كبيرة،

في بداية الأمر؛ وألحقت بالثوار خسائر فادحة؛ غير أنه أمكن بسرعة الـردّ على هـذا التكتيك بتكتيـك مضاد تمثّـل باستخـدام الأفخـاخ البدائية، التي كان يستخدمهـا الصيّادون في الغـابات؛ إلى جـانب استخدام الأفخاخ والأشراك النظامية، وتم تـزويد الثـوار بالأقنعـة الواقية من الغازات المسيلة للدموع.

واستمر الصراع بين الأساليب التكتيكية وتطويرهـا؛ ولقد رافق هـذا الصراع المريـر والقاسي حـدوث (**انهيارات نفسيـة**) بـأعـداد متزايدة؛ مما حمل القيـادة الأمريكيـة على طلب الـدعم من (علماء النفس) وعلماء الاجتـماع في الجامعـات الأمريكيـة؛ والذين جـاءوا بأعداد كبيرة، لدراسة أسباب صمود المقاتل الڤييتنامي من جهـة، وأسباب الانهيارات النفسيـة في وسط الجنود الأمـريكيين من جهـة ثانية. وأمكن الوصول إلى نتـائج جيـدة، في مجال الإعداد النفسي للمقاتل، وإقناعه (بحتمية القدر) وبدور (التفوّق المعنوي) للمقاتل في حمـايته من الخـطر؛ وبعدالـة (قضية الحـرب) من وجهة النـظر الأمـريكية بـاعتبارهـا حرب دفـاع عن (الـذات). وبـرهنت هـذه الدراسات على فائدتها في إعداد (الجرذان الخضراء) خاصة، ولكن ظهر بعد فترة قصيرة الفارق المميّز بين (الجندي الذي يتم تصنيعه فكرياً ومادياً)، وبين الجندي الذي ينطلق طواعية من القناعات التي يستخلصها بنفسه أو تلك التي تتجاوب مع نفسه ومع ظروفه ومع متطلباته.

لقـد عملت القيادة الأمـريكية، في الـوقت ذاته، عـلى تـطويـر (**القـوات الخاصـة ـ أو قوات القبعـات الخضراء ـ**)، لممارسـة قتال

العصابات؛ وللعمل بمجموعات صغرى تخضع لتدريب شاق وتتمتع بامتيازات خاصة. وعلى الرغم من تكوين هذه القوات في البداية من مشاة البحرية، إلّا أن هذه التنظيمات انتشرت في تنظيم القوّات البريّة والبحرية والجوية (سيل). وكان التوسّع في تطوير هذه التنظيمات بمثابة البرهان الحاسم على تمايز الأسلوبين القتالين؛ الحرب النظامية والحرب الثورية. كما برهن ذلك على ضرورة إعداد القوات في إطار تنظيمين مختلفين؛ في تدريبهما وتسليحهما وإعدادهما؛ على أن يكون عملهما متكاملاً وفي إطار تنسيق تعاون كامل بين التنظيمين.

وهكذا تكون الحرب الڤييتنامية قد قدّمت (لفن الحرب) عطاء مميزاً بما يتناسب مع تطورات الحرب في الأزمنة الحديثة. **ولقد أبرز (الجنرال جياب) هذه التطورات بقوله**: «تمكّنّا، عبر ممارسة القتال، من إحكام أسلوب في الحرب وفي الفنّ العسكري يتّسمان بالفاعلية العليا وبالمضمون الثمين. إنهما أسلوب في الحرب وفي الفن العسكري يتكيّفان مع الحرب الشعبية التي تخوضها، على كل صعيد، أمة من الأمم ذات مساحة جغرافية محدودة، وذات قدرة بشرية محدودة أيضاً، ضد جيوش العدوان الكبرى. وتستند هذه الحرب في أساسها إلى القيام بالإنتفاضة المسلّحة وممارسة الأعمال الثورية لفترة طويلة الأمد؛ ومهاجمة العدو بحزم بالقوى المسلحة والقوى السياسية؛ في الأرياف والمدن على حد سواء؛ وتحقيق التضافر بين إبادة القوى المعادية وممارسة حق الشعب بالسيادة، وصيانة هذا الحق بما يضمن لنا المحافظة على قدرتنا وتنميتها باستمرار، وبحيث نحقق المزيد من الانتصارات مع كل معركة نخوضها: إبادة العدو؛ وإرغامه على

التقهقر خطوة خطوة؛ وجعل مختلف الأجزاء من جهازه تنهار الواحدة تلو الأخرى حتى ننتهي إلى قهره تماماً. إننا نعتمد على أنفسنا بصورة رئيسة، ونستند إلى ما توافر لقضيتنا العادلة من القوة، ونستفيد بما في الحرب الوطنية الجارية على أرضنا من الظروف المؤاتية، مع العمل بجد لكسب العطف والتأييد والعون من الشعوب الأخرى. إن كل هذه القوى المتضافرة في الحرب الشعبية هي التي تسمح بقهر العدو، وبتحرير البلد والدفاع عنه».

تظهر هذه المقولة أن كل تطوير في الأساليب التكتيكية، سواء في إطار الحرب الثورية أو في الحرب النظامية، إنما هو محصلة تضافر مجموعة من العوامل المتكاملة وليست المجزأة أو المتنافرة؛ فتضافر الصراع السياسي والصراع المسلّح وتكاملهما؛ وتضافر جهود الشعب في الجبهة والمؤخرة وتكاملهما؛ وتضافر العمل الداخلي مع العمل الخارجي وتكاملهما؛ وتضافر الجهد في إدارة الحرب مع القوى المقاتلة وتكاملهما، وتضافر الحرب النظامية والحرب الثورية، وتضافر العامل البشري بعامل التسلّح؛ جميعها حلقات مترابطة بعضها ببعض بإحكام وثيق، بحيث أن كل خلل أو اضطراب أو ضعف، في أي حلقة من الحلقات، ينعكس بالضرورة على السلسلة المتكاملة ويؤدّي إلى ضعفها، ويظهر ذلك مدى الصعوبات التي لا نهاية لها في مضمون الحرب الحديثة والتي تمتزج فيها أساليب الحرب الثورية بأساليب الحرب النظامية. ولئن تربّع الجنرال (جياب) على قمة الهرم العسكري، واستند بقوة إلى (هوتشي مينه)، الذي كان يقف بحزم في قمة الهرم السياسي؛ فقد كان هناك جهاز سياسي وعسكري ضخم

يعمل بتكامل في إطار مخطط واضح للجميع؛ مما أتاح الفرص المناسبة ليبذل كل مسؤول سياسي، أو إداري أو عسكري، أقصى ما يمكن بذله للإبداع في معالجة المواقف والتخلّص من المآزق. ولقد كان من المحال تحقيق النجاح ضد هذا التكامل في إطار معالجة كل جزء من جزئياته بمعزل عن الأجزاء الأخرى.

وهكذا على سبيل المثال؛ فقد استطاعت وسائط الحرب الألكترونية تحقيق نجاحات مذهلة في بداية الأمر، إلّا أنها سرعان ما فقدت فاعليتها، واستطاعت (الوحدات الخاصة) تحقيق انتصارات مرحلية؛ إلّا أنها عجزت عن قهر إرادة الصراع لدى الخصم؛ وحقق تنظيم (الجرذان الخضراء) نجاحات مثيرة؛ إلّا أنه أمكن بسرعة التغلّب على المأزق والتصدّي له بقوة وفاعلية، واستطاعت الوسائط المتطوّرة لحرب الحركة، (الطائرات العمودية والمصفحّات والدبّابات)، حل مشكلات الاتساع الجغرافي لمسرح العمليات؛ ولكنها عجزت عن إيقاف دوائر الصراع أو عدم السماح لها بالاتساع.

ولعل من أهم العطاءات في هذا المضمار، هو البرهان على أن التفوق التقني ليس مشكلة أمام الجيوش أو القوّات الأقلّ امتلاكاً للتقنية؛ فالإنسان المبدع للتقنية قادر أيضاً، وبوسائل بدائية؛ على تجريد هذه التقنيات من فاعليتها، هذا إذا ما توافرت الإرادة الصلبة لمتابعة الصراع واحتمال كل نتائجه. ولا ريب أن المقاتل الفييتنامي قد دفع ثمناً باهظاً جداً من أجل (قهر التقنية والتغلّب عليها)، وتعرض لمعاناة شاقة ومريرة، إذ أن من طبيعة الأمور أن يبحث المقاتل عن

المعركة في ظروف متكافئة؛ ولكن المقاتل الڤييتنامي وجد المعاوضة عن التفوق التقني (المادي) بتفوق معنوي، فكان رصيده المعنوي الهائل هو سلاحه لتحقيق المعاوضة؛ وكان استعداده الدائم للتضحية هو الأداة لقهر العامل التقني وللتغلّب عليه.

لقد عاد (الجنرال جياب) لشرح أُسس (فن الحرب) الثوري بقوله:

«إن فنّنا العسكري هو فن الحرب الذي تتبعه أمة صغيرة ما زالت قوّاتها المسلحة ضعيفة في المعدات والتقنية، ولكنها تهب للقتال ضد عدو أقوى منها كثيراً من الناحية المادية.

إنه الفن العسكري الذي يحمل طبيعة تستهدف:

هزيمة القوة المادية بالقوة المعنوية.

هزيمة ما هو قوي بما هو ضعيف.

هزيمة ما هو عصري بما هو بدائي.

هزيمة الجيوش العصرية للأمبرياليين المعتدين بوطنية الشعب وبالتصميم على إنجاز ثورة جذرية عميقة.

إن فنّنا العسكري قد حلّ بنجاح مجموعة من المسائل تتعلق بالاستراتيجية وبفنّ العمليات وبالتكتيك؛ بهدف دحر عدو قوي. فقد حدد بدقة وصواب العلاقة بين الإنسان وبين السلاح؛ العلاقة بين السياسة وبين التكتيك؛ معتبراً أن العنصر الإنساني والعامل السياسي، هما الأساس الحاسم، واعتبر أيضاً أن الأسلحة والتكتيك أموراً مهمة أيضاً. إننا عندما نكون أقوى من العدو سياسياً؛

وأضعف منه مادياً؛ فإن نظريتنا العسكرية تقول بأنه من الضروري لنا أن نشنّ حرب عصابات واسعة النطاق؛ تتطوّر تدريجياً إلى حرب نظامية؛ تمضي جنباً إلى جنب مع حرب العصابات، وذلك من أجل تأمين النصر لحرب الشعب. إن الحرب النظامية وحرب العصابات مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض، بحيث تغذّي كل منهما الأخرى وتقوّيها؛ وتقوم كلاهما باستنزاف قوات العدو وسحقها؛ وتحقيق النصر النهائي.. الثورة هي الهجوم. الانتفاضة هي الهجوم. والحرب الثورية هي هجوم. يمكن الوقوف موقف الدفاع في بعض اللحظات وبعض الأماكن، ولكن هذا إنما يكون لخلق الظروف الضرورية للمضي في الهجوم».

١٢ ـ نقاط الضعف والقوة

لكل جيش مقاتل من الجيوش نقاط ضعفه ونقاط قوّته. ولكل تنظيم مسلّح من التنظيمات ثغراته الضعيفة ومراكز قوّته، وتبرز هذه النقاط عبر حوار الإرادات المتصارعة. ولقد أسهبت كثير من المصادر في التركيز على أخطاء القادة وما ظهر خلال قيادتهم من نقاط الضعف في إدارة الحرب؛ مما تسبّب في فشل الحرب، وهذا ما يفسّر تبديل ذلك العدد الكبير من القادة، أثناء الحرب الڤييتنامية ـ الفرنسية ثم خلال الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية، فهل القضية بمجموعها هي قضية أخطاء قيادة؟ إذا كان الأمر كذلك فكيف وصل (دولاتر دوتاسيني) و(لوكلير) و(سالان) وسواهم إلى رتبة مارشال في بلادهم؟ وكيف استطاع هؤلاء خاصة قيادة أعمال قتالية رائعة في

الحروب الشاملة؛ وسجّلوا في سجلات خدماتهم لبلادهم صفحات ذهبية؟ ثم كيف ختموا هذه السجلات الذهبية بصفحة سوداء قاتمة؟ ومثل هؤلاء كمثل القادة الأمريكيين، من أمثال (ويستمورلاند) و (ماكنمارا)؟

إذا كانت القضية قضية أخطاء قادة، فيجب وضع (الجنرال فونجوين جياب) في مرتبة متفوِّقة على هؤلاء جميعاً. فقد أمكن له إنزال الهزيمة بهؤلاء القادة جميعاً، وهذا يعني أنه لم يرتكب أي خطأ. فهل كان (جياب) منزّهاً عن الأخطاء؟ وهل كان محروماً من نقاط الضعف؟ إن مثل هذا الافتراض يجعل من (جياب) إنساناً فوق مستوى البشر؛ ولكنه ليس كذلك. إنه إنسان، قبل كل شيء وبعده؛ له نقاط ضعفه وله نقاط قوّته، له مواقفه الصحيحة وله مواقفه الخاطئة. وإذا كانت انتصاراته قد أضفت على نظريّاته وأقواله هالة أبعدت هذه النظريات والأقوال عن الجدل والنقاش فإن ذلك لا يعني أنه بالمستطاع الأخذ بهذه النظريات والأقوال على أنها مسلّمات صالحة لكل زمان ولكل مكان. وهذا يعني بالتالي: إقفال باب تطور فن الحرب عند (الجنرال جياب).

ولكن (فن الحرب) لم يقفل؛ ولن يقفل أبوابه، فالقضية هي أكبر من الأخطاء المسندة أو المنسوبة إلى القادة. إن تجربة (جياب) هي إحدى التجارب الإنسانية التي اقتحمت (تاريخ فن الحرب) بقوة، واحتلّت مكانتها الجديرة بها. غير أن هذه التجربة الإنسانية هي حصالة التطور التاريخي، وحصالة الوضع الجيو-استراتيجي

الڤييتنامي، وحصالة جهد تضافرت فيه قوى شعب كامل. ولقد كان من قدر (جياب) ومن (نصيبه) أن يرافق تضافر هذه العوامل. ولو لم يكن هناك (الجنرال جياب) لكان هناك يقيناً من يضطلع بدور أكبر قليلاً أو أصغر قليلاً من دور الجنرال جياب، وهذا بدهي ألّا ينتقص من دور (الجنرال جياب)، كما أنه لا يزيد من دور (دولاتر دوتاسيني) و (لوكلير) و (سالان) و (ماكنمارا) و(ويستمورلاند) وسواهم. لقد كانوا جميعاً في إطار تيار؛ لا تحتسب فيه نقاط الضعف والقوة على حساب القادة فحسب؛ بل هناك تيار الأحداث الذي يُمارس دوره الحقيقي في صنع الأحداث.

وإذاً، فإذا كان هناك نقاط ضعف وقوة؛ فهي ليست في محيط القادة؛ بل هي كامنة في فهم التيار الموجّه للأحداث. **وقد أدرك أستاذ التاريخ (جياب) حقيقة هذا التاريخ وفهمه حقّ الفهم؛ في حين لم يتمكن الآخرون من رؤيته؛ بحكم ثقافتهم، وبحكم وجودهم في لجّة تيار مضاد لتيار التاريخ.**

ولقد تحدّث أستاذ التاريخ (جياب) عن ذلك بقوله: «في بداية إرسال الكتائب الأمريكية؛ قرأت تعليقات للباحثين الفرنسيين في الاستراتيجية؛ لقد كانوا يفكّرون بأني مصيب في التحليل؛ وكانوا يؤكّدون بأن الأمريكيين سيخسرون الحرب. ثم عندما أرسل الأمريكيون مشاتهم؛ بدأ المعلّقون الفرنسيون يترددون؛ وهم يرون هذه القوة الأمريكية الضخمة؛ واعتقدوا بأن الأمر يختلف عن زمن الحرب مع الفرنسيين: إن الأمريكيين يقومون الآن بحرب طويلة

الأمد. لقد تناقشوا فيما إذا كان عليهم أن يصنعوا قواعد مقفلة على الساحل؛ أو قواعد في قلب البلاد. ثم تساءلوا ما إذا كان مجدياً إقامة تعاون مع الدمى أو اللجوء إلى توزيع المهام. إن استراتيجيتهم مملوءة بالتناقضات؛ وهذه التناقضات لم تحل. إنني أعتقد، وبعض منهم يعترفون بصوابي في البانتاغون؛ بأن الجنود الأمريكيين لا يعرفون لماذا جِيء بهم إلى هنا؛ ليس لديهم أي مَثل أعلى يحاربون من أجله، ولهذا تأثير على معنوياتهم؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنهم لا يستطيعون خوض الحرب بحسب مبادئهم التكتيكية التي مارسوا تدريبهم عليها، أي يجب عليهم القتال في شروط وظروف ليست في صالحهم. إن الجيش الأمريكي ليس جيشاً مُعَدّاً للحرب على القارة الآسيوية؛ وبالأخص للحرب على مسرح عمليات استوائي، ولكن هذا ليس هو الأساس. إن الأساس هو حتى مع تكتيك أفضل، فإنهم سيخسرون الحرب ما دام شعب بكامله يقف أمامهم. إن أفضل فرق جيشهم قد هُزِمت. إنهم يصطدمون باستراتيجية وعمليات وتكتيك الحرب الشعبية».

لقد طلعت الأبحاث والدراسات الأمريكية في منتصف عقد الثمانينات؛ وبعد انقضاء عقد من الزمن على انتهاء الحرب الڤييتنامية - الأمريكية، لتعترف بخطأ الحاسبات الألكترونية في تقديرها لموقف ڤييتنام؛ مما حمل الولايات المتحدة الأمريكية على التورّط في حرب فاشلة. ذلك أن هذه الحاسبات الألكترونية قد أُهملت في تقديرها (طبيعة الإنسان الآسيوي)، وقدرة هذا الإنسان على (احتمال كره القتال). ولقد جاء هذا الاعتراف في وقت متأخّر جداً وبعد فوات الأوان. ولكن وحتى هنا، ترتكب الحاسبات

الألكترونية الأمريكية خطأً جديداً عندما تخصّص بحثها على (الإنسان الآسيوي)، أو (الإنسان الڤييتنامي)، متجاهلة أن هذا الإنسان، في طبيعته وخصائصه؛ في حوافزه وطموحاته؛ مماثل لتكوين أخيه الإنسان في أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، وإلّا فما هي الرابطة لهذه البؤر المتفجّرة التي تجتاح كل أرجاء العالم؟ وما هي العوامل المشتركة في ظواهر العنف التي باتت تهزّ العالم المعاصر بقوة متزايدة وكأنّه على فوهة بركان؟

إن نقاط الضعف والقوة موجودة؛ ولكن ليس في أخطاء القادة ـ رغم وقوع مثل هذه الأخطاء على جبهتي الصراع ـ ولكن في عوامل الصراع ذاتها، وفي أسبابها؛ وفي حوافز تطورها. ولهذا فقد كان مسار الحرب على الاتجاه الصحيح يعمل على تقويم تلك الأخطاء بسرعة ويعيدها إلى حيث يجب أن تكون، بينما كانت هذه الأخطاء ذاتها، أو ربّما أقلّ منها؛ تأخذ شكلاً مأساوياً، لأنها تزيد من انحراف مسيرة الأحداث؛ ولأنها تبرز، بشكل حاد ومباغت، حقيقة الصراع في جوهره وأساسه واحتمالات تطوره، وذلك عندما تقع في المعسكر المضاد لتيار التاريخ (المعسكر العدواني الاستعماري ـ الأمبريالي).

لقد حفظ أدب الحرب قصصاً لا نهاية لها عن دور المواطن الڤييتنامي في مسيرة أحداث الحرب وتطورها؛ فهذه سيدة عجوز عاكفة على سنوات عمرها؛ في زاوية مظلمة من مسكن خاوٍ في قرية مهجورة؛ تباغتها قوة أمريكية؛ وتقتحم عليها عزلتها، فترفع رأسها لتعلم الجند بأن أهل القرية قد اختفوا منذ فترة؛ ولا تعرف شيئاً

عنهم؛ ويتشاور قادة الجند؛ ويخافون من مكيدة، ويسرعون إلى طائرتهم العمودية التي تقلع بهم، وتنهض العجوز لترفع الغطاء عن ممرّ مؤدٍّ إلى دهليز يصل إلى نفق قد ضم إليه أهل القرية بنسائهم وأطفالهم ورجالهم ومقاتليهم. وهذا طفل يسير بخطوات ثابتة، حتى إذا ما اشتبه به بعض الجند وفتشوه؛ وجدوا معه من المتفجرات ما يكفي لتدمير بناء كامل. وكان من الصعب على الجند استخلاص أي معلومات مفيدة عمّن أسند إليه مهمة نقل المتفجرات؛ أو إلى أين كان ينقلها؛ فقد اختفى الرجل الذي كان يقوده ويوجّهه عن بُعد ـ عبر الزحام ـ. والقصص أكثر من أن تُحصى؛ وقد ضاقت بها كتب الحرب. فهل كان بالمستطاع قهر مثل هذا الشعب بوسائط القهر العسكرية؟ هنا كان يكمن الخطأ الأساسي الذي تفرعت عنه واشتقت منه كافة الأخطاء.

لقد حدّد الجنرال جياب نقاط الضعف والقوة في الخصم بقوله: «إن الولايات المتحدة هي الآن أقوى بلد في المعسكر الأمبريالي؛ اقتصادياً وعسكرياً؛ غير أن هذه القوة آخذة في التدهور أكثر فأكثر نتيجة مواجهتها للبلدان الاشتراكية؛ والبلدان الوطنية المستقلة؛ وشعوب العالم الثورية في كل مكان من العالم؛ مما أرغم الأمبريالية الأمريكية على اتخاذ موقف الدفاع؛ ولقد أثبتت قواها الموزعة في كل مكان من العالم؛ عجزها عن مواجهة الهجوم الشامل؛ مما أدّى إلى هزائمها في البرّ الصيني وكوريا وكوبا. ولقد كشفت الأمبريالية الأمريكية عن نقطة ضعفها الأساسية في عدوانها على جنوب ڤيتنام؛ لقد اضطرت للأخذ بنهج الاستعمار الجديد في وقت لم تعد فيه

الظروف مناسبة لتحقيق النجاح أمام هذه النهج الاستعماري».

وإذاً، فإن نقاط الضعف والقوة الأساسية هي نقاط بعيدة جداً عن مسرح الأعمال القتالية. إنها كامنة في السياسة الاستراتيجية الشاملة، ومحدّدة بكلمتي (الاستعمار) و (الدفاع).

لقد عرفت شعوب العالم الاستعمار؛ وكشفت سوءاته؛ وأدانته؛ وقاومته؛ وجاءت الحرب العالمية الثانية فأسقطت ما بقي له من البراقع المهترئة، وأصبحت كلمة الاستعمار وحدها كافية لتفجير كوامن الغضب والحقد والكراهية ضد الاستعمار الذي تسبب في مآسي الشعوب وفقرها وتخلّفها. وجاءت الولايات المتحدة لممارسة هذا الاستعمار في وقت لم تعد فيه الظروف المحلية، أو الدولية، مناسبة لتحقيق النجاح. ولقد حاولت الولايات المتحدة بعد ذلك العمل في الظل ومن خلال تشكيل أنظمة تابعة لها ـ على النمط الإنكليزي ـ غير أن وعي الشعوب بات قادراً على اكتشاف الحقائق وتمييزها من خلال تجاربه المريرة والقاسية مع الاستعمار التقليدي.

أما نقطة الضعف الثانية والخطيرة؛ فهي اضطرار الولايات المتحدة للدفاع على كافة الجبهات، وذلك مقابل سياسة استراتيجية هجومية شاملة من جانب المعسكر الاشتراكي. وكان لا بدّ لذلك من أن ينعكس على كل جبهة من جبهات الصراع الشامل، **وهذا ما أكّده الجنرال جياب بقوله**: «ينبغي لتقدير نسبة القوى أن يكون هذا التقدير شاملاً، ومتعدد الجوانب، وأن يتناول ما في الأمور من جوهر: الصعيد السياسي والصعيد العسكري، الكمية والكيفية: أن يعتبر لا

قوة الجيش وحدها بل وقوة الشعب الثوري أيضاً. أن لا يميّز نقاط قوة العدو ونقاط ضعفنا وحدها، بل وسائر نقاط قوّتنا وسائر نقاط ضعف العدو. كما لا يجوز أن يتناول تقدير الطاقات القتالية لدى الفريقين بما يتواجد من القوى فحسب، بل لا بد من أن يتعرض هذا التقدير لموقف كل منها من حيث موقعها وقوّتها وقدرتها القتالية، ليس على مسرح العمليات الإقليمي فحسب، بل على المسرح العالمي. وينبغي تقدير نسبة القوى ما بيننا وبين العدو؛ ليس في ڤييتنام وحدها بل في كل أرجاء العالم. وإن هذا التقدير الذي يعالج كل الصُعد والمستويات هو وحده الذي يسمح بإجراء تقدير دقيق لطاقة كل من الفريقين؛ واستخدام كل ما يتوافر من القدرة الكامنة. وينبغي لتقدير نسبة القوى أن يكون هذا التقدير مرناً بحيث يمكن له أن يتوقّع مسبقاً كل التطورات أو التغييرات أو الطفرات الممكنة خلال مسيرة الحرب.

ومن الأهمية بمكان عظيم في هذا التقدير؛ عدم إهمال ما يتوافر لكل طرف من الأطراف المتحاربة من دور قيادي في الحرب، وهذا ما يتطلب إجراء مقارنة بين الآثار الناجمة عن خطنا الصحيح وعن خط عدونا الخاطىء؛ والأخذ بما يتوافر لفنّنا الحربي من التفوّق؛ وما يتضمنه فن حرب العدو من الضعف. . . وقد استند كل من الفريقين خلال الحرب التي دارت على أرضنا إلى قوى مختلفة؛ واتصفا بنقاط قوة ونقاط ضعف مختلفة، وامتاز كل منهما بطرائق قتالية متباينة، وكان لكل طرف مخطط عملياته المميّز له. وقد كانت السمة البارزة لفن الحرب عندنا هي معرفة كيف نستثمر قدراتنا، وكيف نستخدم طرائقنا القتالية الخاصة، ثم كيف نحرم العدو من قدراته؛ وكيف

نحـول بينه وبـين استخدامـه لطرائقـه القتاليـة المفضّلة له، وكيف نضرب بنقاط قوّتنا مباشرة نقاط ضعفه، وأن نبيد قوّاته على التتابع؛ ونحطم له أهدافه كلّها؛ على نطاق متعاظم كل يوم، للوصول إلى قهره قهراً كاملاً».

لقد عاد وزير الدفاع الڤييتنامي (فان تيانغ دونغ) فأكّد مفاهيم الجنرال جياب بقوله: «يجب التشبع بروح استراتيجية هجومية في كل مفهوم استراتيجي، أو على مستوى العمليات، أو حتى على المستوى التكتيكي؛ مع التنسيق والدمج بين الهجوم والهجوم المعاكس. وعلينا أن نعرف نقاط قوة العدو، وأن نبرز نقاط ضعفه ونزيـدها ضعفـاً بالاستناد إلى تقدير صحيح وموضوعي لهذه النقاط، وألّا نترك للعدو فرصة شنّ المعركة بالأسلوب الذي يتقنه؛ وإرغامه على الدخول في المعركة ضمن الشروط التي نختارها، وحتى لا يتمكن من استخدام كل إمكاناته وكل مميزاته. فالعدو المنظَّم والمجهَّز والمدرَّب، بشكـل معين ومعروف، يجب إرغامه على القتال بأسلوب آخر غير الأسلوب الذي اعتاده أو تصوّره. وهكذا يمكننا دائماً مهاجمة العدو؛ على الرغم من قوّاتنا المحدودة؛ وعلى الرغم من امتلاكنا لوسائط قتالية قديمة وغير حديثة كتلك التي يمتلكها العدو. ونظراً لأن موازين القوى هي في غير صالحنا، فـإن استراتيجيتنـا الهجوميـة يجب أن تكون طـويلة الأمد ـ تعتمد على النَفَس الطويل ـ نعمـل خلالهـا على ردّ العـدو خطوة خطوة؛ وإبادتـه جزءاً جـزءاً حتى نصل إلى إلحـاق الهزيمـة الكاملة بقوّاته. وعلينـا أن نسعى، عبر هـذا الصراع الطويـل، للتقدّم في المقاومة بقفزات واسعة حتى نخلق في النهاية الظروف الملائمة، وحتى

نستغلها على أفضل وجه ممكن».

يبقى الإنسان المقاتل هو مركز الثقل في تحديد نقاط الضعف والقوة، وهو ما أوضحه الأمين العام للحزب الڤييتنامي (لودوان) بقوله: «إنطلاقاً من وجهة النظر الأساسية لحزبنا القاضية بالاعتماد بشكل أساسي على الإنسان؛ تمكّن حزبنا وجيشنا من إنشاء الأساليب التكتيكية الأصيلة التي تتصدّى بشكل مظفر لعدو أفضل منّا تسليحاً وتجهيزاً أو أكثر عدداً؛ بإمكانات محدودة وبأعداد أقلّ من أعداد جنده، وأن تهاجم العدو في نقاط ضعفه الأساسية؛ معتمدة على نقاط قوّتنا الأساسية. لقد حشدنا في القتال، أحياناً، وحداتنا وقوّات نيراننا بشكل يفوق قوات العدو مرتين أو ثلاث مرات قبل أن ننطلق إلى الهجوم. واستطعنا في معارك أخرى الانتصار على العدو بقوات معادلة لقواته؛ وانتصرنا عليه في بعض المرات بقوات أقل منه بعشرات المرات، وهذا يعني أن جيشنا وشعبنا لهما أسلوب خاص بالقتال، وأساليب تكتيكية وتقنية خاصين في مسارح العمليات الڤييتنامية؛ وبالإنسان الڤييتنامي. إننا لا نهمل ولا نستخف بالأسلحة والتقنيات الأجنبية؛ بل علينا أن نعرف كيف نتكيف معها ونحسن استخدامها بشكل يتلاءم مع مميزات بلادنا الخاصة وطريقتنا في القتال».

ولقد أبرزت المقولات السابقة أن قضية التوازن في القوى؛ ونقاط الضعف والقوة؛ هي محصلة عوامل كثيرة: العامل الجيواستراتيجي؛ وطبيعة مسرح العمليات؛ ودور القادة في إدارة الحرب؛ وطرائق الحرب؛ غير أن الإنسان المقاتل هو العامل الثابت في ترجيح عوامل

الضعف والقوة بعضها على بعض لدى الأطراف المتصارعة.

١٣ - التجربة الڤيتنامية وفنّ الحرب

ما من حاجة للتساؤل، بعد ذلك، كيف انتصرت الثورة الڤييتنامية. إنها ليست أحجية غامضة ولا لغزاً محيراً في عصر تبدّد الأحاجي والألغاز. لقد تضافرت مجموعة من العوامل لإنجاح تجربة الحرب الڤييتنامية؛ فقد توافرت لهذه التجربة قيادة سياسية استطاعت أن تحلل من خلال النظرة الموضوعية والصحيحة للواقع الدولي والمحلي عوامل الضعف والقوة، وأن تتعامل هذه النقاط بكفاءة عالية؛ وبتجرّد وصل إلى حدّ الصوفية.

وقد مثّلت شخصية الزعيم الكبير (هوتشي مينه) دور القائد السياسي الذي مثَّل شعبه أصدق تمثيل؛ وتمثل فيه طموحات هذا الشعب وآماله.

لقد عاش (هوتشيه مينه) حياة البؤس والتشرّد والحرمان، وقضى ردحاً من حياته في عاصمة بلاد أعدائه (باريس) وعمل فيها في الصحافة، إيماناً منه بقيمة الكلمة ودورها في تحريك الجماهير. ومكث في باريس يدرس مجتمع أعدائه ويحلّل نقاط ضعفه ونقاط قوّته. ولعله أدرك، في هذه الفترة، المفارقة الكامنة بين حضارة بلاده العريقة في الأصالة وبين حضارة الآلة الغربية، واستغرب كيف أمكن لفرنسا أن تستعمر بلاده. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فأزالت جميع البراقع الخادعة وظواهر القوة المضلّلة. ولقد عانى (هوتشيه مينه)، عبر نضاله الطويل والشاق، مرارة احتجاز الحرية والسجن، ولعل هذه المعاناة

قد أفسحت أمامه الفرصة للتفكير والتأمّل؛ فوجد في ضيق الزنزانات عالماً فسيحاً وهو يرنو ببصره نحو أفق المستقبل، وشعر بالرابطة العميقة التي تربطه بجماهير شعبه التي كانت تعيش تحت ظل الاستعمار في (سجن كبير)، فانطلق من سجنه لاستئناف الصراع بعزيمة لا تعرف الضعف؛ وبتصميم لا يعرف التوقف أو التراجع.

وكان اللقاء بين الشعب وقائده، ولكن هذا اللقاء كان يحتاج لما يدعمه ويعزّزه. وهنا يظهر دور الجيل القيادي الريادي الذي وقف إلى جانب (هوتشيه مينه). وكان (الجنرال جياب) وأقرانه هم الأداة التي أحكمت سدى النسيج بلحمته؛ وهم الذين أوثقوا الرباط بين القائد وشعبه. وليس غريباً أن تلتقي هذه المجموعة القيادة الرائدة وقد جاءت من أقاليم شتّى ومن شرائح اجتماعية مختلفة. لقد وحّدت سياسة القهر الاستعماري بين أفكارهم ومشاعرهم، بين تشبثهم بإرثهم التاريخي وتطلّعاتهم لبناء المستقبل، فتكاملت بذلك ظروف العمل لتحريك القدرة الكامنة التي كانت تنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر كالبركان، ولتهزّ الأرض كالزلزال. ولقد كان بالمستطاع إخماد نار البركان الثائر، وتفويت الفرصة عليه لمنعه من الإنفجار؛ من خلال إعادة تنظيم العلاقات بين فرنسا والهند الصينية، وإقامة هذه العلاقات على أُسس جديدة تتناسب ومتطلبات العصر، غير أن مثل هذه العملية كانت تتطلب، قبل كل شيء، إجراء تحليل عميق لنفسية الشعوب التي تم قهرها وإخضاعها للاستعمار. ولم تكن لدى الدول الاستعمارية ـ وخاصة فرنسا ـ، التي قهرتها الحرب وأذلّتها وأضعفتها، ولم يكن لدى قياداتها السياسية والعسكرية تلك المعطيات

التي سمح لها بإجراء مثل هذا التحليـل. فهي لم تنظر إلى الشعب الڤييتنامي، وإلى شعوب الهند الصينية، إلاّ من منـطلقات القـدرة الاستعمارية القاهرة؛ وإلاّ من خلال النهب الاستعماري القذر، وهي لم ترَ في (هوتشيه مينه) إلاّ عميلاً شيوعياً للمخابرات السوڤييتية؛ وهي لم تجد في (جياب) أكثر من جندي أين كفاءته وقـدراته من كفـاءة وقدرات أولئك القادة ـ سادة الحرب ـ الذين أنجبتهم المعاهد العليا المتخصصة في تعليم (فن الحرب)، والذين صقلت ميادين الحروب كفاءتهم وقدراتهم؟.

وهكذا بدأت الحرب بين نظرتين: إحداهما تنظر من الأسفل إلى الأعلى فترى الأمور بوضوح؛ وتتبين معالم الطريق بجلاء. والثانيـة تنظر من الأعلى إلى الأسفل (النظرة الفـوقية)، فتغيب عنهـا معالم الأمور، وتضيع منها معالم الطريق (وصدق المثل العربي القائل: إن النملة أعرف بما في بيت الفيل؛ مما يعرفه الفيل عن بيت النملة).

ولكن ماذا بشأن الظروف الخارجية؟ لقد كانت فرنسا مستنزفـة وغير قادرة على الاستمرار في حربها لو لم تتلق ذلك الدعم الكبير من حلفائها البريطانيين ثم الأمريكيين. وكذلـك كان من المحـال على (الهند الصينية) الاستمرار في الحرب لولا ذلك الدعم الذي قـدّمه الاتحاد السوڤييتي وجمهورية الصين الشعبية، وهذا ما أعطى للحرب طابعها العالمي. وتكررت الصورة ذاتها، بصورة أكثر وضـوحاً، في الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية. **ولقد استمـرت الحرب عـلى أرض ڤييتنام زهاء ثلاثين عاماً (١٩٤٥ ـ ١٩٧٥)، هذا باستثناء فترة الحرب**

العالمية الثانية والتي كان فيها دور المقاومة الڤييتنامية ضد اليابانيين محدوداً ومرتبطاً بالحلفاء ـ البريطانيين والأمريكيين ـ بالدرجة الأولى. وكانت مدة هذه الحرب وطولها هو أولى خصائص الحرب الڤييتنامية؛ إذ أن طول هذه المدة قد ارتبط بمجموعة من المتحوّلات الاستراتيجية، وفي إدارة الحرب على مستوى العمليات وعلى المستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ.

لقد قدّم الاتحاد السوڤييتي دعماً مماثلاً لكوريا الشمالية؛ وألقت جمهورية الصين الشعبية بثقلها في كفّة الصراع؛ وتدخّلت بصورة مباشرة؛ ورغم ذلك لم تتمكن كوريا الزعيم (كيم إيل سونغ) من توحيد كوريا كما فعل (هوتشي مينه). ولقد تشابهت الطبيعة الجغرافية في كوريا مع الطبيعة الجغرافية في ڤييتنام، فالإقليمين الآسيويين متشابهين في طبيعتهما؛ وحتى في تكوينهما الديموغرافي؛ وبالرغم من ذلك فقد كان هناك ثمة تباين في النتائج، وقد كان هذا التباين في النتائج بسبب اختلاف أهداف الدول العظمى. فقد استخدم الاتحاد السوڤييتي كوريا وسيلة للضغط من أجل حل مشكلاته في أوروبا الشرقية، وألقت الصين بثقلها للحصول على اعتراف العالم الغربي ـ والأمريكي خاصة ـ بنظامها؛ والتوقف عن دعم الصين الوطنية (فورموزا وتشانغ كاي شيك)، واستخدمت الولايات المتحدة قدرتها في محاولة للضغط على الاتحاد السوڤييتي وتطويقه، وهكذا لم تتوافر لكوريا الظروف الدولية التي توافرت لڤييتنام. وقد أسهم في ذلك أيضاً تباين الموقف الغربي، الذي قادته فرنسا واستثمرته ڤييتنام ضد الولايات المتحدة، وهذا ما لم يكن متوافراً لكوريا التي بقيت مجزأة

مثلها مثل برلين في وسط أوروبا.

إن دور الدول العظمى في مسيرة الحرب الڤيتنامية؛ وفي تقرير نتيجتها، هو إحدى الخصائص المميزة للحرب الڤيتنامية. ولقد تباينت نتائج الحروب الثورية تبايناً واضحاً في تجارب ما بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الاختلاف في أهداف الدول العظمى المشتركة في الصراع.

لقد كان للموقع الجغرافي لڤيتنام في الهند الصينية، وإلى جوار الصين والاتحاد السوڤييتي، دور أساسي وحاسم في إعطاء الحرب الڤيتنامية خصائصها المميزة، وقد انعكس ذلك بصورة طبيعية على مسيرة الأعمال القتالية. فقد كان كل تطوير مقيداً بعدم استفزاز الدولتين العظميين الآسيويتين: الصين والاتحاد السوڤييتي، وهذا مما فرض قيوداً على حرية العمل العسكري الفرنسي؛ ثم الأمريكي. ولقد مثلت الصين بالدرجة الأولى المؤخرة القوية لڤيتنام. وكانت هذه المؤخرة ـ مادياً ومعنوياً ـ هي الأساس في تطوير الأعمال القتالية نظراً لما تتطلبه الثورة من قاعدة قوية ومأمونة لتنظيم القوات وتدريبها وتسليحها وتأمينها الإداري والفني. ولقد اضطلعت الصين، خلال الحرب بكاملها، بدور القاعدة القوية والمأمونة للثورة الڤيتنامية وقوّاتها المقاتلة. وحدث تحوّل بعد سنة ١٩٥٤ عندما امتلكت الثورة الڤيتنامية قاعدة قوية ومأمونة (على أرض ڤيتنام الشمالية)، حيث أصبح باستطاعة الثورة الاستناد إلى هذه القاعدة من أجل تنظيم القوات وقيادتها. ولقد تعرّضت هذه القاعدة للقصف العنيف

والمستمرّ تقريباً على مرافقها الحيوية، إلّا أن هذا القصف لم يتمكن من إضعاف قدرة القاعدة على تنظيم القوات وتجهيزها؛ هذا بالإضافة إلى اتصال هذه القاعدة بقاعدة البرّ الصيني الواسعة التي كانت تشكّل عمقاً استراتيجياً كبيراً يسمح لقوات الثورة بالمزيد من حرية العمل العسكري. ومقابل ذلك؛ وعلى سبيل المثال، فقد تعرّضت كوريا الشمالية للاجتياح أكثر من مرة؛ ولهذا لم تتمتع قاعدة كوريا الشمالية للمنعة والقوة، التي توافرت لقاعدة (ڤييتنام الشمالية)، وكان لذلك دوره الحاسم في مسيرة الأعمال القتالية وفي تطوراتها وحتى في نتائجها.

وهكذا، فإن الاستناد إلى قاعدة قوية ومأمونة على الأرض الڤييتنامية ذاتها قد أعطى للحرب الڤييتنامية إحدى خصائصها المميزة لها. وقد كان من المحال على الثورة الڤييتنامية أن تتطور بمثل ما تطورته؛ وأن تبلغ ما بلغته؛ لو لم تستند إلى قاعدة قوية ومأمونة وجدتها في الصين ثم في (ڤييتنام الشمالية). وقد كان الافتقار لمثل هذه القاعدة القوية والمأمونة سبباً مباشراً لانهيار كثير من الثورات منذ أقدم العصور وحتى الأزمنة الحديثة.

كان للعامل الزمني دوره أيضاً في إعطاء دور خاص للحرب الڤييتنامية. فقد وقعت هذه الحرب في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة؛ ثم رافقتها الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣). وكان لفشل أمريكا في هذه الحرب دوره في إنهاء الحرب الڤييتنامية ـ الفرنسية، ثم جاءت الحرب الڤييتنامية ـ الأمريكية. وكان للفشل في كوريا ظلّه القاتم على الحرب الڤييتنامية.

ولقد حدثت، أثناء ذلك، تحوّلات على المستوى العالمي كان لا بدّ لها من أن تنعكس بقوة على صفحة الثورة الڤييتنامية. فقد اجتاحت العالم ثورات وطنية تحررية كان من أكبرها وأقواها (الثورة الإسلامية الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦١)، كما تحرّرت كثير من أقطار العالم في جميع القارات في آسيا، كما في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وقد حظيت كثير من الحركات التحررية بدعم ضمني من الولايات المتحدة الأمريكية في إطار (تصفية الاستعمار)، ووفقاً لما أقرّته مبادىء هيئة الأمم المتحدة.

ووجدت أمريكا نفسها أمام تناقض صارخ بين رغبتها في (تصفية الاستعمار) وفي مجال (محاربتها للشيوعية)، الخصم العنيد للرأسمالية؛ الأمر الذي دفع أمريكا لحمل إرث الاستعمار الثقيل؛ ولممارسة دوره. وكان هذا التناقض الفاضح هو الورقة الرابحة سياسياً وعسكرياً في قبضة المقاتل الڤييتنامي ضد المقاتل المعتدي.

وخلال ذلك؛ برزت للوجود تنظيمات دولية قوية (دول عدم الانحياز)، و (رابطة الشعوب الأفريقية) وسواها. ولما كانت معظم هذه الدول من بين التي كانت خاضعة للاستعمار، فإنها وقفت مع المقاتل الڤييتنامي؛ رغم دعمها المادي الضعيف، إلّا أن دعمها السياسي والمعنوي كان كبيراً، وكان ذلك في جملة العوامل التي دفعت الولايات المتحدة للتخلّص من مأزقها في ڤييتنام.

يظهر من خلال ذلك؛ أن العامل الزمني - أو التوقيت - قد مارس دوراً أساسياً وحاسماً في خط مسار الحرب الڤييتنامية؛ وفي تقرير

نتائجها؛ وهذا بدوره ما أعطى الثورة الڤييتنامية أحد خصـائصها المميزة لها. ولقد وقعت قبل ذلك وبعده ثورات كثيرة لم تتمكن من تحقيق ما حققته الثورة الڤييتنامية من نتائج وما أنجزته من تطوّرات.

تلك هي بعض العوامل التي أعطت للتجربة الڤييتنامية خصائصها المميزة لها. وقد يظهـر للوهلة الأولى أن هذه العـوامل قـد جاءت لتنتقص من قيمة الثورة ولتنتزع منها بعض قيمتها؛ ولتذهب بمعظم جهودها وتضحياتها، غير أن الأمر على النقيض تماماً. فالكفـاءة في العمل السياسي، والمهارة في إدارة الحرب، قد تجلّتا في استثمار هذه العوامل. ولقد تم الكشف عن كثير من أسرار الثورة الڤييتنامية التي خاضت حربين ظافرتين؛ ولكن بقيت هناك أسرار كثيرة ـ ربما ذهبت مع أصحابها من أمثال ما حمله في صدره هوتشي مينه وهو يغادر هذه الدنيا ـ وفيها تكمن إجابات على المعاناة الشاقة لاستثمار هذه العوامل وانتزاع سلبياتها وتحويلها إلى إيجابيات في مصلحة الثورة، وفي مصلحة قواتها المقاتلة. وعلى هذا يمكن التساؤل بعد ذلك هل يمكن الإفادة من منجـزات الثورة الڤييتنـامية ومـا قدّمتـه من عطاء لإغنـاء (فن الحرب)؟ وهل يمكن اعتبار هذا العطاء بمثابة مبادىء ثابتة تتحكم في إدارة الحرب الثورية التي باتت إحدى سمات العالم المعاصر؟

قد يكون من المحال تطبيق (حرب الأنفاق) في مناطق الثورات الصحراوية الجرداء، وقد يكون من المحال تطوير القوات المسلحة ـ في سلسلة عددية أو سلسلة هندسية ـ ما لم تتوافر للثورة قاعدة قوية ومأمونة على اتصال بمسرح العمليات (وهذا ما يفسّر على سبيل المثال

الجهد الأمريكي ـ الإسرائيلي لإقامة كيان فلسطيني على أرض فلسطين قد يتحول لقاعدة ثورية بحكم الممارسات الصهيونية التي تعمل على الاضطلاع بدورها دون قيود أو حدود)، وبالتالي لن يكون بالمستطاع، في هذه الحالة، تحقيق التضافر بين (أساليب الحرب الثورية) وبين (أساليب الحرب النظامية) مع ما يرافق ذلك من أعمال ثورية مختلفة.

وقد يكون من المحال أيضاً ضمان النجاح للأعمال الثورية ما لم يتوافر العامل الزمني المناسب. وعلى سبيل المثال؛ فالظروف الدولية المتأرجحة بين (التعايش الدولي) حيناً، وبين (المنافسة وتصعيد التوتر العالمي) في أحيان أخرى، تمارس دوراً مثبطاً ومحبطاً حيناً وتمارس دوراً مشجعاً في أحيان أخرى، (والأمر مماثل في الحروب المحدودة التي تشكل استطالة للمنافسة الدولية وتعبيراً عنها؛ مما سمح على سبيل المثال للحرب اللبنانية والحرب العراقية ـ الإيرانية لأخذ أشكال حرب طويلة الأمد، استثمرتها القوى العظمى أبشع استغلال وأكثره قذارة).

وقد يكون من المحال، بعد ذلك، ضمان النجاح للأعمال الثورية ما لم يتوافر الدعم الثابت بالوسائط القتالية؛ وهذا مرتبط بعاملي السياسة الاستراتيجية للدولتين العظميين خاصة؛ وبالانحياز لسياسة الاستقطاب؛ مما يحرم الثورات الوطنية والقومية من قدراتها ـ أو بعض قدراتها ـ. ويتزايد هذا العامل أهمية عند وقوع الثورات خارج دوائر المنافسة بين الدولتين العظميين اللتين لا تعترفان ـ إلّا ظاهرياً ـ بالنوازع القومية أو الوطنية أو الدينية.

ويظهر من خلال ذلك؛ أن لكل تجربة ثورية خصائصها المميزة لها، والتي ترتبط بعوامل متشعبة ومعقدة؛ مما يجعل من المحال الاعتماد على نتائج تجربة واحدة لاستخلاص مبادىء ثابتة يمكن الإفادة منها في (فن الحرب الثوري). وتشكل التجربة الڤييتنامية إحدى أكبر تجارب الحروب الثورية المعاصرة، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق. ولكن خصوصية هذه الحرب الثورية الڤييتنامية تعطي الدروس المُسْتَخْلَصَة منها ـ أو بعضها على الأقلّ ـ طابعاً مرتبطاً بظروف وعوامل معينة لا تنطبق على بقية الحروب الثورية، والأمر مماثل هنا لكثير من الحروب الشاملة أو المحدودة والتي تتميز كل واحدة منها بخصوصية تطبعها بطابعها؛ وتسمها بميسمها.

إن خصوصية (الحرب الثورية الڤييتنامية) لا تحرمها من قيمتها؛ ولا تنتقص من أهمية عطائها الثري (لفن الحرب)، لا سيما عند دراسة الجهد المبذول لاستثمار هذه (الخصوصية) وتحويل سلبياتها إلى عوامل إيجابية. هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن الحرب الثورية الڤييتنامية تشترك مع بقية الثورات المعاصرة ـ التحررية خاصة ـ بصفات واحدة. وهذه الصفات ـ أو العوامل المشتركة ـ هي التي تحدد بوضوح أُسس الحروب الثورية ومبادئها الثابتة؛ والتي باتت موضع بحث الباحثين في المعسكرات الدولية المتصارعة، في محاولة إما للإفادة منها في تفجير الحروب الثورية، أو للعمل ضدها على أُسس واضحة، وبموجب مبادىء ثابتة.

لقد نجحت الثورة الڤييتنامية والثورة الجزائرية، وأمثالهما من

الثورات التحررية، بفضل اعتمادها على الإنسان الثائر. وهذا يعني بداهة توافر العوامل المفجّرة، (فالقهر الاستعماري والقمع السياسي والاضطهاد الديني والحرمان الاجتماعي وسواها من العوامل الضاغطة المعروفة تشكّل البؤرة المناسبة لتفجير الثورة). ولكن حشد الجهود على اتجاه الثورة يتطلّب شيئاً أكثر من عامل الغضب المفجّر؛ إنه يتطلب تنظيماً محكماً للقوى والوسائط؛ مع الإفادة، حتى أقصى حد ممكن، من فترة الكمون لإجراء هذا التنظيم وتوسيع قاعدته لتكون عامة وشاملة. ونظراً لقوة قبضة السلطة الحاكمة في هذه الفترة فإن العمل يتطلّب اتخاذ أقصى تدابير الحذر والحيطة. وهنا يظهر أول تناقض بين (اتساع قاعدة العمل) وبين (المحافظة على سرّيته)، الأمر الذي يتطلّب درجة عالية من الكفاءة القيادية في عمليات التضليل والخداع، حتى إذا ما حان الموعد المناسب للتفجير ـ محلياً ودولياً ـ انطلقت الثورة على شكل تظاهرة مسلّحة إعلامية واسعة لاجتذاب أنظار الجماهير وإيقاظها من غفوتها، (وهذا ما حمل الثورة الڤييتنامية على تشكيل تنظيمات خاصة للاضطلاع بهذا الدور على نحو ما سبق عرضه). وهنا لا بدّ لقوات الثورة من التحرّك بسرعة ـ لتسبق أنظمة الحكم الاستعماري في تحرّكها ـ، وذلك لإشعال نار الثورة في كل مكان، ولتطوير التنظيم المقاتل. ونظراً لحاجة الثورة، خلال هذه المرحلة، للأسلحة والوسائط القتالية، فإنه لا بدّ لها من الاعتماد على ما تغنمه من العدو؛ بالإضافة إلى ما يمكن لها الحصول عليه من الخارج. ويبقى الهمّ الدائم والمقيم لقيادة الثورة هو استنزاف قوة العدو الاستعماري مقابل حماية قواتها وزيادتها وتطويرها باستمرار.

وهنا أيضاً يأتي دور القيادة الثورية في اختيار الوسائط والأساليب القتالية المناسبة، تبعاً لطبيعة الإقليم الجغرافية، وتبعاً لردود فعل العدو؛ حتى إذا ما مرّت مرحلة الخطر في إجهاض الثورة والقضاء عليها؛ يبدأ العمل على المستوى الدولي للحصول على الدعم السياسي والعسكري. وهنا تظهر الصعوبات الجمّة عبر محاولات السيطرة على الثورة، وإبعادها عن أهدافها الأساسية؛ ولا بدّ هنا من المرونة في التحرك حتى تحافظ الثورة على أصالتها، وحتى تتمكن في الوقت ذاته من الحصول على الدعم الخارجي الذي يمكّنها من الصمود، ومن المقاومة حتى تحقيق النصر النهائي والحاسم.

ويبقى نجاح الثورة، مرتبطاً في كافة مراحلها، بتوافر القدرة على تطوير النظام الثوري بصورة متصاعدة حتى يشمل أكثر شرائح الشعب اتساعاً؛ لتكوين قاعدة جماهيرية صلبة. وهنا تكمن صعوبات جمّة أمام القيادة التي يجب عليها الوفاء لتضحيات الجماهير وعدم التفريط بحقوقها وبين المحاولات الخارجية للسيطرة على الثورة؛ وحرفها عن أهدافها التي حملت السلاح من أجل تحقيقها.

١٤ ـ الجنرال جياب ـ قائد وثورة

ارتبطت الحرب الفييتنامية باسم (الجنرال جياب) قدر ارتباطها سياسياً باسم (هوتشي مينه)، الأب الروحي للثورة؛ وموجّهها. ولقد اختفى ظل جياب عبر المسيرة الضخمة والمتسارعة لتيار الأحداث. فقد كانت هذه الأحداث بحجمها الهائل؛ وبتطوراتها المذهلة، وبأصدائها العالمية، كافية لمحو وإخفاء كافة الظلال. ولكن ما من

أحد جهل أو تجاهل الدور الحقيقي للقائد جياب؛ الذي كان يعمل بصمت في إعادة التنظيم المستمر لقواه ووسائطه، وسط صعوبات لا نهاية لها؛ والتي شملت، فيما شملته، متابعة الأعمال القتالية الصغرى (حرب الخنادق والأنفاق) في أقاليم شاسعة الأبعاد؛ إلى جانب تأمين الإمدادات، وتوفير الدعم؛ للتنظيمات المختلفة في شتّى الأقاليم.

ولكن إذا كانت الأحداث الضخمة قد تمكنت من إخفاء ظل (جياب) في مناسبات كثيرة؛ إلّا أنها لم تتمكن من حجبه أو إخفائه عند تحقيق الانتصارات الحاسمة، أو إدارة الحرب على مستوى الأعمال القتالية الكبيرة (مثل معركة ديان بيان فو)، و (تحطيم خط ماكنمارا)، و (هجوم رأس السنة الهجرية ـ التيت)، وتحرير (هانوي)، ثم الانقضاض على (سايغون).

ففي هذه الأعمال جميعاً، ظهر (جياب) وقد احتلّ موقع القمة في التخطيط للأعمال القتالية الكبرى، وفي الإعداد لها، ثم في تنفيذها. ولم يكن العمل لمثل هذه المعارك بالعمل السهل؛ في ظروف مثل الظروف التي رافقتها خلال مراحلها المختلفة. ولم يكن جياب في هذه المعارك جميعها يواجه خصماً، أو خصوماً يفتقرون للخبرة القتالية؛ أو تعوزهم التجربة في إدارة الحرب. لقد كانوا جميعاً على أرفع مستويات الكفاءة القيادية؛ وكانوا جميعاً ممن عرفتهم ميادين الحروب وعرفوها حقّ المعرفة. ولهذا فقد كان حوار الإرادات المتصارعة شاقاً وعسيراً على المستويات القيادية.

ولقد أُصيب (جياب) خلال قيادته بانتكاسات مريرة؛ غير أنه كان

سرعان ما يتعلّم من تجاربه؛ ويعالج سلبياتها، ويحاول تحويلها إلى مواقف إيجابية. وبذلك أمكن له إلحاق الهزيمة بجيش من (جنرالات الحرب في المعسكرين الفرنسي والأمريكي).

ولعلّ سرعة التعلم من التجربة الذاتية كانت إحدى المميزات في شخصية جياب القيادية؛ وكذلك فقد كان استمراره الطويل في إدارة الحرب عاملاً أساسياً في إفادته من كافة التجارب، التي عاشها بكل أبعادها؛ بحيث أنه لم يعرف عنه ارتكابه لخطأ من الأخطاء لأكثر من مرة.

وهكذا كانت التجربة والمعاناة هي الأساس في تكوين الشخصية القيادية للجنرال جياب، بداية من مراحل التنظيم الأولى للقوات، سنة ١٩٤٢، ونهاية بالنصر الحاسم سنة ١٩٧٥. ولكن كان من المحال على (الجنرال جياب) التعلّم من (التجربة الذاتية) لو لم تتوافر له قاعدة من المعرفة العسكرية يمكن على أساسها تمييز مواطن الصح والخطأ؛ ومواطن الضعف والقوة؛ على طرفي جبهة الصراع. فما هي هذه القاعدة التي استند إليها جياب، وهو رجل الحق والقانون - بحكم دراسته - ورجل التاريخ - بحكم ممارسته لتدريس مادة التاريخ -؟ إن دراسة القانون والتاريخ هي معرفة عامة، والمعرفة العسكرية هي معرفة احتراف وتخصّص، فهل ثمة علاقة بين المعرفتين في تكوين الشخصية القيادية (للجنرال جياب)؟

لقد كانت، دراسة (جياب) العليا في القانون؛ ثم تدريسه للتاريخ، هي القاعدة الأساسية في تكوينه القيادي. فقد أفادته

مجموعة المعارف النظرية التي تعلّمها في معالجة الأمور والمواقف من منظور شامل؛ وساعده ذلك على التخطيط والإدارة، وهو العمل الأول للقائد الذي يضطر للعمل مع مخططات صمّاء، ومع أرقام مجرّدة في تعامله مع القوى والوسائط القتالية. ولقد جاءت المعرفة التاريخية لتدخل الحياة إلى المخططات الصمّاء؛ ولتبعث الروح في الأرقام المجرّدة.

لقد عاش (جياب) تجربة شعبه، عبر ألف سنة، من الصراع المستمر من خلال ما قدّمه له تاريخ هذا الشعب من العطاءات الثرّة؛ لا سيما في مجال الحروب الثورية. ولقد تضمن (أدب الحرب) في تجربة الحرب الڤييتنامية ما أكّد، على لسان معظم قادة الحرب الڤييتنامية، أن التجربة الثورية الطويلة للحرب الڤييتنامية - عبر ألف سنة من العطاء والتضحيات - قد تركت إرثاً ضخماً من التقاليد الثورية؛ أفاد منه جميع القادة، وحتى الثوّار المقاتلين؛ للسير على هدى الأجداد، ولعل ذلك هو ما يفسّر، إلى حدّ بعيد، تصرّف أفراد الشعب الڤييتنامي بصورة صحيحة في مواجهة كافة المواقف الفردية أو العامة؛ في خنادق القتال، وفي المؤخرات. لقد صهر التاريخ جموع الشعب الڤييتنامي في بوتقة واحدة؛ ووجّههم على خط مسار واحد. أما ما ظهر من انحراف أعداد، أو مجموعات كبيرة أو صغيرة، عن تيار الجماعة، وأما ما ظهر من وقوف بعض مراكز القوى إلى جانب الاستعمار فهو أمر طبيعي ومتوقع في حياة كافة الشعوب، وتتزايد هذه الظاهرة في مراحل التدهور والضعف وتتناقص في مراحل الظفر والقوّة. وهذا ما ظهر أيضاً في مراحل انتصار الثورة وتزايد قوّتها؛

حيث أخذت هذه المراكز في التلاشي والاضمحلال. والمهم في الأمر هو أن جياب ـ وأصحاب جياب ـ قد أفادوا من تقاليد قومهم ومن إرثهم القتالي، ومن خلاصة تجربتهم؛ لبناء القاعدة الثورية؛ ولتطوير هذه القاعدة باستمرار. فلا غرابة أن يعمل جياب ـ وأصحاب جياب ـ على بعث التاريخ من مرقده، وأن يُلْبِسُوه ثوباً حديثاً يتناسب مع زي العصر ومع متطلباته؛ وأن يتّخذوا من هذا التاريخ دليلاً وموجِّهاً لأعمالهم. ولكن هل يستطيع التاريخ أن يفعل ذلك كلّه؟ أجل! إن التاريخ هو الذي فعل ذلك كله، وقد ظهر ذلك غريباً لأول وهلة، ولكن كل غرابة تزول عند استقراء التاريخ ذاته. فها هي الدول العظمى وهي تستند في صياغة مذاهبها العسكرية على إرثها التاريخي، وعلى تجاربها الذاتية، بالدرجة الأولى؛ فألمانيا، وروسيا؛ وإنكلترا؛ وفرنسا؛ وسواها؛ لم تتمايز بعطاءاتها لفن الحرب إلّا من خلال تجاربها الذاتية بالدرجة الأولى، والتي تتناسب أصلاً مع ظروفها الجيواستراتيجية، ومع تكوّنها الديموغرافي، ومع وضعها الاقتصادي، ومع بقية العوامل الكثيرة التي تتقاطع في أساس (فن الحرب) وتصبّ في تياره.

ولقد كانت قراءة (جياب) للتاريخ قراءة متأنِّية؛ ومتمعِّنة؛ وهادفة، هي الأساس لتحديد العوامل المحرّضة للجماهير، ولإيقاظ هذه الجماهير من غفوتها التي فُرِضَت عليها تحت ستار (تفوّق الرجل الأبيض ـ الغربي).

ولقد برهن أستاذ التاريخ، وتلميذه في آن واحد؛ على أن المعرفة

التاريخية هي الـرباط الثـابت والقوي بـين (تقاليـد الأمة وأمجـادها وأصالتها)، وبين ما تهدف إليه من تغيير في واقعها، ثم ما تطمح إلى تحقيقه لبناء مستقبلها. وهكذا سار جياب ـ وأصحاب جياب ـ وهم على بيِّنة من أمرهم؛ يعرفون ماذا يريدون، ولماذا يعملون.

وكان من غير الصعب بعد ذلك اكتسـاب الخبرة التقنيـة؛ فلقد كانت (ڤييتنام)، ومعها كل أرجاء الهند الصينية، مسرحاً لـلأعمال القتالية. وكانت رؤية السلاح واستخدامه، والتعرّف على ميزاتـه، ومتابعة حوار الإرادات المتصارعة على مستوى القيادات؛ من الأمور الشائعة في أحاديث الناس وأسمارهم خلال تلك الحقبة التاريخية.

لقد كانت عمليـات (بورمـا)، واجتياح (سنغـافورة)، وصمـود ستالينغراد، واجتياح الغرب، وإنزال المظليين في أوروبا وكـريت، وهجوم المحور في ليبيا، وإنزال الحلفـاء في صقليا والنـورمانـدي، وإدارة الحرب في المحيط الهادي ـ الباسيفيكي ـ من الأمور التي تردّدها أجهزة البثّ الإذاعي ـ الراديو ـ صباح مسـاء. وكان النـاس ـ كل الناس ـ يناقشون هذه الأعمال وينتقدونها، ويعالجون نقـاط ضعفها وقوّتها؛ ويتابعون تطوّراتها؛ بل ويراهنون على نتائجها. فكيف بعقل متفتح مثل عقاب جياب ـ ومثل عقول أصحاب جياب ـ وهو يجمع هذه الحصالة من المعرفة على أرضية ثابتة من المعرفة النظريـة؟ لقد اعترف كثير من المقاتلين الثوريـين، هؤلاء الذين قـاتلوا إلى جانب الحلفاء؛ وأولئك الذين قاتلوا إلى جانب دول المحور؛ بأنهم أفادوا كثيراً من ممارستهم للأعمال القتالية إلى جانب هذه القوات؛ ليس على

مستوى استخدام الأسلحة، أو على مستوى الأعمال التعبوية ـ التكتيكية ـ فقط؛ وإنما على مستوى فنّ العمليات.

وهكذا كانت مدرسة الحرب العالمية الثانية، التي دارت بين الدول العظمى، هي التربة الأساسية لنمو مفاهيم الحروب الثورية. وبذلك يكون قادة الحلفاء هم الذين غرسوا، على غير إرادة منهم، بذور الثورات الناجحة التي ستنتزع منهم أسلحتهم وتجاربهم بها، وهذه حقيقة لم يدركها قادة الحلفاء عندما أرادوا انتزاع السلاح من قبضة المحاربين الثوار من أجل إعادتهم إلى (قمقمهم) في محاولة إعادة عجلات التاريخ إلى الوراء في طريق صاعد.

لم يكن من الصعب على (الجنرال جياب)، بعد ذلك، تطوير معارفه التقنية ـ التخصصية ـ أو المهنية في إدارة الحرب؛ وقد فتحت مدارس الحرب الصينية والسوڤييتية أبوابها أمام آلاف وعشرات الآلاف من طلّاب الحرب الڤييتناميين، فتوافرت بذلك للجنرال جياب فرصة متابعة التطورات الحديثة في تنظيم الجيوش وفي إدارة الحرب. ومن الملاحظ هنا أن ما تم تطبيقه من مستجدّات في مجال استخدام التقنيات الحديثة؛ لم يخرج على النهج الذي سارت عليه الحرب الڤييتنامية عبر مسيرتها الشاقة والطويلة، فبقي استخدام المدفعية والدبابات متناسباً مع أساليب الحرب الثورية (قتال المجموعات الصغرى)، ولكن على نطاق واسع؛ لا سيما في المرحلة النهائية من الحرب.

لقد حقّق (الجنرال جياب) انتصارات مذهلة؛ ولقد زاد من قيمة

هذه الانتصارات أنّ الـذي حقّقها لم يتخـرّج من مدارس الحـرب العليا، وكان انتصاره هذا برهاناً على إبداع الإنسان عندما تضطره ظروفه لاستنفار كافة مواهب العقل والإبداع لحلّ المشكلات الصعبة التي يواجهها. وقد عاش (جياب) كل يوم من أيام الصراع المرير وهو يواجه كثيراً من المشكلات؛ وأمكن له إيجاد الحلول المناسبة. ولم يكن جياب وحده صاحب الفضل في كل ما تم تحقيقه ـ بالتأكيد ـ فقـد عمل معه آلاف القادة على كافة المستويات، وقد أسهم كل واحـد بإيجاد حل مناسب لمشكلة من المشكلات، وهذا يعني توافر جيل كامل من القادة الذين تميّزوا جميعاً بالكفاءة العليا في إدارة الحرب.

وبقي الجنرال جياب طوال فترة الصراع وهو يحتلّ موقعه في قمة القيادة الرائدة. أليس ذلك برهاناً على ما توافر للجنرال جياب من الكفاءة القيادية التي وضعته في موقع التفوّق؟

ولقد تطلّبت إدارة الحرب تنسيق التعاون بين تنظيمات قتالية مختلفة (الجيش النـظامي؛ قـوات العصـابـات؛ التنـظيـمات المحليـة أو الميليشيات) فوق أرجاء واسعة وأقاليم متباعدة. أليس ذلك بـدوره برهاناً على ما توافر للجنرال جيـاب، ولجهاز قيـادته، من الكفـاءة العليا؟

لقد تعرّضت إدارة الحرب إلى هزّات عنيفة في كثير من مـراحل الحرب، مما خلق تضارباً في وجهات النظر ـ على نحو ما حدث أثناء حصار ديان بيان فو ـ ثم اقتحامها، ولقـد استطاع الجنـرال جياب المضي قُدماً وبثبات نحو هدفه، أليس ذلك بدوره برهاناً على ما توافر له من الكفاءة القيادية؟

وخلاف ذلك؛ كان جياب ـ وبحسب الشواهد المتوافرة ـ يعمل بانسجام كامل مع جهاز قيادته ومع الأجهزة القيادية في كافة الأقاليم؛ وبذلك استطاع تنظيم التعاون بشكل مثير بين كافة القوى وعلى كافة الجبهات؛ وهل يمكن أن يطلب من القائد أكثر من تنظيم التعاون بين القوى وعلى كافة الجبهات؛ وهل يمكن أن يطلب من القائد أكثر من تنظيم التعاون بين القوى والوسائط المتوافرة له لتحقيق هدف الحرب؟.

قد لا تكون هناك حاجة بعد ذلك ـ وحتى قبله ـ لإبراز ما توافر للجنرال جياب من الكفاءة القيادية التي طالما تحدّث عنها أصدقاء جياب وأعداؤه على السواء. ولكن هنا وعند هذه النقطة بالذات تبرز فضيلة (جياب) القيادية وهي (التواضع). ولقد عرف (جياب) أن الفضل، فيما أنجزه، إنما يعود في القسم الأكبر منه إلى الجهاز السياسي، الذي تزعّمه (هوتشيه مينه)، وإلى الجهاز القيادي، الذي عمل معه طوال سنوات الصراع المرير، ثم إلى عشرات الملايين ممن حملوا أعباء الحرب وتعرّضوا لمعاناتها. ولهذا فإنه عندما يقف ليتحدّث عن (الحرب الثورية) لبلاده، فإنه يتحدث عن تجربتها بتواضع وبدون غرور ولا غلواء. إنه أسهم إسهاماً كبيراً في صنع أحداث هذه التجربة التاريخية؛ ولكن هذه التجربة ليست ملكه؛ إنها ملك شعبه بكامله؛ ومِلْك جهاز القيادة السياسي والعسكري؛ وإذاً؛ فليتحدث عنها؛ وليستخلص الدروس منها؛ كواحد في هذا الحشد الضخم الذي اشترك في صنع (التجربة التاريخية الڤييتنامية).

لقد اشتهر الشرقيّون، عامة، بالتواضع؛ وبالأدب الجمّ، في أحاديثهم؛ وفي سلوكهم، وذلك مردّه إلى ما توافر لهم من إرث حضاري ضخم؛ وإلى ما مرّ بهم من انتصارات، وما حفل به تاريخهم من انتكاسات، ولهذا فلا النصر يدفعهم إلى الغرور ولا الانتكاسة تدفعهم إلى اليأس. وكان جياب (استاذ التاريخ وتلميذه) نموذجاً لهذا الإنسان الآسيوي الذي لم تدفعه انتصاراته للغرور؛ ولم تحمله معاناته إلى اليأس. إنه دائماً ثابت الجنان؛ رابط الجأش؛ وحق لبلاده أن تفخر به قَدَرَ فخره ببلاده واعتزازه بها. أما بالنسبة لعطائه في مجال (فن الحرب) فهو عطاء ثرٍ، تجاوز حدود الممارسة العملية؛ ولو أنه وقف عند هذا الحدّ لكَفَاه ذلك؛ إلّا أنه تجاوز هذا العطاء إلى تقديم المعرفة النظرية من خلال الدروس التي استخلصها من تجربته الذاتية، وهي دروس هامة ـ دونما ريب ـ ومفيدة بالتأكيد. وهنا أيضاً يظهر تواضع (جياب) فهو عندما يتحدث عن تجربته؛ لا يتحدث عنها بشكل (مذكّرات)، أو على شكل عرض لدوره القيادي، وكان ذلك جديراً بالتسجيل، وإنما تحدّث عنها من موقع (أستاذ التاريخ وتلميذه)؛ فهو يستخلص الدروس ويقرّر الأُسس والمبادىء، ويبرز الأعمال بموضوعية مثيرة؛ يختفي فيها (العامل الشخصي) و (الأنا).

وبعد؛ قد يكون من الصعب الإحاطة بحياة قائد عاش تجربة حرب طويلة الأمد مثل الحرب الڤييتنامية، وقد يكون التعرّض لهذه الحرب والإحاطة بها أشدّ صعوبة أيضاً. ولقد احتلّت تجربة الحرب الڤييتنامية مكانتها في طليعة (حروب التحرّر الحديثة)، وحظيت بأبحاث ودراسات ربما لم تتوافر لأية تجربة معاصرة أخرى. واحتل

الجنرال جياب مكانته في طليعة قادة الحرب الثورية الحديثة، وشغلت سيرته وأعماله حيِّزاً واسعاً في (أدب الحرب الحديث). وقد يكون من الصعب إضافة قطرة إلى هذا المحيط الواسع من المعرفة، فعسى أن يكون هذا العمل هو القطرة التي يمكن إضافتها إلى محيط القائد الجنرال جياب وإلى محيط (الحرب الڤييتنامية)، وعسى أن تقدم هذه القطرة ما هو مرجو من المعرفة.

﴿وقل رب زدني علماً﴾.

بسام العسلي

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ حرب التحرر الوطني في ڤييتنام ـ الفريق فونكوين جياب ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ دمشق ـ ١٩٧٢ .

٢ ـ من الذي سينتصر في ڤييتنام ـ فونجوين جياب ـ دار الطليعة ـ بيرت ـ ١٩٧١ .

٣ ـ مذكرات محارب فييت ـ ميني (نكو ـ ڤان ـ تيه أو) ترجمة جبرائيل بيطار ـ دمشق ١٩٥٧ .

٤ ـ حروب التدخّل الأمريكية في العالم (ريتشارد بارنت) دار ابن خلدون ـ بيروت ـ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٤ .

٥ ـ الحرب الثورية ـ الجنرال بوفر ـ ترجمة الدكتور هيثم الأيوبي ـ أكرم ديري ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٣ .

٦ ـ الحرب طويلة الأمد ـ ماوتسي تونغ ـ ترجمة الدكتور فؤاد أيوب ـ دار دمشق للطباعة والنشر .

٧ ـ كيف انتصر الفييتكونغ في ڤييتنام ـ ويلفريد بورشيت (ترجمة محمود زيادة) ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ ١٩٧٣ .

٨ ـ ڤييتنام ـ المسائل العسكرية الراهنة ـ وزير الدفاع الڤييتنامي فان

تيان دونغ ـ (ترجمة أحمد عبد الكريم ـ مراجعة العميد الركن منصور ضيف اللّه الخوري) مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ١٩٨٣.

٩ ـ تاريخ وفنون ودروس الحرب الأمريكية ـ الڤييتنامية ـ غابرييل بونيه (ترجمة أكرم ديري ـ المقدم الهيثم الأيوبي) دار الطليعة ـ بيروت ـ ١٩٧٠.

١٠ ـ تطور فن الحرب (الجنرال جيلين) ترجمة محمد حسن حافظ ـ مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ـ ١٩٨١.

- LA GUERRE D'INDOCHINE (GEN. YVES GRAS) PLON PARIS 1979.
- J'ÉAIS MÉDECIN A (DIEN- BIEN- PHU) (M.C GRAUWIN) EDITION FRANCE EMPIRE- PARIS 1954.
- OPÉRATION AUVERGNE (GÉN. J. J. FONDE) REVUE HISTORIQUE DES ARMÉES (NO-2 1980) CHATEUA DE VINCENNES. FRANCE (P.P. 224-249).

الفهرس

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها. . .
فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».
لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر

